حيدر حب الله

كَلِمَاتٌ

فِي الدِّينِ وَالثَّقَافَةِ وَالسُّلُوكِ

الجُزء الأوّل



إعداد: خليفة بن أحمد





دار الولاء
لصناعة النشر

كلماتٌ

في الدين والثقافة والسلوك

١



الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-728-4

كلمَاتٌ

في الدين والثقافة والسلوك ①

المؤلف: حيدر حب اللّه.
إعداد: خليفة بن أحمد.
الإخراج الفني: مبارك الطيب
تصميم الغلاف: عبد اللّه الشريدة

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.
الطبعة: الأولى بيروت_لبنان ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م.

التنفيذ الطباعي
eight press & production
www.8eightproduction.com | 00961 3 017 565

حيدر حب الله

كلماتٌ

في الدين والثقافة والسلوك

١

إعداد:

خليفة بن أحمد



دار الولاء
لصناعة النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تقديم الشيخ د. حيدر حب الله

سبق لي ـ ومن الله التوفيق ـ أن كنت أدوّن بعض الأفكار والمواقف والخواطر الذهنيّة المتصلة بالشأن الفكري والثقافي والاجتماعي العام، وأنشر منها كلّ فترة على الموقع الرسمي الالكتروني ما أجده مناسباً. وقد كنت أحاول أن أقدّم في هذه المنشورات الموجزة والمختصرة فكرةً مركّزة هنا أو التفاتةً نافعة هناك، أو إثارةً باعثة على التفكير والتأمّل.

لم تكن هذه الأفكار والمواقف والإثارات لتنتمي إلى دائرة علم معيّن أو حقل ثقافي أو معرفي محدّد، وإنّما تتوزّع فيما تتناوله من قضايا وموضوعات، الهدف منها نقدُ بعض الثقافات السائدة، أو المغالطات الشائعة، أو الإضاءة على نقاط ثمّة حاجة ـ بنظري ـ للإضاءة عليها، أو الاشتغال على التنبيه على قضايا مهملة أو تستحقّ المزيد من التنبيه. وأحياناً كانت هذه المواقف نعياً لشخصيّةٍ بارزة غابت عنّا، وكانت لي صلة بها من تلمّذٍ على يدها أو تعاون علمي أو ثقافي أو اجتماعي معها، أو رأيت فيها ما يتطلّب الحديث والكلام، وفاءً لحقّها واحتراماً

لعلاقتي بها.

وقد سعى بحول الله سبحانه أخونا الفاضل العزيز الأستاذ خليفة بن أحمد (رعاه الله تعالى) لكي يجمع هذه الكلمات والمواقف والإثارات، ويضعها ضمن كتابٍ يمثل هذا المجلّدُ الذي بين يديك قارئي العزيز، حلقةً أولى من حلقاته بحول الله سبحانه؛ ليتسنّى للمتابعين من الإخوة والأخوات الاطّلاع عليها. من هنا ليس في وسعي إلا أن أشكر الأخ الفاضل على خطوته الكريمة هذه، سائلاً المولى القدير له كلّ الخير والنجاح والتوفيق فيما يرضي الرحمن تبارك وتعالى.

كما أتمنّى من القارئ الكريم أن لا يبخل عليّ بملاحظاته ومقترحاته وإضافاته الجادّة، فبروح التعاون والتكامل نرتقي جميعاً في أرواحنا وقلوبنا وعقولنا.

أقدّم هذا القليل إلى روح والدي الطاهرة الحاج محمّد كامل حبّ الله (رحمه الله تعالى)، مبتهلاً إليه سبحانه أن يرزقه رضوانه وسلامه، ويحشره مع الأنبياء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً. آمين.

اللهم اجعل عملنا هذا خالصاً لوجهك الكريم، إنّك نِعمَ المولى ونِعمَ المجيب.

حيدر محمّد كامل حبّ الله

١٤٤٣/٥/٢٥هـ

٢٠٢١/١٢/٣٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى..

في عالم الكتب والتأليف نجد تنوعاً من حيث كون الكتاب تخصصياً أم لا، وهل أن مواضيعه مطولة وسلسلة مترابطة لا يفهم التالي إلا بقراءة السابق، أم لا؟ وغير ذلك.

ومما يمتاز به هذا الكتاب أنه مناسب لأغلب المستويات في جل كلماته، كما يمتاز بالاختصار والتركيز، فيمكن للقارئ أن يفتح الكتاب من أي صفحة شاء.

هذه مجموعة من الكلمات والمواقف التي دونها سماحة الشيخ الدكتور حيدر حب الله بين عامي ٢٠١٢م و ٢٠٢١م ، والبالغ عددها ١٨٧ كلمة، وقد نُشر بعضها ضمن مؤلفاته، وكثير منها لم يَسبق نشره في كتاب، لذا تم العمل على جمعها و تنسيقها وفق الترتيب التاريخي

الذي جاءت فيه.

سيأخذك الكتاب عزيزي القارئ في جولة من العناوين في ميادين متعددة، تعرفها بنظرة سريعة على المحتويات، إنها كلمات تأملية تثير دفائن العقول.

جزيل شكري وامتناني لسماحة الشيخ أن أتاح لي فرصة القيام بهذا العمل، وأسأل الله سبحانه تعالى أن يجعل عملنا هذا في ميزان حسناتنا، وأن ينفعنا وإياكم بهذه الكلمات، إنه سميع مجيب، والحمد لله ربّ العالمين.

خليفة بن أحمد

١٤٤٣/٣/١٧هـ

العقل البراغماتي والعقل المبدئي

١٥ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

يوماً ما لم أفهم بعقلي البراغماتي (فقه المصلحة القائم على نظرية التزاحم) تصرّفات بعض الشخصيات الكبرى كالإمامين علي والحسين عليهما السلام، لكن عندما عايشت تجارب الانحراف الأخلاقي المجتمعي الذي يقع داخل الوسط الديني بحجّة المصلحة والضرورات، أدركت أنّ بعض الخطوات المنتفضة على الواقع والمتصادمة معه لا تحتاج لأن تكسب نتائجها المصلحيّة، بقدر ما يكفيها أن تهزّ الوجدان، وتخلق شعوراً بعدم الرضا عن الأنا الفردية والاجتماعية.

يجب أن لا يبقى الانحراف متنعّماً بسكينة باطنية ومتحرّراً من عذاب الضمير، هذه خطوة مهمّة للتغيير المستقبلي، حتى لو لم يقع التغيير أساساً في لحظتك.

دعوة للإمامية للانفتاح على زيد الشهيد

١٦ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

بلغت الثورة الحسينية أكبر مدى لها في العصر الاسلامي الأوّل مع الإمام زيد بن علي بن الحسين الشهيد (١٢٠ أو ١٢٢هـ)، الذي قتله الأمويون وصلبوه ونبشوا قبره عقب ثورته عليهم في الكوفة.

إنّني أقدّم اقتراحاً للطائفة الإماميّة أن يقرؤوا هذا الرجل ومذهبه جيداً، فهو مهم للغاية، وإلى مذهبه ومذهب الإسماعيلية ترجع أكبر دول الشيعة في القرون الهجرية الأولى كالبويهيين والفاطميين، الذين شكّلوا نقاطاً مضيئة في التاريخ الإسلامي.

وقد كانت علاقات الإمامية والزيدية المنتسبين إليه ممتازة حتى القرن الرابع الهجري، لكنّه وتدريجياً أخذت بالتلاشي، كان ذلك برأيي خطأ تاريخياً لا أدري من يتحمّله.

أدعو الإمامية للعودة للانفتاح على المنجز الزيدي وقراءته بتمعّن، متعالين عن الخلاف المذهبي، وكذلك أدعوهم للاهتمام بالتراث

الديني المدفون في اليمن فهو من أعظم التراث. إنّها دعوة صادقة أتمنّى أن تبدأ بأن نعطي هذا الرجل بضع دقائق على الأقل في موسم عاشوراء كلّ عام للحديث عنه ونعيه.

طبعاً أعرف أنّ هناك بعض الخلاف في شرعية ثورته لكنّ أغلب علماء الإماميّة المتأخّرين أخذوا بالتوجّه نحو مدح ثورته وتوثيقه واحترامه وتنزيهه عن المقاصد السيئة.

مجالس العزاء وحالة بعض العقلانيين

١٩ ـ ١٢ ـ ٢٠١٢م

هناك أشخاص عقلانيّون ومتعلّمون ومثقفون أخذوا يأنفون من حضور مجالس العزاء؛ لأنّهم يرون في غالبيّتها الساحقة الخرافة أو التكرار أو فقدان المضمون الجديد، وقد صار هؤلاء شريحة كبيرة متناثرة في المجتمع، أحببت أن أنقل لكم حالتهم، فماذا تقترحون عليهم؟ وهل هم مصيبون أم مخطئون؟ كيف لهم أن يعيشوا هذه الذكرى بالوجدان وقد اختلط وجدان هذه المجالس عندهم بعدم الواقعيّة، فلا يستطيعون البكاء إلا إذا تنازلوا عن نقدهم العقلي للمضمون الملقى عليهم في هذه المجالس، ولهذا تبلورت لديهم حالة نفسية سالبة؟ ماذا تقولون؟

الحاجة لتوثيق ما قيل في الحسين عند غير المسلمين

٢٢ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

مقترح متواضع

كنت أحبّ أن أقوم بهذا المقترح لكنّ وقتي لا يسعفني، وربما فعله أحد من قبل ولا علم لي. لهذا أقترح أن يقوم بعضٌ من طلاب العلوم الدينية أو الباحثين والمهتمّين والمتابعين، باستقراء كلّ المواقف التي قيلت في الإمام الحسين عليه السلام من قبل غير المسلمين، كالمسيحيين واليهود وأهل الديانات الوضعية كالبوذية وغيرها. وكذلك ما قاله منهم الزعماء والسياسيون والإعلاميّون والمفكّرون والفلاسفة الكبار، ويخرج ذلك على شكل كتاب أو مقالة، لكن موثقة، بحيث تبيّن لنا مصدر المعلومات الموثوق، وهل حقّاً ما ينقل عن غاندي وشكسبير وتشرشل و.. من مقولات ومواقف رائعة حول الإمام الحسين أم لا؟ ومن أين عرفنا؟ وما هي مصدر معلوماتنا في هذا السياق؟ ومن أوّل

من نقل لنا المعلومات الأصليّة الخام في هذا الصدد؟

إنّ تدوين كتاب أو دراسة جامعة مستقرئة في هذا المجال يمكن أن يكون مفيداً للمنبر والخطابة الحسينية وللفكر والثقافة الدينية عموماً، وحامياً للمجالس الحسينية من التشكيك والنقد إن شاء الله.

معارضة المبدأ ومعارضة الشخص

٢٣ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

أن أعارض شخصيّةً من الشخصيات ورمزاً من الرموز لا يعني أنني أعارض ما يرمز إليه. وأن أعارض أسلوباً من الأساليب لا يعني أنني أعارض بالضرورة المضمون الذي يحكي هذا الأسلوب عنه. وأن أعارض تطبيقاً ما لنظريّةٍ ما (وتكون له بدائل) لا يعني أنّني أعارض بالضرورة النظريّة نفسها. تعالوا كي لا نختزل المضمون في الشكل والأسلوب. ولا نختزل المشاريع والديانات والأفكار والقضايا في الأشخاص والرموز. ولا نضيّق خناق النظريات بالتطبيق (حيث يمكن فكّها). **ولنترفّع عن اتهام الناس بمعاداة نظريّة أو مضمون أو دين أو قضيّة لمجرّد أنّها رفضت تطبيقاً أو أسلوباً أو شخصاً.**

هل الحوار قيمة مطلقة عليا؟

٢٤ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

كلا؛ فبعض الحوارات تنتج تباعداً بدل أن تنتج تقارباً وتفاهماً. وفي عالمنا العربي والإسلامي، وفي ثقافتنا وتربيتنا، ربما أكثر الحوارات تولد نقيضها داخلها، وتنقلب على غرضها وغاياتها، لهذا لعلّ الأفضل في مثل هذه الحال ـ أحياناً على الأقل ـ ترك الحوار، حتى نرتقي لمستوى أن نكون متحاورين ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

الحوار قيمة تقريبيّة في العلاقات الاجتماعيّة، وقيمة إنتاجيّة في الشأن المعرفي والعلمي، وليس أداةً للتفسّخ الاجتماعي والتردّي الفكري. الحوار كالماء الصافي النازل من السماء ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾، **فلنصلح ذواتنا قبل أن نصلح حواراتنا، وإلا صار ماؤنا وحلاً وطيناً.**

رسالة لأخي المطبر

٢٥ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

أخي المطبّر

سأظلّ أدافع عن حريّتك في التطبير (ضرب الرأس بالسيف)، لن أقبل بأن يمنعك أحد من فعلك هذا ما دمت تملك وجهة نظر، لن أرضى بأن يزجّك أحد في السجن، أو يرى فعلك جريمة لا تغتفر. لن أسمح لنفسي بأن أخرجك من الدين أو المذهب، وسأدافع عنك ضدّ كلّ من يريد سوءاً بك. سأحبّك شئتَ أم أبيت، وسأعتبرك دوماً أخاً لي في الله وفي الدين وفي الإنسانية معاً. سأقبّل موضع السيف من رأسك ولن أتوانى..

لكن اسمح لي أن أختلف معك، فأنا أرفض أسلوبك في التعبير رفضاً تامّاً، وأملك وجهة نظر في ذلك، وأنتمي للدين الذي تنتمي أنت إليه، وأنا حريص عليه كما أنت كذلك، إنّني لا أرى في فعلك خدمةً للدين كما أنت ترى، فهل تقدر على أن تعاملني كما أعاملك؟!

هل تقدر أن تحبّني وتختلف معي تماماً كما أحبّك وأختلف معك؟! هل تستطيع أن تحاورني دون تشنّج وسلبية وأعصاب متوترة؟! وهل يمكنك أن تعبّر عن رأيك في وجهة نظري دون تخوين أو اتهام أو تعالٍ أو تطهّر؟!

تعالوا (وكلامي للأطراف كلّها) لنختلف في مناخ حريّة، ونتمايز عن بعضنا في مناخ اعتراف متبادل؛ لنبني مجتمعاً أفضل بإذن الله، والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

علم النفس التديني

٢٦ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

فكرة متواضعة قد تبدو للكثيرين غريبة أو مغرضة أو مضحكة.

إذا كان الدين من عند الله، فإنّ التديّن من فعل البشر. وأفعال البشر تخطأ وتصيب. وكما هناك علم نفس وظيفي مثلاً لمعالجة المشاكل النفسية الناجمة عن العمل أو تقديم مقترحات نفسية لتحسين أداء الموظفين والعمال فإنني أرى ضرورة أن يكون لدينا علم نفس تديّني يعالج مشاكل التديّن النفسيّة أو يقدّم مقترحات لتحسين الأداء التديّني عند الإنسان. وهذا:

١. غير علم النفس (الديني) الذي نادى به كثيرون في إطار مشاريع أسلمة العلوم أو المعرفة.

٢. ولا يعني بالضرورة تقديم علم النفس (وهو العلم المتهم كغيره بالعلمانية) على الدين، حتى لا يخشى منه المتديّنون، بل افتراض القيم الدينية المتفق عليها بين المتدينين أصلاً

موضوعاً لا نناقش فيه الساعة.

٣. ولا يعني أنّ الدين يتحمّل بالضرورة أمراض التديّن النفسية التي تحصل أحياناً، كما لا تتحمّل الوظيفة والعمل ـ بوصفهما حاجة إنسانيّة أصيلة ـ مسؤوليّة بعض المشاكل النفسية الناجمة عنهما.

٤. بل يعني إقراراً بأنّ ممارسة التديّن ظاهرة بشريّة تصاحبها ظواهر نفسيّة غير سويّة أحياناً، أو ظاهرة بشرية يمكن تحسين أدائها بنصائح سيكولوجيّة غير معادية للدين.

قد يكون من الصعب أو المضحك فتح مثل هذا الموضوع أو الدعوة لعيادات طبّ تديّني، لكنّني أظنّ أن الفكرة تستحقّ التأمّل، حتى لو لم تقبلوا أن نجعله تخصّصاً منفصلاً، فلست مصرّاً على هذا، لكنّني **رأيت في تجربة حياتي البسيطة أنّ التديّن يحتاج لتجويد أدائه نفسياً أحياناً، ولمعالجة بعض آثاره السلبية أحياناً أخرى نتيجة سوء التديّن، فالدين جميل دائماً والتديّن منه جميل ومنه غير سويّ، فتحسين التديّن فيه خدمة للدين الذي ينتسب التديّن إليه ويُحسب عليه، وفيه أيضاً خدمة للإنسان نفسه الذي يمارس التديّن.**

بين الإحباط العقلي والنفسي

٢٧ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

الإحباط العقلي وعيٌ بالواقع ومحتملاته ومستقبليّاته، أمّا الإحباط النفسي فليس سوى سقوط في هذا الواقع واستسلام له. فأن تتحدّث عن أزمات الواقع لا يعني ذلك أنّك محبط نفسيّاً، بل قد يعني أنك مدرك للأمور عقليّاً، وقد يكون العكس صحيحاً. وقد لاحظتُ خلطاً والتباساً في حركة نقد الواقع الإسلامي، وعند من يريد تقييم حركة النقد هذه أيضاً بين **اليأس العقلي = (اكتشاف الواقعيّة مقدّمة للتعامل السليم معها)، واليأس النفسي = (التهاوي في الواقعية والعجز عن التعاطي معها)**.

الدين وضع للحياة الباطنية

٢٨ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

ليس من الضروري أن يقدّم الدين لي حياةً أفضل من حولي حتى أقبله. المهم أن ينجح في أن يعطيني حياةً أفضل في أعماقي، في ظلّ أيّ نوع من الحياة المحيطة التي أعيش. فلا نظلمنّه بإثقال حمولاته، ولنخفّف عنه يخفّف الله عنّا به. ولا نبخسنّه حقّه بتخفيف وزنه حتى لا يطير في الهواء، فنفقده.

الدين رؤية للحياة قبل أن يصنع حياةً. والحياة لا تكون من دون رؤية. ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[سورة الرعد، الآية: ١١].

حقّ النقد وواجب النقاد

٢٩ ـ ١١ ـ ٢٠١٢م

النقد حقّ الناقدين، والحقوق لا تقدّم أعطيات أو هدايا أو هبات. إنّما تؤخذ بالعزائم والإرادات. بل قد تنتزع بالانتفاضات والثورات.

أقول للناقدين: لا تنتظروا أن يُتصدّق عليكم بحقّ النقد. هبّوا لأخذه ولا تستسلموا في سبيل حفظه. ولا تسمحوا لأحد أن يسلب هذا الحقّ منكم ـ بعناوين وأغلفة مصلحيّة أو دينية أو سياسية أو اجتماعيّة ـ ليجلس على كرسيّه مرتاحاً.

وأقول للناقدين مرّةً أخرى: **مارسوا حقّكم في النقد، لكن ليس من حقّكم التجديف والإهانة والاتهام الاعتباطي والتطاول على الآخرين والتحرّر من الضوابط العلميّة والأخلاقية للنقد.**

النقد مقدّمة للإبداعات الكبرى، فلا تقفوا عنده، ولا تموتوا داخل شرنقته، ولا تُستهلكوا بلذّته وشهوته.

الوسطية مفهوم متناقض التقويم

٢٨ ـ ١٢ ـ ٢٠١٢م

١. الوسطية في السلوك وفي الممارسة الفكرية (وسطيّة في مقام العقل العملي) مفهوم جميل وممدوح، أن تكون هادئاً غير انفعالي إيجاباً أو سلباً، وأن يكون عقلك غير مضطرب ولا هائج. فدرجة السكينة العقليّة والروحية تؤثر في سلامة العملية الفكريّة؛ لأنّ النفس عندما تصعب على صاحبها ـ كالفرس المتأبّية ـ تجرّ عقله لليمين أو اليسار بطريقة خاطئة انفعالية وهائجة.

٢. أمّا الوسطيّة في الحقّ والفكر والصواب (وسطيّة في مقام العقل النظري) فهي مفهوم خاطئ؛ لأنّ العقل عندما يعطيني نتيجة من مقدمات، فلا يصحّ أن أضع النتيجة وسط تنوّع الآراء المحيطة بي، لأقوّمها من زاوية موقعها وسط بقية الآراء؛ لأنّ الحقّ حقّ ولو كان في أقصى اليمين أو أقصى

اليسار، والباطل باطل ولو كان إذا قسناه في موقعه من الآراء المختلفة يقع في الوسط. تماماً كعمل القاضي، فليست وسطيّته في أن يقسّم المال المتنازع عليه على الطرفين دائماً، بل ستكون هذه الوسطيّة ظلماً لصاحب الحقّ أحياناً، إنّما وسطيته في أن يتوازن سلوكيّاً وفكريّاً أثناء الإعداد والتفكير لإصدار الحكم.

ليست الوسطية مفاوضة على الحقّ، ولكنّها إدارة حسنة روحية ونفسيّة وسلوكية للوصول إليه أو لخدمته.

المثقف والإعلام

١ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

أجمل شيء في المثقف الحقيقي أنّه متحرّر يصنع ذاته. يسعى لكي لا يصنعه الآخرون. لكن هل استطاع المثقف أن يتحرّر في عالمنا العربي من سطوة الإعلام وتشكيله للعقول المعلّبة أم أنّ المثقف العربي ما زال يتأثر بالإعلام الذي يصنع الذوق والجمال والمفاهيم والحسن والقبح والإقبال والإدبار والقبض والبسط؟ هل قدر المثقف أن يتحرّر من آلة الإعلام الضخمة الرهيبة بكلّ مساحاتها وامتداداتها الأخطبوطية، كما تحرّر ـ وفقاً لما يقول ـ من هيمنة الخطاب الديني، وسلطنة الخطاب اليساري القديم، وقبضة العقل الشمولي؟ أم أنّ الإعلام الذي أثر في خلفيّاته المعرفيّة وحفرها وشكّل ذوقه وتحسينه وتقبيحه للأشياء من حيث لا يشعر ومنذ أن كان طفلاً.. هذا الإعلام هو الذي صاغ له عقله أو بعض عقله؟

أستميحكم عذراً، اتركوني قليلاً لأجلس مع نفسي وأسألها هذا

السؤال بشكل حقيقي وجادّ، بوصفي (متشوقفاً مدّعياً للعلم) فإنّني لم أواجهها بهذا الإحراج من قبل، فربما تقول لي شيئاً أستحي أن أقرّ به أمامكم، وهو أنّني لم أتحرّر وإنّما أخذت زمام أموري من يد جماعة كانت تمسك به وتخلّصت منهم، ولكنّني مع الأسف أعطيته ـ وأنا متفاخر بزهو النصر وكسر القيد ـ لآخرين أكثر ذكاء من الأوّلين.

أتمنى أن يصنع المثقفُ الإعلامَ، لا أن يصنعه الإعلام.

التكفير والموضة

٥ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

في كلّ عقدٍ من الزمن تقريباً في عصرنا الحديث تروج مدرسة فكرية معينة، فتجتاح القلوب والعقول، تمثل الخلاص والحلّ وتكون حديث النهايات السعيدة. يختارها جيلٌ بشغف وجنون وما تلبث أن تفنّد تحت ضربات معاول الجيل الثاني بغضب مجنون، لتحلّ محلّها مدرسة أخرى، دون أن يحلّ على أمّتنا الحلّ؛ لأنّ الأمّة ترى في موجة التفكير الجديدة فراراً وهرباً واستعجالاً فقط:

أ ـ لأنّها صارت غير قادرة على منح أيّ مشروع فكري وقته الطبيعي لاختبار النجاح والفشل.. فتقتله بمجرّد مجيء مقترح آخر. ثقافتها تجارية ذات الصفقات السريعة؛ لأنّها تعبت.. وأنهكت.. وكذب عليها واستغلّت.

ب ـ ولأننا بتنا نعرف ما لا نريد ولا نعرف ما نريد، فأيّ (موضة) فكرية جديدة، كفيلة بأن نخطبها ونطلب ودّها، لا لأننا رأينا فيها الحلّ،

بل لأنّ الحلّ في رؤيتنا هو أن نخلص فقط من سابقتها. فالكثير منا يتحمّس بجنون لرفض شيء كان قد آمن به بالجنون نفسه.

فليكن العقل مدبّر أمرنا لا الجنون. فأسوأ شيء في العقل أن يكون منطقه الهروب، وثقافته الفزع، وقوته اليومي الدعاية والإعلام، ومداه الجزع، ومنهجه حرق المراحل. فلا تكتسب الأفكار قيمتها بزمنها وإلا صارت موضة.

أنا وفكرتي والآخرين

٧ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

يندفع كلّ واحد منّا لكي يقنع الآخرين بأفكاره، يحاول ويحاول ويحاول، لديه رغبة أو غريزة أو فطرة طيبة في إقناع الغير بما يراه صواباً. قد يوفّق لذلك ويقنعهم.. فيسعد ويشعر بالنجاح. وقد لا يوفّق ولا ينجح.. رغم المحاولات:

١. فهناك من يرى أنّ عدم اقتناع الآخرين بفكرتي دليل ضعف الفكرة نفسها. إنّ الفكرة عنده يجب أن يتمّ الاقتناع بها إذا كانت صحيحة، فإذا لم يقتنع الآخرون بها فليست صحيحة أو صحّتها على شفا جرف هار. شعورٌ بالانتكاس أو القلق ينتاب من يتصوّر الأمور هكذا.

٢. وهناك من يرى أنّ عدم اقتناع الآخرين بفكرتي دليل جهلهم وغبائهم وقصور أو تقصير عقولهم. شعور معاكس يهتزّ وينتعش بالإحساس بالتفوّق على الغير.. ربما تفوقاً تكوينياً..

لأنّه فهم الفكرة واقتنع بها، أما الآخر فلم ينل شرف ذلك.

لقد وجدنا كثيراً في الحياة من إذا لم يقتنع الآخرون بفكرته: فإمّا ارتدّ منتقماً من ذاته بالإحساس بضعف ما يؤمن به، أو هرب إلى الأمام منقضّاً على غيره باتهامه بالقصور أو التقصير.

وهو لا يعرف أنّ هناك حالة ثالثة ـ إلى جانب الصدق الإجمالي للحالتين السابقتين ـ: وهي **أنّ الله خلقنا هكذا.. وكان العقل كذلك.. وكانت الحياة.. فلا فكرتي ضعيفة ـ بالضرورة ـ بعدم اقتناع الآخرين بها.. ولا هم ملعونون ـ بالضرورة ـ أينما ثقفوا إن فعلوا ذلك.. وبهذا أتصالح أنا وذاتي وفكرتي والآخر معاً.**

يقول الفلاسفة: أوّل وأهم نشاط للعقل هو أن يدرس نفسه، ويحلّل ذاته ويفهمها، ويعقل منطقها وقوانينها، ويعي تجاذباتها الداخليّة.

(لتعارفوا) والمشاهد الثقافية في البلدان الإسلاميّة

١٢ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

قبل حوالي خمس سنوات تقريباً اقترحتُ على أحد مراكز الدراسات في لبنان اقتراحاً، تسبّبت الظروف ـ ربما ـ في عدم ولادته. أن تكتب سلسلة مؤلّفة من كتب مختصرة ومركّزة ومكثّفة بعدد البلدان الإسلامية، تعرّف في كلّ بلد بمشهده الثقافي ومساراته وتحوّلاته واتجاهاته الفكرية خلال العقد الأخير بالخصوص، وكذلك برجالاته المفكّرة ومراكزه وتحوّلات المعرفة والانتماء فيه. لا تدور هذه السلسلة حول أشخاص أو رموز، بل حول مشاهد ثقافية. ثم تكون هذه السلسلة مادّة لقراءة عامّة مكثفة أيضاً للمشهد الثقافي في العالم الإسلامي وتواشجاته. ويصار لتدوين هذه السلسلة كلّ عقد أو أزيد من الزمن، ليتعرّف المثقفون أكثر فأكثر على بعضهم، وعلى تموّجات الثقافة في العالم الإسلامي، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾، دون أن يفرض هذا المقترح علينا قطيعةً مع المشاهد العالميّة الأخرى المتواشجة معنا.

مشكلتنا أنّنا ننظر للآخر عندما تظهره عدسة كاميرا السياسة، مثل ما حصل مع تركيا وإيران. لقد شاركت عام ٢٠١١م في مؤتمر دولي في اسطنبول، وأدركت أنّ إخوتنا الأتراك ساروا مشواراً طويلاً في قضايا الإسلاميّات، وأنّنا أغفلناهم كعادتنا حتى ظهر نجم قوّتهم السياسي، فسمعنا صوتاً يطالب بالتعرّف عليهم!!

إنّه مجرّد اقتراح قد تكون له صيغ متعدّدة وأشكال تطبيقية متنوّعة، أتمنى أن يسمعه أو يراه من له القدرة والتأثير، ليرى المشروع معه النور. وإنّني مجرّد مقدّم للاقتراح ولست مجرياً له ولا بصدد ذلك. والله من وراء القصد.

الموقف من المدارس الفكريّة بعد سقوطها

١٩ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

عندما تأتي مدرسة فكرية أو مشروع فكري أو اجتماعي.. ثم يظهر لي فشل هذا المشروع بعد حين.. غالباً ما نرتكب خطأ فظيعاً في الموقف مما اعتقدناه فاشلاً. ثمة للفشل والتهاوي أسباب.. ونحن لا ندرس السبب الذي أفضى لسقوط هذا المشروع/ الرؤية/ المدرسة.. بل نقول: فشل المشروع، ولا نبحث عن العنصر الذي احتواه فأسقطه.. وإنّما نحذف الكلَّ جميعه من الحسبان ونسقط كلّ مقولاته وأفكاره، ونهدر حرمتها وقيمتها.. فنخسر القويَّ منها، ونضحّي بالمفيد دون أن نشعر..

خطأ ارتكبناه مع الفكر الماركسي، ونرتكبه اليوم مع مدارس فكرية متعدّدة.. كلّ من موقعه وموقفه.. كالبناء عندما يسقط.. فهذا لا يعني أنّ كلّ حجر منه كان مسؤولاً عن السقوط، وينبغي رمي أحجاره في البحر!! لعلّ السبب حجرٌ واحد كان ضعيفاً، أو السبب في

الهندسة التي أقيم البناء عليها، لا في أحجار البناء نفسه.. **عندما نفقد قناعتنا برؤية أو فكر أو دين أو عقيدة أو مذهب أو فلسفة، فعلينا أن لا نتخلّى دفعة واحدة عن كلّ ما فيها، فنخسر عناصر القوّة بجرم عناصر الضعف**، وتفوتنا مصالح جمّة ونحن في طريق تلافي مفاسد كبرى.. **يجب أن ندرس بهدوء ـ دون انفعال أو استعجال ـ الجزيئات الصغيرة كعالم الفيزياء النقّاب.. كي نرى الأمور بشكل علمي أكثر..**

الوحدة الإسلامية أصل أوّلي أم ثانوي؟

٢٠ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

يذهب كثير من العلماء إلى أنّ الوحدة الإسلاميّة عنوان ثانوي، فالأصل هو عدم الوحدة الإسلاميّة ولكن نتجه نحوها عندما تفرض الحالات الطارئة ذلك، كوجود عدوّ غاشم نخشى من خطره لو اختلفنا.. فأصل الوحدة عندهم هو أصل مذهبي ـ لا إسلامي ـ بالعنوان الأولي.

ويرى العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين وآخرون **أنّ الوحدة عنوان أوّلي، فالأصل في المسلمين بمذاهبهم أن يكونوا متآخين موحّدين، وهذا هو حالهم الطبيعي**.. أمّا التفرّق فهو حالة طارئة تفرضها عناوين ثانوية مثل البغي أو الدفاع عن النفس.

رؤيتان محترمتان.. ولكلّ واحدة منهما نتائج وامتدادات، لكنّني في قراءاتي البسيطة أرى الثانية أرجح.

سعة مفهوم الوحدة الإسلامية

٢١ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

لا تعني الوحدة الإسلاميّة أو التقريب بين المسلمين أو التعايش بينهم أو.. تقاربَ الشيعة والسنّة فقط.. إنّه اختزال للقضيّة.. فليس المسلمون هم سنّة وشيعة فقط.. إنّ الوحدة تعني أنّنا أمّة واحدة:

- الشيعة والسنّة والإباضيّة و.. (تقارب بين المذاهب).
- الشيعة والشيعة، والسنّة والسنّة.. (تقارب داخل المذاهب).
- العرب والفرس والأتراك والهند والبربر و... (التقارب بين القوميات).
- الغني والفقير، والعالم والجاهل، وابن الست وابن الجارية! (التقارب بين الطبقات).
- الإسلامي والعلماني، القديم والجديد، التراثي والحداثي.. (التقارب بين الاتجاهات الفكرية).

- الرجل والمرأة (التقارب بين الجنسين).
- السلطة والمعارضة، هذا البلد وذاك البلد (التقارب السياسي).

إنّ ثقافة الوحدة تعني أنّ كل فريق منّا يختلف مع الآخر، دون أن يؤدّي هذا الاختلاف إلى إخراج أحدٍ لأحدٍ آخر من الأسرة.. فاختلاف الإخوة لا يخرج أيّاً منهم من العائلة.. ومصالح الأسرة جزء من المصالح الخاصّة العليا للأفراد المختلفين.

مشاريع الوحدة في الزمن الرديء

٢٢ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

كتب الشيخ محمد رشيد رضا يوماً عن الإمام أبي إسحاق الشاطبي (٧٩٠هـ) ونظريّته المقاصدية.. قال بأنّ مشروع الشاطبي كان رائعاً لكنّه لم ينجح.. ليس لأنّ المشروع ضعيف.. بل لأنّ الزمن الذي جاء فيه المشروع كان زمن الانحطاط في الحضارة الإسلاميّة.. ولو جاء مشروع الشاطبي في عصر النهضة الأخيرة لتغيّرت المسارات والأحوال..

لا يهمّني الآن مدى دقّة توصيف أو تحليل رشيد رضا في موضوع المقاصد.. لقد كتبت في نقد مشروع التقريب بين المذاهب.. وقلت يوماً في مؤتمر التقريب في طهران: تعالوا نعلن العام القادم عام النقد الذاتي.. لا أجد التقريبيين معصومين أو كاملين.. أو أنّ مشروعهم لا يعلى عليه.. ثمّة مشاكل كثيرة يعانون منها.. وسأقبل بأيّ نقد علمي لهم.. لكن لكي أنصف ولو بعضهم، وأنصف المنجز التقريبي الفكري

خلال قرن.. وهو منجز أكاد أجزم بندرة قرّائه.. لكي أعطيهم حقّهم بعد أن طالعت الكثير مما كتبوه.. يمكنني القول بأنّ من مشاكلهم أيضاً أنّهم أتوا بمشروع مهم في زمن رديء.. والزمن الردئ تُرى فيه أفخم البضائع وأرقى السلع مرميةً على حافّة الطريق.. وفي الزمن الرديء يبحث الناس عن خلاصهم ولا يرون أنّه موجود في الكنوز التي يرمون بها كلّ يوم في مستودعات القمامة.. أو وضعوها صورةً يمرّون عليها كلّ يوم وهم عنها غافلون.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[سورة يوسف، الآية: ١٠٥].

أسبوع الوحدة الإسلاميّة

٢٣ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

أسبوع الوحدة الإسلامية ليس مناسبة تشريفات.. أو عنواناً للاستغلال السياسي الصوري. بل فرصة لتداول ما غيّبته الطائفية من مفاهيم ومقولات، وما بات الحديث فيه جناية أو خيانة أو سيئات، مع أنّه كان أوّل خطوة نبويّة بعد الهجرة. عنيت المؤاخاة.. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

نعم، المؤاخاة.. هي تقاسم الأموال.. التضحية المتبادلة في سبيل بعضنا بعضاً.. مرجعيّة القواسم المشتركة.. حقّ النقد والاختلاف.. فتح باب الاجتهاد في الفلسفة والعقيدة والفقه والكلام.. اتفاقيات تعاون ودفاع مشترك..

وفي الوقت نفسه، **تعني المؤاخاة أن أرى عيوبي في مرآتك، وترى عيوبك في مرآتي.. أن نصحّح لبعضنا المفاهيم والأفكار والمسلكيات .. لا أن نغرق بالمجاملات**.. أو نبادل الرذائل بالابتسامات ..

كلّها مفاهيم يمكن أن تجتمع عندما يكون هناك:

١. إدراك واقعي للعقل ومحدوديّته وآليات عمله (بعد معرفي).

٢. قيم أخلاقيّة إنسانية ودينية راسخة وحقيقية وليست شكلية وبروتوكوليّة (بعد قيمي أخلاقي).

هنيئاً للمسلمين بأسبوع وحدةٍ حقيقي وعملي وجادّ.

التكفير بلازم القول

٢٤ ـ ١ ـ ٢٠١٣م

أكبر خطأ في تعامل المسلمين والمذاهب وأصحاب الآراء مع بعضهم هو تحميل كلّ شخص للآخر لوازم مذهبه.. وكأنّ الآخر يعتقد بهذه اللوازم.. هنا تكمن واحدة من روافد التكفير والحكم بالردّة..

قال المتكلّم للفيلسوف: أنت كافر لأنّك تقول بقِدَم العالم، وهو يلازم وجود واجبَي وجود وإلهين.. مع أنّ الفيلسوف لا يقول بالإلهين ولا يؤمن بهذا اللازم. بل العجيب أنّه يقول بأنّ قدم العالم يثبت حاجة مضاعفة للواجب تعالى من قبل هذا العالم، لا استغناء هذا العالم عن الله..

وقال المعتزلي للأشعري: أنت تقول بنفي التحسين والتقبيح العقليّين، وهذا لازمه أنّ الله كاذب وظالم و.. وقال له الأشعري: أنا لا أقول هذا اللازم، ولا أرى أنّ قولي يلازم أنّ الله كاذب..

وقال السنّي للشيعي: أنت تعادي الرسول لأنّ ذلك لازم كونك

تقطع صلتنا به عبر حذف واسطة الصحابة.. وقال الشيعي: هذا اللازم غير صحيح؛ لأنّني أملك واسطة أخرى، ولا أرى أنّ موقفي من الصحابة يفضي لهذا اللازم الذي تراه أنت.. وهكذا..

إذا قال لك شخص أنا أؤمن بـ (أ)، وكان (ب) عندك يلازم (أ)، فلا يعني ذلك أنّ ذاك الشخص يؤمن بـ (ب)؛ بل لابدّ له أن يرى (ب) ويرى الملازمة بينها وبين (أ) حتى يؤمن أو لا يؤمن.. فلا يصحّ أن أحاكم باللازم الذي أراه أنا فقط.

فلسفة أرسطو من المادة إلى ما ورائها

١٥ ـ ٢ ـ ٢٠١٣م

أمشي كلّ يوم صباحاً باكراً سيراً على الأقدام لألقي دروسي اليوميّة، ومنها درسٌ متواضع في الفلسفة.. ألتقي في الطريق كلّ يوم تقريباً بأحد حضّار هذا الدرس، وهو أخونا الباحث أمير ديلمي من إيران.. نسير لثلث ساعة نتحاور في قضايا فلسفية أو فكرية عامّة.. وفي الهموم أيضاً..

قال لي يوماً: بحثنا كثيراً في لماذا سمّيت قضايا الميتافيزيقا بما بعد الطبيعة؟ وقلنا: لأنّ أرسطو وضعها بعد بحوث الطبيعيات عنده.. لكن لم ننتبه ـ بحسب وجهة نظر صديقي ديلمي الحبيب ـ إلى أنّه لماذا وضع أرسطو الميتافيزيقا بعد الطبيعيات؟ ألا يعني ذلك عنده أنّ فهم الميتافيزيقا ينبني على فهم الطبيعة؟ أليست الفلسفة الصدرائية تبدأ بكلّيات الوجود وتبحث في أصالة الوجود والماهية وفي الوحدة التشكيكيّة وغيرها قبل كلّ شيء، لأنّ كلّ الأبحاث اللاحقة تنبني

عليها؟ ألا يحتمل أنّ أرسطو فعل ذلك لأجل ذلك؟

كلام صديقي (الذي أحبّ أن أقول له دائماً بأنّنا حيث نتناقش ونحن نمشي، فقد يجوز أن نسمّى يوماً بالمشائين الجدد) معناه أنّ بداية المعرفة حسية.. ثم يكون التجريد والتقشير كما يقول الفلاسفة.. وهو كلام لا يلتقي مع الكثير من أصول العرفاء أو الإشراقيين أو الصدرائيين عادة.. فكرةٌ أنقلها للتداول، لأشكر فيها صديقي العزيز ديلمي على حواراته الممتعة كلّ يوم..

العقول المتفوقة والإرادات الضعيفة

١٦ ـ ٢ ـ ٢٠١٣م

العقول المتفوّقة تذلّها إرادات أصحابها الضعيفة. والإرادات القويّة تصنع عقولاً متفوّقة.

يقولون بأنّ أغلب عباقرة العالم ومبدعيه كان ذكاؤهم متوسّطاً لكنّهم كانوا مثابرين وأصحاب عزم وصبر وإرادة.. ربما يكون هذا صحيحاً.. سمعت مرّةً من أستاذنا ـ الذي تشرّفت بحضور درسه لبضعة أشهر ـ وهو المرجع الديني الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي (رضوان الله تعالى عليه)، قال: «طلاب العلوم الدينية العرب قد يكونون أكثر ذكاء من غيرهم، ولكنّهم أقلّ مثابرة وأنفاسهم قصيرة المدى».

لست أهدف الدفاع عن مقولة هذا الشيخ الجليل (رحمه الله) في تفاصيلها، بقدر ما أريد القول **بأنّ الصبر والإرادة في حركة العلم**

والتعلّم قد تسبق قوّة العقل في تحقيق النتائج على المدى البعيد. وفي المثل الفارسي يقولون: تتساقط القطرة على القطرة.. فيصبح القليل بحراً متماوجاً..

استعجالُ النتائج فقدانٌ لها.

خاطرة من الشهيد السيد عباس الموسوي

١٨ ـ ٢ ـ ٢٠١٣م

كان قد اتخذ المنزل المقابل لمنزل أسرتنا في مدينة صور مكاناً للنزول حين يأتي إلى الجنوب.. وكان أباً عطوفاً حنوناً.. لم يكن طاغية.. ولا جباراً في الأرض.. كان متواضعاً جدّاً.. ورمزاً للتسامح والرحمة بين المؤمنين.. إنّه الشهيد السعيد السيد عباس الموسوي (رحمه الله تعالى)..

يوماً ما، وفي مقتبل عمري.. كنت في المسجد.. نتحضر لحضوره ليلقي على الناس عظةً أو فائدة.. كان المسجد غاصّاً بالناس.. ألقى كلمته.. ولمّا انتهى سألوه عدّة أسئلة..

قالوا له: إنّ بعض المسلمين يذهبون للغرب ويستحلّون أموال الناس هناك.. فيسرقون ويختلسون و.. هل يجوز ذلك؟

أجاب ـ بعيداً عن الفقه وتعقيداته ووجهات النظر المحترمة فيه ـ بأنّه وجّه نفس السؤال إلى السيد الشهيد محمد باقر الصدر..

أجابه الصدر حينها قائلاً: **وهل يكون المسلم سارقاً؟!** اكتفى شهيدنا الموسوي بهذا المقدار.. ليذهب أبعد من مجرّد القانون والفقه.. **إلى حيث التربية والروح.. إلى حيث ما هو الأقوم..**

خاطرة أحببت نقلها أداءً لأقلّ الواجب أمام شهيد مقاوم، ما عرفناه إلا قلباً نابضاً بالصدق والإيمان.. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً..

النقد وثقافة البديل

٢٢ ـ ٢ ـ ٢٠١٣م

دائماً نتحدّث عن البدائل عندما ننتقد الواقع. نقول: ما البديل عن هذا الأمر الذي ننتقده؟ مسكونون نحن بهاجس البديل.. فكرةٌ ممتازة وتعبّر عن وعي كبير.

لكن في بعض الأحيان يكون البديل هو الفراغ (اللابديل) يكفي أن تنتقد الفاسد ليسقط، لست بحاجة بعد ذلك إلى بديل.. لأنّ المشكلة كانت في وجود الشيء، والحلّ هو في عدمه فقط.. كالسفينة المشرفة ـ من الأحمال الكبيرة ـ على الغرق.. حلّ مشكلتها هو رمي الزائد.. وليس وضع شيء بعده ومكانه!! وكالحجارة في الطريق تسدّ ممرّ الناس.. الحلّ معها هو رميها جانباً لا وضع بديل لها!!

إصلاح أيّ مشكلة له وجهان:

١. إزالة العوائق فقط..

٢. إزالة العوائق ووضع بديل..

وعليك أن تحدّد أنّ المشكلة التي تعالجها من أيّ النوعين.

كيف تقرأ كتاباً أو مقالة؟ وكيف تستمع لمحاضرة أو حوار؟

٢٤ ـ ٢ ـ ٢٠١٣م

١. تنظر في اسم وشخص المؤلف أو المحاضر.. إلى أيّ جهة ينتمي.. شيعي أم سنّي أم إباضي أم.. علماني أم إسلامي.. حداثوي أم تقليدي.. حوزوي أم جامعي.. عربي أم فارسي.. شرقي أم غربي..

٢. انطلاقاً من موقفك من المؤلّف أو اتجاهه الفكري، تقوم بالبحث عن الملائكة والخير في كلامه.. أو عن العفاريت والشياطين والشرور والمؤامرات.. حاول تطبيق هذه الطريقة وستعثر على شياطين كثر لم يكن يعرفهم المؤلّف نفسه.. وستعثر أيضاً على ملائكة حافّين بالكتاب والمقالة، لم يخطروا على بال صاحب الكتاب نفسه..

هذه هي الطريقة الأكثر رواجاً بيننا ـ مع الأسف ـ لتقييم المنجزات العلميّة!! افعلها فهي من المجرّبات النافعات..

قاعدة قد تكون مفيدة في الحوار

٢٧ ـ ٢ ـ ٢٠١٣م

لا يكفي لكي تخوض حواراً أن تتعرّف مسبقاً على أفكار الطرف الآخر.. ولو من مصادره.. ولو بموضوعيّة.. المهم أيضاً أن تتعرّف جيداً على طريقة تفكيره ومنهج وصوله لأفكاره.. لأنّ إقناعه وإيصال فكرتك إليه مرتبط أيضاً بطريقة فهمه للأشياء ونمط اقتناعه بها..

طرائق التفكير عللٌ للأفكار فاعرف العلل تعرف النتائج، وتعرف أيضاً لماذا كانت هذه النتائج.

الرفق في الدعوة إلى الدين

٢٩ ـ ٢ ـ ٢٠١٣م

في حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول فيه مخاطباً عمار بن أبي الأحوص: «أما علمت أنّ إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور. وإنّ إمارتنا بالرفق والتألّف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغّبوا الناس في دينكم وفيما أنتم فيه»[1].

هل تحكّم المفاهيم الدينية ويدعى لها اليوم بحسن الخلطة؟ بالوقار؟ بالرفق؟ بالتألّف؟ بالترغيب؟ أم عند كثيرين.. صار شعار الدعوة إلى الله.. أن تكون بالترهيب! بالفرقة والبعد! بالشدّة والعسف! بالخفّة والصياح والعنف! بسوء العشرة مع الناس! بسوء الظنّ بالآخرين؟!

الدين سلطان القلوب والأرواح، وسلاطين القلوب لهم سياستهم الخاصّة وسيسقطون عندما يستخدمون سياسة سلاطين الأبدان.

---

(١) الخصال: ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

حجاب المرأة بين المفهوم المادي والمعنوي

٧ ـ ٣ ـ ٢٠١٣م

يقولون: إنّه ليس المهم الحجاب الذي تضعه المرأة على رأسها.. المهم هو الحجاب المعنوي.. أن نصنع في داخلها حصانة الأخلاق.. حصانة الأدب.. حصانة الرقي والتسامي..

موضوع فقهي تاريخي طويل جداً حول الحجاب (الستر) في الإسلام لا يهمّنا الآن.. فلكلّ وجهة نظر.. لكن أقول: حسناً ما دام الفريقان المؤيّد لحجاب الفقهاء (كما يسمّونه) والمعارض له يتفقان على ضرورة صيانة المرأة أخلاقيّاً.. فلماذا لا نجد ـ بدل الجمود على التصارع في الحجاب الفقهي ـ سعياً حقيقيّاً في الدفاع عن الحصانة الأخلاقية في المجتمع؟! كيف أقول بأنني مع الحجاب المعنوي وأنا أدعم الفنّ الهابط أخلاقياً أو لا تجدني أبادر لأيّ مواجهة سلمية معه؟! وأتعامل معه كتعاملي مع الفنّ الراقي والمتعالي! أين جهودي في مواجهة الإباحيّة السافرة والمقنّعة التي تفتت شبابنا؟ كما تمزّق شمل

أسرنا بالطلاق!! ماذا فعلت لتحصين الفتيان والفتيات من الرذيلة؟! وأين برامجي في هذا السياق؟ ما هي الطروحات التي قدّمتها تجمع بين ترك حجاب واحتجاب الفقهاء وبين ضمان حماية المجتمع أخلاقيّاً؟!

كفانا تصارعاً على موضوع حجاب المرأة بين العلمانيين والإسلاميين، **وتعالوا لنتعاون على صيغ مشتركة تركّز على تأمين الحصانة الأخلاقيّة وعدم ذهاب الجيل الصاعد نحو العدمية والعبثية والمجهول، وهو يرانا نتشاجر.**

نداء أوجّهه إلى ثنائي العلماني ـ الإسلامي في عالمنا العربي، لنتواصل فيما نشترك فيه، إلى جانب تفاصلنا الفكري فيما نختلف فيه.

أخواتي وإخوتي أو إخوتي وأخواتي، كان غرضي من هذا المنشور أن نفكّر في مشاريع تحصين أخلاقي للفتيان والفتيات معاً كما جاء في المنشور، وليس للفتيات فقط، وأن نفكر جميعاً رجالاً ونساء وليس رجالاً فقط، وأن نترك ـ ولو أحياناً ـ الجدل حول قضيّة الحجاب والمرأة، ولكن يبدو أنّ الجدل حول هذه الموضوعات قابع في أعماقنا، لهذا لعلّني لم أر تعليقاً حول كيفية التلاقي على التحصين الأخلاقي للمجتمع بقدر ما رأيت سعياً لأن يتهم أحدنا الآخر بأنّه المسؤول عما حصل! أو بأنّه صدى لمؤامرات غربيّة!

لا أريد أن أفكّك بين الأمور نهائياً، لكن كنت أريد أن نعمّم ثقافة

العمل المشترك على ما نلتقي عليه، بعد أن فشلنا في حسم الخلاف بثقافة الجدل على ما نختلف عليه في موضوع المرأة، لكن يبدو أن ما نختلف عليه مازال مسيطراً على كلّ مساحة التفكير، حتى لا يكاد يسمح لما نتفق عليه بأن يحيا ويظهر.

أنا لست ضدّ أن نختلف لكنني ضدّ أن لا نتفق ولو في مساحة صغيرة. أشكر الآن ودوماً كلّ تعليقاتكم التي أستفيد منها بالتأكيد، وليس قصدي الوصاية بل إبداء وجهة نظر، فأنا أقلّ من ذلك وأنتم أكبر.

الدواء وخطورة استعمال الأصحاء له

٩ ـ ٣ ـ ٢٠١٣م

يعلّمنا الأطباء أنه من الخطر تناول الأدوية دون وصفة طبيب.. شيء جميل.. لأنّ الدواء وضع لمعالجة حالة مرضيّة.. فأن تستعمله وأنت لا تعاني منها سيسبّب ذلك في كثير من الأحيان خطراً على صحّتك.. ألا تنطبق هذه القاعدة على الكثير من الأمور في حياتنا؟

التلفاز للترويح عن النفس مثلاً.. صرنا نستعمله حتى لو كنّا مرتاحين! التلفون للتواصل مع الناس وتقريب البعيد.. صرنا نستعمله حتى ابتعدنا عن القريب وصارت مجالسنا لا حوار ولا كلام فيها داخل الأسرة الواحدة! الفرح أو البكاء لتنفيس الضغط.. صرنا نستعملهما ثقافة يوميّة دائمة حتى بعضنا لا يضحك وبعضنا لا يبكي! المنشطات والمقويّات لمعالجة حالة ضعف.. صارت تستعمل من قبل الأقوياء! والأمثلة إلى ما شاء الله، في قضايا العلاقات.. الجنس.. التقنيات.. الانتماء.. التفكير..

عندما يُستخدم ما هو لحال الضرورة، في حال عدمها، أو يستخدم ما وضع لحال معيّن في كلّ الحالات.. ولا يوجد ضبط اجتماعي أو تربوي متوازن للموضوع.. فيجب الاستعداد لمشاكل كثيرة.

نصرة الله للمظلوم بصرف النظر عن دينه

١٥ ـ ٣ ـ ٢٠١٣م

جاء في صحيحة إسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجل أوحى إلى نبيّ من أنبيائه في مملكة جبّار من الجبارين أن ائت هذا الجبار فقل له: إنّي لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال، وإنّما استعملتك لتكفّ عنّي أصوات المظلومين، فإنّي (لن) لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً»[1].

المظلوم في الدين مظلوم، سواء كان مسلماً أم مسيحياً أم يهودياً أم ملحداً أم أيّ شيء كان.. الظلم مرفوض حتى لو صدر من مسلم أو مسيحي أو يهودي أو ملحد.. والنتيجة: **إنّ الظلم والظالم والمظلوم والمظلومية مفاهيم هي عند الله إنسانيّة بامتياز وليست دينية فقط.**

سينتصر الله من الظالم المسلم للمظلوم المسيحي.. وبالعكس.. ومن الظالم المنتمي لهذا المذهب للمظلوم المنتمي للمذهب

(١) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال: ٢٧٢؛ والكليني، الكافي ٢: ٣٣٣.

الآخر.. وبالعكس.. لن يتحوّل الظلم عند الله إلى عدل مهما خلعنا عليه من أسماء وعناوين.. والمهم أن نستجلي معنى العدل والظلم وحدودهما..

معيار مهم في حقّ الولاية على المسلمين

١٨ ـ ٣ ـ ٢٠١٣م

جاء في صحيحة ابن فضال على المشهور، عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «.. صعد النبي المنبر فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فصار بذلك أولى بهم من آبائهم وأمّهاتهم، وصار أولى بهم منهم بأنفسهم..»[١].

الحديث يقرّر أنّ ولاية النبي على المؤمنين والتي وردت بنصّ الكتاب الكريم جاءت عقب إعلانه أنّه يتكفّل بديون الناس وضياعهم ـ أي أولادهم الفقراء الذين لا راعي لهم ـ يشير هذا إلى أنّ الولاية متفرّعة على التصدّي وإعطاء المسلمين حقوقهم (الاقتصادية بالحدّ الأدنى).

يقول الحديث: إنّ النبي بعد هذا صار أولى بهم من أنفسهم.. ويقول بأنّ النبيّ لمّا قام مقامهم في رعاية أبنائهم وديونهم صارت له

(١) علل الشرائع ١: ١٢٧؛ ومعاني الأخبار: ٥٢؛ وعيون أخبار الرضا ١: ٩١.

هذه الولاية.. هل يمكن أن نفهم أنّ الولاية ليست شأناً خاصّاً بالسمات الشخصيّة للحاكم فقط.. بل هي أيضاً على علاقة وطيدة بمقدار قيامه بمراعاة مصالح المسلمين وتأمين حاجياتهم؟! فإذا كان له هذا الدور استحقّ أن يتولّى أمورهم أمّا إذا لم يكن له ـ بمقدار مكنته ـ فلا فعليّة لولايته مهما بلغ من العلم والإيمان في حدّ نفسه.. بل عليه أن يثبت بالتجربة عطاءه للمسلمين أيضاً، بعد العلم والإيمان، ثم يقول أنا في مستوى أن أكون مديراً لشؤونهم..

سؤال أتركه لنفكّر فيه، ولست أخرج هنا بنتيجة نهائية، لكنّني استغربت أنّ الفقهاء تناولوا هذه الرواية عند الحديث عن سلب ولاية الزوج أو الأب بعد تخلّيه عن النفقة.. لكنّهم لم يشيروا ـ غالباً ـ إلى أنّ الموضوع ورد بالأساس في ولاية المسلمين العامّة وإدارة المجتمع الإسلامي..

حديث شريف يوضح مفاهيم ويصحّح أخرى

٢ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

جاء في الخبر المصحّح عند كثيرين، عن خيثمة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام أودّعه فقال: «يا خيثمة أبلغ من ترى من موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيهم على فقيرهم، وقويّهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميّتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ لُقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا. رحم الله عبداً أحيا أمرنا. يا خيثمة أبلغ موالينا أنا لا نغني عنهم من الله شيئاً إلا بعمل، وأنّهم لن ينالوا ولايتنا إلا بالورع، وإنّ أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره»[1].

(١) الكافي ٢: ١٧٥.

حديث صحيح يحمل معانيه ويُلفت لمغازيه

٣ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

جاء في الحديث الصحيح عن أبي المغرا (المعزا)، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه، ويحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون (والتعاقد) على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجل رحماء بينكم متراحمين مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

(١) الكافي ٢: ١٧٤.

المسلمون والعرب روّاد علم المقاصد!!

٥ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

لا تستغرب.. فالكل بات يقرأ نصّك في ضوء علمه بمقاصدك، ولا يتعرّف على مقاصدك في ضوء ما كتبت أو قلت!! القاعدة معكوسة هذه المرّة.. كأنّ لديهم اتصالاً مباشراً بالمقاصد بعيداً عن دوالّها من الكلام أو الفعل أو اللفظ..

ومن معالم الإبداع الاكتشافي للمقاصد أنك لو قلت: الله موجود قالوا: قصدت أنه غير موجود. ولو قلت: أنا هنا، قالوا: قصدت أنّك هناك.. لو تعمّقنا أكثر سنجد أننا صرنا مثل العرفاء والمتصوّفة!! هم يقولون: لا يعرف مراد الله من كلامه.. بل يعرف كلامه من مراده.. ويعرف مراده بالعروج الروحي إليه. نحن هكذا صرنا!!

نعم، نحن روّاد علم المقاصد، عنيت المقاصد (البشريّة) لا الشرعيّة.

ما أجمل أن يكون الإنسان عيانه أعظم من سماعه!

٦ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

كثيرون تصنع مخيّلتنا عنهم صوراً جميلة مما يُحكى عنهم أو يقرأ ويسمع لهم وعنهم.. ولكن إذا تواصلت معهم واقتربت منهم تصغر الصورة الكبيرة التي كانت في ذهنك عنهم.. تتصوّرهم علماء أو أصحاب صفات سامية فتلتقيهم فتضمحلّ الصورة.. وأحياناً تتلاشى!!

وهناك أشخاص لا نملك في أذهاننا إلا بعض الصور الصغيرة عنهم.. فإذا التقيناهم كبرت الصورة.. وازددنا إعجاباً بشخصيّتهم أو بعقلهم أو بخلقهم أو.. ما أروع أن يكون الإنسان من النوع الثاني. إذا التقاك الناس كبرتَ في نظرهم ولم تصغر.. فتصنع صورتك بنفسك عندهم.. ولا تُصْطَنَع صورتك لهم..

قيمتُك في الحضور لا في الغيبة.. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

العقل المقلوب وكيف يرى الأشياء؟

٧ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

أخبرني يوماً أحد أصدقاء والدي الأعزاء هذه القصّة (الطرفة).

(رامز) شخص كثير الأسئلة الغريبة العجيبة والمتحايلة.

قال للعالم المثقف الذي يعمل قاضياً في المحكمة، وهما وقوف على جسر نهر الأوّلي في جنوب لبنان: لماذا وضع هذا الجسر؟

أجاب القاضي: لكي تمرّ عليه السيارات.

رامز: كلا.

القاضي: لكي يمرّ عليه الناس.

رامز: كلا.

القاضي: لكي يربط منطقتين ببعضهما.

رامز: كلا.

القاضي: لكي تنقل البضائع لمن هم في الطرف الآخر.

رامز: كلا.

تعب القاضي منه وتذمّر فقال له: أخبرني أنت لماذا؟!

قال: لكي يمرّ النهر من تحت الجسر!

في عالم الفكر والثقافة والدين والاجتماع (والسياسة بالخصوص) هناك الكثيرون من أمثال صديقنا (رامز).

البحث عن الحلّ في داخلنا

٢١ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

عندما يضيع منّا شيء.. نبحث عنه من حولنا.. نفترض أنّه ليس معنا.. نتجه ـ في العادة فوراً ـ لما هو خارج عنّا للبحث عنه.. لأنّ الأشياء غيرنا.. لكن في عالم النفس والقيم والعلم والروح والعاطفة وبناء الذات و.. نخطأ عندما نقيس حالاتنا بمن يبحث عن مفتاح أضاعه أو ساعة أو دواء.. نقيس غير المحسوس على المحسوس.. قد يكون الأمر معكوساً.. قد تكون الحلول داخلنا ومع ذلك غابت عنّا.. ولأنّنا نقيس الأشياء على بعضها خطأ، نظن دائماً أنّ الحلّ خارجنا فنبحث عنه.. كم من موهبة لا نعرف أننا نمتلكها.. لأنّنا لم نضع ذواتنا في معرض اكتشاف مواهبنا..

ابحث عن ذاتك الضائعة وهي بين جنبيك.. اكتشف ذاتك بدل كلّ هذا اللهث خلف اكتشاف الآخرين.. فذاتك أهم وأعظم.. لقد دخلت ذواتنا في غيبوبة عندما حضر الآخر.. مع أنّ الآخر أحد أهم وسائل

حضور ذواتنا عندنا..

وللقرآن وجهة نظر عجيبة هنا، حيّرت بعض المفسّرين فأكثروا فيها من التقدير والحذف، هو يرى أنّ أحد أسباب نسيان النفس هو نسيان الله.. (العبارة بسيطة متداولة، لكنّ المعنى ليس سهلاً، فكيف يكون ذلك وما الربط بين النسيانين؟). موضوع يحتاج لتأمّل لكنّه مفتاح مهم في الثقافة الدينية.. مهما كان موقفنا تجاهه.. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[سورة الحشر، الآية: ١٩]. أترك الآية للتداول والتفكير.

معيار الحقّ هو المنطق لا المزاج

٢٣ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

بالأمس كنت ألقي محاضرةً عامّة في إحدى كلّيات جامعة المصطفى العالميّة.. كانت حول المنهج القصدي في اللغة ونظرية المفكّر الراحل عالم سبيط النيلي (رحمه الله) في اللغة الموحّدة والنظام القرآني.. كانت خطوة جيّدة من منظّمي المحاضرة لإثارة أفكار القصديين في عُقر دار خصومهم.. حاولت أن أشرح النظريّة بتبسيط بالغ، وأسير معها فكرةً فكرة سيراً متواضعاً.. ثم أبيّن ملاحظات النقاد عليها..

كنت أتعمّد النظر في الوجوه لأرى فيها ردّات الفعل.. لاحظت أنّه كلما أثرتُ فكرةً للقصديين بعيدة عن المألوف والمأنوس، لم تحكِ لي تقاسيم وجوه الحاضرين عن تفاعل موضوعي.. كان التفاعل غير مناسب، والغريب أنّ ذلك كان يحدث بطريقة غير شعوريّة منهم..

هناك أشخاص عندما تكون الفكرة قريبة من مزاج تفكيرهم العام،

فهم يحترمونها حتى لو اختلفوا معها.. وعندما تكون الفكرة بعيدة عن مزاج تفكيرهم العام، فسيبدون ردّة فعل غير شعوريّة أشبه بحركة جفون العين، تتمثل في عدم احترامهم للفكرة.. حتى قبل أن يستمعوا لمبرّراتها من وجهة نظر أصحابها..

بالنسبة لي أقول: **يلزمنا الكثير من التدرّب نفسيّاً وأخلاقيّاً ـ في المجال الفكري والثقافي ـ لكي لا يكون مزاج تفكيرنا العام معياراً، بل تكون الأدلّة والمعطيات الموضوعية هي المعيار**، ولو فرضت علينا تغيير مزاج تفكيرنا العام.

لست مقتنعاً بالمدرسة القصديّة، وإن التقيت معها في بعض الخيوط، لاسيما في بعض نقدياتها على من تسمّيهم ـ ولا أحبّ هذه التسمية ـ بالاعتباطيين، لكنّني لم أسمح لنفسي عندما أتعامل معها أن أجعل دهشتي من الأفكار سخريةً أو تهاوناً، **فلست أنا مقياس هذا العالم!**

بين سلطة الوعي والوعي السلطوي

٢٧ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

عندما لا تكون هناك سلطة وعي تحكم المجتمع.. سيكون هناك وعي سلطوي ينادي بممارسة القوّة في كلّ شيء لتحصيل الحقّ.. بل لتحصيل ما ليس بحقّ!! **كلما تراجعت سلطة الوعي العام تصاعد المنطق السلطوي**.. وصارت (حارة كل من إيدو إلو).. هناك تتسارع الناس لتحصيل حقوقها بالقوّة المباشرة.. فلا سلطة لقانون ولا لمنطق ولا لتوازنات ولا لقيم ولا لغير ذلك..

أشعر أنّ كثيراً من بلداننا هذه حالها.. ويبدو أنّ هذا حال بلدي لبنان.. فالمواطن لم يعد ينتظر سلطة تعيد له الحقّ (أيّ سلطةٍ كانت).. صارت سلطته يده.. ومنطقه الذي فُرض عليه فرضاً وبغير حقّ هو (إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب). وتتتالى الحكومات والزعامات، والشاعر يقول عن أكثرها:

يا ليت جور بني أمية دام لنا　　وليت عدل بني العباس في النار

استحالة اجتماع النقيضين: الإسلام والعروبة!

٢٨ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

في الكونغرس الأميركي يمكن أن تكون عربياً غير مسلم (مسيحي أو يهودي)، ويمكن أن تكون مسلماً غير عربي (إفريقي مثلاً)، لكن حتى الآن يقولون: لا يمكن أن تكون مسلماً وعربياً في آن واحد.

لماذا؟ أهو تقصير المسلمين العرب في الوصول إلى مراكز القرار؟ أم هناك منعٌ ضمنيٌ أو يهوديٌ أو... من ذلك؟ مجرّد سؤال.

في بلادنا الإسلامية أربعة يخوّفون من أربعة

٣٠ ـ ٤ ـ ٢٠١٣م

في بلادنا العربية والإسلامية يوجد أربعة يخوّفون الناس من أربعة:

يقول الأوّل: أنا أو الهرج والفوضى.

ويقول الثاني: أنا أو الجهل والتخلّف.

ويقول الثالث: أنا أو الكفر والضلال.

ويقول الرابع: أنا أو الخيانة والعمالة.

أمّا أنا ـ رغم الصحّة النسبيّة للأقوال الأربعة المتقدّمة ـ فأقول:

أنا أو أنت.

وربما أقول: أنا وأنت.

وقد أقول: نحن أو الأنا الجماعيّة.

ورحل مطهّري

٢ ـ ٥ ـ ٢٠١٣م

في مثل هذا اليوم رحل العلامة المفكّر مرتضى مطهري، ورحلت معه تجربة طويلة من النشاط الفكري التنويري.. وبعد زهاء ثلث قرن من رحيله.. يأتي سؤال: أين هي مآلات النهضة والتنوير في العالم العربي والإسلامي؟ فبدل أن يستمرّ التنوير ويتجاوز مطهري.. تراجع! حتى أنّه لم يقف عند مطهري! لم يرضَ به! تراجع! ومن رضي به آثر أو اضطرّ أن يجلس محبنطئاً عنده لا يتقدّم!

حذّر كثيرون من هذه المرحلة، وهذه اللحظة التاريخية البائسة.. لم يسمعهم أحد.. حتى أنّهم ما كانوا يسمعون أنفسهم.. وتحقّقت نبوءة توينبي، وليس سوى إيماني الديني يقول بأنّها لم تتحقّق.. وإلا فالعقل الديني المترهّل اليوم.. وما يجري من سفك دماء، وما سمعناه اليوم ـ إذا صحّ ـ عمّا جرى، لا يؤكّد إلا مقولة توينبي..

يقول توينبي في رسمه البياني لمسيرة الحضارات: تنمو الحضارات

بشكل تدريجي لكن سريع.. ثم تسير في خطّ مستقيم طويل.. ثم تنحدر بشكل تدريجي.. وقبل أن تصل للنهاية.. ترتفع مرّةً أخرى إلى أعلى نقطة ممكنة لها.. ثم يكون السقوط المدوّي..

أخشى أن يكون الارتفاع السابق في القرن العشرين قد أعقبه السقوط المدوّي..

أعيد: لولا إيمانٌ في قلبي سبق، ورجال ما زلنا نراهم أنار الله قلوبهم، لما توانيت عن تصديق توينبي في نظريته في الحضارات وتطبيقها على واقع الأمّة الإسلاميّة.. فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وإنّا على فراق وعيك يا مطهري ورفاق دربك لمحزونون..

الناجحون وإغفال الضجيج من حولهم

٥ ـ ٥ ـ ٢٠١٣م

عندما يسير الإنسان الناجح في الحياة.. يسبق الآخرين الفاشلين أو الأقلّ نجاحاً.. فتتعالى أصواتهم من خلفه..

لا ينبغي أن يلتفت لضجيجهم.. لأن التفاته إلى الوراء يؤدّي في كثير من الأحيان:

١. إمّا إلى تعثره في مشيته..

٢. أو إلى اضطراره لتخفيف سيره كي لا يتعثّر..

لهذا يقول غوستاف لوبون على ما أذكر: إنّ المحيط الاجتماعي قد يكون أحد أسباب تراجع ذكاء الفرد؛ لأنّه يفرض عليه تعطيل جزء من طاقاته الفكريّة مراعاةً له.

نحن وجماهيرنا

٩ ـ ٥ ـ ٢٠١٣م

يكذب بعضنا على الناس، فنقدم أنفسنا لهم على غير ما نحن عليه.. فكراً أو عملاً أو.. فيصبحون جمهوراً لنا..

ليست هذه صناعة جمهور لنفسك.. هي صناعة جمهور لشخصٍ آخر غيرك، حفرته في عقول الآخرين وخيالهم.. ولو رأوا ذاتك الحقيقيّة ما كانوا جمهوراً لك..

هنيئاً لمن يصنع جمهوراً لشخصيّته الحقيقيّة، بدل أن يخلق في خيال الجمهور شخصيّةً وهميّة..

عندما تغيب الرؤية

١٧ ـ ٥ ـ ٢٠١٣م

عندما نسير في الجبال الوعرة ويهاجمنا الضباب.. فتختفي الرؤية.. لا يصحّ أن نغلق أعيننا بحجّة أنّ الرؤية اختفت.. ولا نصحّ أن نكشح بوجوهنا جانباً فلا ننظر.. بل المطلوب أن نزيد من فتح عيوننا وندقّق أكثر في الطريق أمامنا..

هكذا الحال في عصور وظلمات الفتن الفكرية والدينية والثقافية والسياسية.. لا يصحّ أن أغمض عينيّ أو أضع رأسي في التراب أو أسلّم عقلي لغيري.. بل هنا تصبح مسؤوليّتي أن أضاعف من التفكير والتدقيق والتأمّل وحسبان الأمور.. لقد خلق الله عيوننا أنّها عندما تواجه الظلام تفتح أكثر وتضاعف من قوّة إبصارها.. وأعتقد أنّه خلق العقول كالعيون، فإنّ العقول عيون البصيرة..

﴿..فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

[سورة الحج، الآية: ٤٦].

طرفة نعيشها كثيراً

٢٥ ـ ٥ ـ ٢٠١٣م

يقولون سأل المريض الطبيب: أيها الطبيب، إنّني لا أرى، لماذا؟

فأجابه الطبيب: ومتى يكون ذلك؟

قال المريض: عندما أغمض عينيّ..

(يضحك الجمهور)

في حياتنا نرى أنفسنا وكثيرين نريد رؤية شيء ولسنا مستعدّين لفتح عيوننا.. نريد رؤية شيء على مزاجنا.. وإلا فهو لا يُرى.. وليس موجوداً!!

هكذا يكون الأنا هو السلطان والحاكم في المعرفة، أكثر من الموضوع الذي نريد معرفته.. هكذا لا نسلّم للحقيقة أيضاً بقدر ما نريد للحقيقة أن تسلّم لنا.. وهذا معنى آخر لكون الحقّ مرّاً وصعباً..

فلنرى الحقيقة كما تُرى، وبالعيون التي ترى فيها وتتناسب معها..
ولنكن أكثر ليونةً إزاء إجراء تعديلات في مناهج الرؤية وأدواتها..

اللهم أرنا الأشياء كما هي، لا كما نحبّها أن تكون.

السعادة بين الصلاح واللذة والراحة

١٢ ـ ٧ ـ ٢٠١٣م

في شهر رمضان نحسّ بالجوع والتعب والإرهاق، ونتحدّث كثيراً عن فوائد الصوم والصيام وشهر رمضان المبارك.. وأستخلص من فوائد مثل ظاهرة الصوم فكرةً تتصل بجدليات عصرنا الحاضر..

يقولون: مجتمع سعيد وناجح، شخص سعيد وناجح، مجموعة سعداء وناجحون..

كيف؟ لأنّ أمورهم كلها متوفّرة وهم في راحة.. هذا صحيح أحياناً، لكن من قال بأنّ السعادة في حياتنا هذه هي الراحة.. فهناك فرق بين مفاهيم: المنفعة والمصلحة والخير والفائدة، وبين الراحة.. لقد ربطهما العصر ببعضهما؛ لأنّنا ننشد الراحة بعد كلّ هذا العناء في بلداننا.. صار الإنسان الأفضل هو الإنسان المرتاح في حياته.

لكنّ المنفعة والمصلحة والخير والفائدة و.. لا تساوي الراحة دوماً، **فليس السعيد هو المرتاح بالضرورة، بل هو الذي يقوم بما**

يفترض به أن يقوم ولو بعناء، هو المتصالح مع ضميره وذاته ووجوده، ونحن نطبّق ما أقول في حالات الضرورة مثل حال المرض وضرورة العلاج المرّ، وحال الشباب وضرورة التعب لبناء المستقبل..

لكن يبدو لي أنّ الدنيا كلّها في الثقافة الدينية هي حالة علاج وبناء مستقبل دنيوي وأخروي..

لقد استفدت هذا من الصوم، ووجدته تصحيحاً لمسار مفاهيمنا التي تولد كلّ يوم.

رمضان كريم.

معاني الصوم وخواتيم آياته

١٧ ـ ٧ ـ ٢٠١٣م

لو أخذنا آيات الصوم من سورة البقرة (١٨٣ ـ ١٨٧) بالترتيب، سنجدها تختتم بـ:

١. لعلّكم تتقون.

٢. وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون.

٣. ولعلّكم تشكرون.

٤. لعلّهم يرشدون.

٥. لعلّهم يتقون.

التقوى أولاً وآخراً، والشكر والرشد والخير

فغايات الصوم وما يكتنفه من عبادةٍ ودعاء هي: حصول التقوى ـ حصول الشكر ـ حصول الرشد. والتقوى حالة قلبيّة وعمليّة، والشكر تعبير عن شيء إزاء الآخر، والرشد حالة عقليّة ووعييّة.

إذن الصوم يهدف لـ: اتقاء شرور ومفاسد ومسلكيات (حالة سلبيّة) ـ الشكر لشخص آخر (حالة إيجابيّة) ـ وبينهما الوعي والرشاد.

وأجد كلمة (لعلّ) متكرّرة كثيراً في هذه الآيات، وهي تثير القارئ نحو أفكار، نتركها الآن.

أمّا صومنا اليوم فهو:

١. لعلّكم تنامون..

٢. وأن تصوموا أريح لكم وأنْوَمُ إن كنتم تعلمون

٣. ولعلّكم تتذمّرون وتتأفّفون.

٤. لعلّهم يفقدون وعيهم ويعيشون الغضب والانفعال..

٥. لعلّهم يسهرون ويتابعون المسلسلات..

هل مقاربتي صحيحة أم (لعلّها) ساخرة؟!

عين واحدة للنقد أو التبجيل أم عينان مفتوحتان؟

٢١ ـ ٧ ـ ٢٠١٣م

الذائقة لا تكون بالاعتياد على طعم واحد بل بخبرة تنوّع الأطعمة، فعندما ننظر إلى الأشياء بعيون النقد فقط فسوف نرى أوسع البيوت ضيّقاً، وأجمل النساء قبيحةً، وأجود الكرماء بخيلاً، وأقوى الرجال ضعيفاً، وأعذب الأصوات مزعجاً، وألذّ الأطعمة مرّاً و..

لا أحبّ للإنسان ان تكون له عينان نقادتان، بل أحبّ له أن تكون له عينٌ ناقدة وأخرى ترصد الإيجابيات، فالإدمان على نقد شيء يغيّب عنك حقيقته، وكلّ شيء تصبح وتمسي في نقده أو سماع عناصر ضعفه فلن ترى حسنه ولا جماله أبداً.

لا تحكم على الأشياء وأنت تعيش مناخ نقدها فقط، تريّث حتى تعيش مناخ حُسنها ثم احكم بالاثنين، ولا تضع نفسك في مناخ نقد هذا الشيء أو ذاك؛ لأنّ مناخ النقد لوحده يفقد الإنسان الثقة بكلّ شيء، ويحوّله إلى وسواسي. والثقةُ المتوازنة عنصر ضروري في

تقويم الأشياء.

وكلّ ما قلتُه يجري على عيون المدح والتبجيل والتحسين أيضاً.

إذا لم يكن هذا كلّه لأجل تصحيح رؤيتنا للأشياء، فهو ضروريّ لأجل سلامتنا النفسيّة وطمأنينتنا الروحيّة.

نقد الذات غير جلدها

٢٧ ـ ٧ ـ ٢٠١٣م

يجلد الكثيرون ذواتهم الفردية والجماعية وهم يظنون أنّهم يمارسون فعل النقد، لكنّ **النقد هو سبيل التغيير والنهوض والرؤية والوضوح والاعتراف**، أما جلد الذات فهو إحباط ويأس وتراجع وكسل وضلالةٌ في السبيل.

الناقد ينتقد ليُصلح = فعل إيجابي

والجالد يجلد ذاته ليظلّ مكانه قانطاً يائساً حيراناً = فعل سلبي.

وكما يقول علماء النفس: لا تخاطب نفسك بصفات النقص، فتضعف ثقتك بها.. كذا الحال هنا، لا نخاطب ذواتنا بالجلد والتجريح والمهانة فتزداد تراجعاً وفشلاً.

لا تنسونا من صالح الدعوات في العشر الأواخر من شهر رمضان وليالي القدر، فهي ليالي الاعتراف والتطّهر لبدء عامٍ جديد أفضل وأصلح.

وكلّ ليلة قدر وأنتم أجمل وأصلح وأبهى.

لا تنكر الله ثم تستجديه عند الحاجة!

١ ـ ٨ ـ ٢٠١٣م

رجاءٌ حارّ: إذا كنت تنكر شيئاً وتلغيه من الوجود، فليس من اللائق أن تستجدي منه عند حاجتك.. وإذا كنت لا ترى للغرب أيّ قيمة مضافة فكيف تذهب إليهم لتتعلّم عندهم أو تتعالج من مرض؟! **هذا تصرّف معيب..**

وعلى هذا المنوال، هناك رجاء (حقوقي) من كلّ من لا يؤمن بوجود الله، إذا كنت لا تؤمن بوجود الله فالرجاء أن لا تطلب منه شيئاً من قلبك؛ حتى تكون منسجماً مع نفسك.. لا تناده عند مصيبةٍ أو موت عزيز أو مرض رهيب أو غرق أو حرق أو بلوى أو.. وإلا سيكون فعلك غير أخلاقيّ.. تطلب من الشخص أن يساعدك ثم تقول هو لم يساعدني ولا هو بموجود!!

أعتقد هو طلب يشكّل أبسط حقوق الله سبحانه (على تقدير وجوده). قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ

فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[سورة يونس، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣].

الكبار يصنعون عنف الصغار

٢٠ ـ ٩ ـ ٢٠١٣م

لا يمكن أن يكتسب الطفل شخصيةً هادئة وهو يرى أباه وأمّه في حال انفعال دائم، لا يقدّمان له أنموذج الشخصيّة الهادئة، فكيف يلام على ردّات فعله السلبية وهو يعيش في وسطٍ سلبي؟!

كذلك الحال في المجتمع عامّة، فلا يُلام مجتمعنا على سلبيّته وعنفه واشتباكه مع بعضه، وهو يرى:

١. السياسيّين لا يتحاورون إلا بعنف.. ولا يلقون خطبهم إلا بصياح..

٢. ورجال الدين لا يختلفون إلا بالعنف والنبذ والتجهيل والتكفير و..

٣. وأهل الفنّ والإعلام يسفّه بعضهم بعضاً بأقسى العبارات..

فمن يصنع هذا الواقع: أولئك.. ومن يريد تغيير الواقع فعليه أيضاً أن ينظر إلى: أولئك.. **قال رسول الله ﷺ فيما يُنسب له: «صنفان من أمّتي إذا صلُحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: الأمراء والعلماء»**.

ثقافة السؤال والجواب

٢٣ ـ ٩ ـ ٢٠١٣م

عندما تتعهّد أو تعتاد على أن تجيب عن كلّ سؤال يوجّه إليك ولو ارتجالاً، فسوف تجيب عن كلّ الأسئلة لكن ستقع في أخطاء. لماذا لا نروّض أنفسنا على أن لا نجيب إلا على ما نعرف أو ما ينفع.. هنا:

١. لن نجيب عن كلّ سؤال.

٢. ستكون أجوبتنا القليلة عدداً ذات فرص نجاحٍ كبيرة نوعاً.

لا يجب علينا أن نجيب عن كلّ سؤال يوجّه إلينا، أو نشارك في كلّ حوار يدور حولنا.. وليس ذلك بعيب.. فلنخفّف من الكلام الكثير الذي نخلقه في الفضاء العام، لصالح كلامٍ قليل ربما يكون مفيداً لخلق فضاء عام آخر، **وليتكلّم كلّ واحد منّا بما يعرف وينفع، فسكوته ليس عيباً.**

أنا شخصيّاً أحاول أن أكون كذلك، فلا أجيب عن:

١. ما لا أعرف جوابه (وما أكثر ما لا علم لي بجوابه).

٢. ما لا أقدر عليه (لأسباب موضوعيّة: شخصية أو عامّة).

٣. ما يكون الجواب فيه في غير وقته أو مرحلته فيضرّ أكثر ممّا ينفع.

وقد لا أجيب تقصيراً منّي! فالعذر من كلّ من سألني ولم يصله جوابي.

مشاكل لا حلّ لها إلا برميها خلف ظهورنا

٢٥ ـ ٩ ـ ٢٠١٣م

يقف الكثير منّا وقفات جادّة مطوّلة مع كلّ مشكلة تواجههم، في الأسرة.. والعلاقات الشخصيّة.. والعامّة.. ويعطيها الكثير من وقته وتفكيره، لكن..

هناك في الحياة أمور لا تحلّ إلا: بالتجاهل والرمي خلف ظهرك بمرور الوقت، فلنميّز المشاكل وأحجامها وطبيعتها حتى لا نستهلك طاقتنا بكلّ مشكلة تواجهنا في الحياة، **فالتفكير الزائد المبالغ فيه هو في نفسه مشكلة أيضاً، وتضخيم المشاكل مشكلةٌ كذلك.**

قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[سورة السجدة، الآية: ٣٠].

تبرير البطالة والكسل بفشل الآخرين

٢٦ ـ ٩ ـ ٢٠١٣م

شخصيّة غير سويّة

تقول الطرفة: يقولون جلس شخص عاطل عن كلّ عمل أمام مرجع التقليد فقال له: أنتم تدرسون في الحوزة لتصلوا إلى أيّ شيء؟

قال المرجع: ليبلغ الإنسان رتبة الاجتهاد في الدين.

قال الرجل: وبعد ذلك؟

قال المرجع: ليصبح مرجعاً أعلى يتولّى شؤون الطائفة الدينيّة.

قال الرجل: وبعد ذلك؟

قال المرجع: لا شيء.. هذه هي القمّة.. (ما في: بعد ذلك..).

قال الرجل: إذا كان بعد المرجعيّة لا شيء، فأنا الآن في مرحلة اللاشيء.

(يضحك الجمهور)

هناك أشخاص يفكّرون بهذه الطريقة.. فكلّما قلت له: إنّنا نحقّق المنجز الفلاني بفعلنا الفلاني.. يقول: وبعدين؟ **فهو أحياناً يريد تبرير عدم عمله بخلع صفة الجدوائية عن أعمال الآخرين..**

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[سورة الكهف، الآية: ٥٤].

ما أصابكم من حسنة فمن الزعيم..
ومن سيئة فمن أنفسكم!

٢٨ ـ ٩ ـ ٢٠١٣م

ثقافتنا ومسلكيتنا وتربيتنا تقوم على:

- ما أصابكم من حسنة فمن الزعيم.
- وما أصابكم من سيئة فمن أنفسكم.

فإذا تحسّن الاقتصاد فالزعيم هو الذي فعل ذلك، وإذا وقع الناس في الجوع فهو تقصير الآخرين.

وإذا ربحنا في الحرب فالزعيم هو صاحب الفضل، وإذا خسرنا فليس إلا لأنّنا لم نطع الزعيم نفسه.

الزعيم هنا = السياسي أو الديني أو الاجتماعي أو الحزبي أو..

وأنفسكم هنا = الشعب أو المتديّنون أو الناس أو الجماهير والقواعد الحزبيّة أو..

وبين الزعيم و (أنفسكم) رجالٌ يُحكم عليهم أحياناً أن يكونوا قرابين تذبح لإنقاذ الزعيم أمام (أنفسكم).

والغريب أنّ الكلّ ينتقد هذه الظاهرة، لكنّه جزءٌ منها في مكانٍ آخر!

قال تعالى: ﴿..ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[سورة هود، الآية: ١١٤].

منطق إنّ السيئة الواحدة تذهب بالحسنات!

٣٠ ـ ٩ ـ ٢٠١٣م

هناك من الناس الذين رأيناهم في حياتنا أو سمعنا عنهم، إذا عشت معهم دهراً فأحسنت إليهم وكنت حَسَنَ الخلق والتصرّف والتعامل معهم، وأسديت لهم الخدمات ولم تقصّر معهم في شيء.. أحبّوك..

لكن **بمجرّد أن ترتكب خطأ واحداً معهم ولو بسيطاً قابلاً للتأويل تصبح حسناتك غباراً تذروه الرياح.. طبع عجيب وغريب حقّاً.**

الله يقول بأنّه يبدّل السيئات إلى الحسنات، أمّا هؤلاء فتصبح حسناتك السابقة وبالاً عليك؛ لأنّها تتحوّل إلى سيئات بمجرد أن تخطأ معهم أو تتصرّف بتصرّف لا يعجبهم.. إنّهم يعيدون النظر في كلّ حسناتك لإعطائها تفسيراً سلبيّاً.

منطقٌ غريب بكلّ المعايير.. منطقٌ لا يعطي الآخر فرصة ولا يتسامح معه في هفوة أو وجهة نظر.. يبدو أنّ قرآنهم يقول: يبدّل الله حسناتهم سيئات!

أفلا نتخلّق بأخلاق الله ولو ليوم واحد!

الرأس و (الطربوش)

٧ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

في الحياة هناك أشخاص لهم رؤوس تحتاج لـ (طربوش)

وهناك آخرون عندهم الـ (طربوش) لكنهم يحتاجون لرأس!

اللهم لا تجعلنا نلهث خلف الـ (طربوش) وارزقنا رؤوسنا يا كريم..

المثاليّة والواقعيّة

٩ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

قد تكون صحيحةً الجملة التالية: احلم مثاليّاً، وفكّر حسابيّاً، واعمل واقعيّاً؛ لعلّك تصبح إنساناً منتجاً عمليّاً.

الصدر وشريعتي، هكذا يضيع التواصل ويُنحر الحوار!

كتب د.شريعتي نقداً على كتاب (بحث حول الولاية) للسيد الصدر، فبلغه.. وكان السيد الصدر يصف شريعتي بالرجل الفاهم، وبأنّه لا يصحّ الدخول معه في صراع، رغم اعتقاده بأنّ لديه أخطاء واشتباهات و.. فكتب الصدر ردّاً أرسله إلى إيران ليُترجم، ثم يضاف إلى الطبعة الفارسيّة الجديدة للكتاب ولكن..

رفض بعض المقرّبين ذلك.. قالوا: شريعتي سُمعته سيّئة في إيران.. والردّ عليه تعظيمٌ له! أمّا شهيدنا وصدرنا الحبيب، فقد استغرب من ردّة الفعل.. رغم أنه أخيراً رضخ للمقرّبين.. مُبدياً عدم اقتناعه..

والردّ الصدري ضاع وفُقد إلى اليوم.. مع الأسف..

راجع تفاصيل هذه الأحداث موثقةً في (أحمد أبو زيد، محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة ٣: ٣٥٢ ـ ٣٧١).

لا أدري، إلى متى سنظل بهذه العقليّة؟! كأننا قُلل الجبال والحوار

نزول للأسفل! كأنّنا وحدنا العظماء، والآخرون يعظمون بنا! ما هذه الأنا المتعالية؟! مع أنّ الله نفسه، ومعه كلّ الأنبياء والأوصياء حاوروا الشيطان والناس، خيّرهم والشرير منهم..

لاحظوا ردّة فعل السيد الصدر تحكي عن رؤية وأفق وطريقة ومنهج وأخلاق.. ولاحظوا مواقف الآخرين التي تحكي أيضاً عن ذاتها..

لقد تغلّبت تلك الرؤية على السيّد الصدر.. فهل ستبقى متغلّبة؟!

سؤالٌ برسم مشاريع الحوار (بطاولات مستديرة لا مستطيلة) في العالم الإسلامي.

مشاكل القراءة (وأيضاً دورات قراءة سريعة!)

١٨ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

بعيداً عن النوايا السيّئة وقراءة النفوس.. توجد مشاكل عظيمة في القراءة في عالمنا العربي والإسلامي.. بحسب متابعاتي وتجربتي خلال سنين طويلة رأيت.. أنّنا لا نعرف القراءة.. وفي أكثر الأحيان نفهم خطأً.. فننسى كلمةً قالها المتكلّم.. أو يغيب عنّا تناسب جملتين.. أو نطفر عن جملة مؤثرة في مقصود المتكلم.. أو نزيد كلمةً ونحن نقرأ فننسبها الى الكاتب أو المتكلّم من حيث لا نشعر.. أو.. أو.. أو..

والغريب أنّ هناك مشاريع للقراءة السريعة ودوراتها.. لست ضدّها أبداً.. لكن أعتقد أنّه لابدّ من دورات على تعلم القراءة البطيئة.. بل على تكرار القراءة حتى نفهم بشكل دقيق.. جرّب تقرأ مقطع مرّةً.. وجرّب تقرأه ثلاث مرات بشكل متأنٍّ ومع تركيز..

ولعلّ للإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي دوراً في تعوّدنا على القراءة السريعة غير المتأنية.. وهذا يحتاج لخبراء لدراسة هذا الموضوع..

إنّ ثقافة القراءة الخاطفة تنتج تكويناً لفهم خاطف وغير مستقرّ.

الوقوف عند إشارات السير، فريضة أم جريمة؟

٢١ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

ومن مصاديق الحديث النبويّ الشريف: «كيف بكم إذا صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً».. ما نراه في كثير من مجتمعاتنا.. حيث الوقوف عند إشارات السير والالتزام بها جريمة.. فترى من خلفك منزعجاً منك ومسفّهاً لك إذا وقفت ملتزماً بالقانون.. **ثم بعد دقائق يمتدحُ الغربَ على حياتهم المنظّمة والقانونية**.. وكأنّ الغرب وصل لما وصل إليه بالأماني والكلام..

لقد صار الالتزام بالقانون شذوذاً.. وخرقه أو التحايل عليه (شطارة وحذاقة)..

هذا كلّه في بلداننا التي فيها إشارات سير! فما بالك بغيرها.. وما بالك بوصول بعض البلدان إلى مرحلة تنظيم الطرقات بطريقة لا يحتاجون فيها لإشارات سير!

وبعد هذا كلّه، نتغنّى كلّ يوم بالحديث القائل: «الله الله في نظم أمركم»!

المناسبات الدينية نُذُر تكليف، وليست مصالح تشريف

٢٤ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

عندما تصل الفتاة إلى سنّ البلوغ والرشد يقيمون لها احتفاليّة سرور.. وعندما ينضج الولد ويبلغ الحلم يُسرّ بذلك والداه..

إنّ ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.. إنّ إكمال الدين وإتمام النعمة.. إنّ بلوغ الرسالة غاياتها وتحقّق تبليغها التام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعني أنّنا من المفترض بلغنا مقوّمات سنّ الرشد والوعي.. يعني أنّنا دخلنا في مرحلة البلوغ والمسؤوليّة والتكليف.. **فالولاية هذه تكليف يُلقى علينا وليست مجرّد تشريف نتفاخر به..**

بوركنا بعليّ وكان بنا مفتخراً إن شاء الله، فحبّ عليّ هو أن لا تعتبره منفعةً لك؛ لأنّ الحب تضحية، وليس منفعة، بل أن تكون أنت قرباناً يباهي بك الأمم يوم القيامة.. كل عام وأنتم أجدر بما تحمّلتموه من مسؤوليات في الحياة.

كل عام وأنتم بخير.

نداء عاجل جدّاً إلى طلاب الحوزات العلميّة (كفى)

٢٦ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

الإخوة الأفاضل..

نعيش اليوم في مرحلةٍ عصيبة من تاريخ أمّتنا، وعنوانها الفرقة والتمزّق، وقد رأينا أنّ الفرقة والتمزّق صارا العنوان العام في علاقات طلاب الحوزات العلميّة مع بعضهم، فتشتتوا إلى جماعات مزّقتها السياسة والفكر والثقافة والاجتهاد في الدين، وفي بعض الأحيان مزّقتها المصالح الشخصيّة والإملاءات الشيطانيّة. وفي كلّ يوم نشهد المزيد من التمزّق والانقسام، حتى انقطعت عرى التواصل الاجتماعي بين كثير من الحوزويّين، ونبذنا بعضنا بعضاً، فما ترى من قريةٍ إلا وعلماء الدين يختلفون فيها، وما ترى من مدينةٍ علميّة إلا وصارت جماعات وأحزاباً متقاطعة.. لا يلقي أحدهم السلام على هذه الجماعة ولا يلاقي أخاه بالبُشر والابتسامة.. وها هي سهرات وليالي ولقاءات الكثير من طلاب العلوم الدينية غدت ـ ولا حول

ولا قوّة إلا بالله ـ مليئةً بالغيبة والبهتان والنميمة والوشاية والصراخ والتوتّر، وعلى أحسن حال مليئةً بالفراغ والعبثية، بدل أن تكون عامرةً بقراءة القرآن وتدارس العلم وتقديم الخدمة في الفكر والكلمة لقضايا المسلمين المعاصرة..

وبدل أن تكون الحوزات العلميّة عنوان السلام والتلاقي بين المؤمنين صارت هي وشخصيّاتها ـ مع الأسف الشديد ـ عنواناً لفُرقة القواعد الجماهيريّة في غير بلد وموطن.. أليس معيباً أن نصبح نحن الحوزويين أزمةً من أزمات عالمنا الإسلامي بدل أن نساهم في حلّ أزمات هذا العالم المسلم؟! حتى فُضحنا بين الناس وصرنا على كلّ شفة ولسان.. في كلّ مناسبةٍ قنبلةٌ تنفجر تتطاير شظاياها لتمزّق جسدنا الاجتماعي.. وتتوالى المناسبات وما أكثرها.. لقد تعاظمت انتماءاتنا الصغيرة على حساب انتمائنا الإسلامي الكبير.. مشهدٌ تقطر له العيون دماً وتجفّ..

ونحن على أعتاب ذكرى الحسين العظيم.. الحسين الذي هو عنوان وحدتنا ورمز عنفواننا وتلاقينا.. الحسين الذي حوّلناه من قاسمنا المشترك إلى مناسبةٍ نقصف فيها بعضنا بعضاً.. ليس في يدي إلا أن أقول بضع كلمات.. فلا حيلة لشخصٍ بسيط مثلي سواها.. عساها تخرجني من عهدة التكليف الجاثم على كتفي..

إنّني كطالبٍ بسيط للعلوم الدينيّة قضيت وما أزال قرابة عشرين عامّاً

في حاضرة علميّة كبيرة، أعلن أنّني آيسٌ من تلاقي الكبار ونهوضهم.. ولست آيساً من شيء يمكن أن يقوم به صغار الطلبة أمثالي..

إنّني أدعو إلى تشكيل جمعيّات تواصليّة في الحوزات العلمية، لاسيما في المدن العلمية الكبرى، كـ (جمعية تسامح الطلابية) أو (جمعية تواصل الطلابيّة) أو (جمعية تلاقي الطلابية) أو.. وهدفها نشر ثقافة التسامح بين طلاب العلوم الدينية.. ونشر ثقافة التواصل والتزاور والتعاضد.. ونشر ثقافة التماس العذر لبعضنا.. ونشر ثقافة الاختلاف والدفاع عن الحقّ كلّ من موقعه لكن بما يحفظ حرمات المؤمنين.. ويعمل على تقوية وجودنا الديني الكبير وليس تضعيفه.. ونشر قيمة الخُلُق الحسن.. ونشر ثقافة التهدئة ومنطق الهدنة بعيداً عن القصف الإعلامي المتبادل.. وبعيداً عن مبالغات بعضنا في قضايا الدين لتبرير شهوته الغضبيّة أو إسقاط إعاقته الشخصيّة على المفاهيم الدينية..

فيا إخوتي الطلاب وأنا أقلّكم.. تعالوا لنقيم مبادرات.. تسعى لتخفيف حدّة الكراهية المتعاظمة فيما بيننا.. هذا هو العنوان.. وهذه هي الأولويّة اليوم.. وأمّا التفاصيل فيجب أن نفكّر فيها جميعاً بحسب الزمان والمكان.. مستغلّين كلّ وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي.. ألا يمكننا الدفاع عن الدين إلا بهذه الطريقة العدوانية الغاضبة التي أقست قلوبنا ومزّقت شملنا وبدّدت جمعنا وأنهكت قوانا؟! ألا نجرّب طرقاً أخرى أكثر هدوءاً ورحمةً وحبّاً وأبوّةً وعاطفة؟! هل جرّبنا طرقاً أخرى وفشلت حتى ذهبنا خلف طرق

القسوة والشدّة والفظاظة والغلظة والسخرية والإهانة والإبعاد والنبذ والتحريض وشيطنة الآخرين ومنطق اللوبيات؟!

لا نريد أن نوقف الاختلاف.. انتقد واملأ الدنيا بنقدك، لكن بهدوء وبلا عدوانية وبلا تشفٍّ أو انتقام.. لقد ضاقت الناس ذرعاً بنا.. حتى صرنا حديثهم الساخر أو الآسف.. **ألا من ناصر ينتصر للمحبّة والتسامح بين المؤمنين؟! ألا من مغيث يغيث الأُخوّة المغتالة بين أهل الدين؟! ألا من ذابٍّ يذبّ عن حرمة الأخلاق والاتزان والوقار؟!** لا يهمّني من هو المسؤول، فقد وقع ما وقع، فلنفكّر في الحاضر وللمستقبل..

أرجوكم ارحمونا.. وارحموا هذه الأمّة الضعيفة.. لنفكّر جميعاً بما هو أجدر وأقوم.. لنفكّر ببناء أوطاننا وتنميتها اقتصاديّاً وثقافيّاً واجتماعياً وتربويّاً وأخلاقيّاً.. بدل تناحرٍ وتقاتل لا نهاية له، وليس لأصحابه منه إلا العناء والتعب والنصب.. ولعلّ ما في الآخرة أعظم وأشدّ..

أستميحكم عذراً.. فقد أطلت.. واقبلوا هذه الكلمات النابعة من القلب.. ﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحيمٌ﴾[سورة يوسف، الآية: ٥٣].

الوحدة المذهبية عنوان عاشوراء هذا العام

٢٨ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

(سيوحّدنا الحسين عليه السلام)

أقترح كمتابع عادي ـ ومن باب التبرّك بالإمام الحسين العظيم ـ أن يكون شعارنا هذا العام في عاشوراء هو الوحدة المذهبيّة.. صحيح أنّني أؤمن بالوحدة الإسلامية لكنّني سأطرح اليوم الوحدة المذهبيّة أيضاً..

كلّنا.. من علماء دين ومثقفين وكتاب وإعلاميين وشعراء وأدباء وسياسيين وطلاب حوزات وجامعات وعامّة الناس.. نحاول أن نطرح هذا العام قضايا الوحدة المذهبية بين الشيعة..

أخي الخطيب الحسيني.. وأخي الرادود.. وأخي العالم.. وأخي المحاضر.. وأخي الكاتب.. وأخي الأستاذ.. وأخي الناقد.. **فلنخصّص جزءاً من وقتنا للحديث في عاشوراء هذا العام عن الوحدة بيننا.. فالتشرذم لم يعد قليلاً..** والكل يتحمّل مسؤوليّته فيما يبدو إلا

من عصمه الله.. الكلّ أعني بعض المثقفين وبعض الحوزويّين وبعض الكتاب وبعض الإعلاميّين و.. كلّنا يتحمّل.. بعضنا أراد الإصلاح فكان عنيفاً.. وبعضنا أراد الدفاع فكان عنيفاً كذلك..

نحاول في مجالسنا وخطبنا وكلماتنا أن ندرس أسباب الفُرقة وأسباب الكراهية المتعاظمة.. ونحلّلها.. ونضع ما يمكننا من حلول.. على هدي الكتاب والسنّة والعقل..

لا أؤمن بالحلول الشموليّة.. فلنقدّم ما يمكن وما تبقى فهو على الله.. المهم (اعقلها وتوكّل)، وإذا تمكّنا من المبادرات وكان لنا قوّة بها.. فلماذا في قريتي أو مدينتي أو جامعتي أو حوزتي لا أقيم عاشوراء هذا العام بوساطة صلح في قضية هنا أو هناك.. لترطيب الأجواء.. ونقدّم ذلك بين يدي الله تعالى بعنوان (الحسين يجمعنا..)، فهل إلى ذلك من سبيل إن شاء الله؟

بلداننا وإدمان الضجيج والضوضاء

٢٩ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

لا أدري لماذا نحن معجبون بالضجيج والضوضاء؟! في بعض البلدان لا تكاد تشعر بالهدوء البتّة.. هناك إدمان على إزعاج الآخرين بأصوات السيارات، بل بكلّ شيء تقريباً، حتى وأنت في الطائرة تلاحظ ارتفاع أصوات العرب أكثر ما تلاحظ، ولعلّه أحد معاني ما قاله بعضهم يوماً: العرب ظاهرة صوتيّة!

(طبعاً لا أعرف عادات الشعوب الأخرى كلّها)

فلنمنح أنفسنا وأهلنا ومحيطنا قسطاً من الراحة.. حتى دور العبادة يفترض ـ كما تقول الشريعة ـ أن تلاحظ عدم إزعاج الناس بشكل غير مبرّر!

ولنتأدب بأدب القرآن الكريم حين قال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[**سورة لقمان، الآية: ١٩**].

المعجبون والمنتمون

٣١ ـ ١٠ ـ ٢٠١٣م

هناك فرق كبير بين أشخاص معجبين بفكرة أو دين أو ثقافة أو.. وأشخاص منتمين لهذه الفكرة، وهذا الدين، وهذه الثقافة.. فالانتماء مفهوم أبعد من مجرّد الإعجاب..

ويلتبس الأمر على كثير ممّن لديهم معجبون.. فيظنون أنّ عندهم الكثير من المنتمين الذين يمكن أن يعوّلوا عليهم.. لكن.. في لحظةٍ ما.. هي لحظة الجدّ والعمل.. لن ترى المعجَب.. لن يكون إلا بعض المنتمي.. ممّن تفاعل بجدّ.. وقليلٌ ما هم.. وستكون رهاناتك خاطئة..

هذه واحدة من سقطات بعض رموز العمل في تاريخنا الإسلامي الحديث.

غضّ بصرك وسترى زوجتك أجمل.. إن شاء اللّه

٢ ـ ١١ ـ ٢٠١٣م

غضّ بصرك وسترى زوجتك أجمل.. إن شاء الله، فكثير (وليس كلّ) من مشاكل الزيجات يرجع إلى الطمع ومدّ العين إلى الخارج.. في الشارع أو العمل أو التلفاز أو الانترنت أو غير ذلك.. عندما لا تغضّ بصرك وتنظر بعين التفتيش والأنس.. سترجع إلى بيتك حافراً في اللاوعي حسرةً وشعوراً دفيناً بفقدانك ما رأيت.. وسيزداد ذلك إذا كانت شخصيّتك من النوع الفاقد عموماً للثقة بالذات.. فعندما ينشط الخيال في هذه الأمور يصبح الواقع مزهوداً به.. فتضمر علاقتك به على حساب علاقتك بما فوقه..

وقديماً قال حكماء الأخلاق: في الماديات ـ كالمال ـ انظر لمن هو دونك.. تقنع، وفي المعنويات ـ كالعلم والأخلاق ـ انظر لمن هو فوقك.. تعمل.

للقضيّة الحسينية رحلتان بين الماضي والحاضر

١١ ـ ١١ ـ ٢٠١٣م

للقضية الحسينية رحلتان:

١. رحلة من الحاضر للتاريخ (الذهاب)، يذهب فيها الإنسان نحو الماضي، فيفهمه سرديّاً وقصصيّاً أو يفهمه تحليليّاً وعلى مستوى الأهداف والنتائج..

٢. ورحلة من التاريخ للحاضر (العودة)، وفيها لا يعود الحسين عليه السلام جسداً، بل يتحوّل لقيم ومبادئ وروح ومفاهيم ومعايير ونبض حياة..

كثيرون يذهبون في الرحلة الأولى.. فيبقون هناك.. في التاريخ.. فيصبح حاضرهم تاريخاً.. بدل أن يتحوّل إلى مستقبل..

وقليلون يرجعون عبر الرحلة الثانية.. فيصبح حاضرهم حسينيّاً.. وتاريخهم حياةً حاضرة.. يصبح حاضرهم قيم رفض ونقد وتصحيح وبطولة وعمل وإرادة وجهاد وأمل وإصرار وتضحية وعطاء وعزّة وإباء..

وإذا قالوا: (يا ليتنا كنّا معكم) سمعوا النداء يقول: (ما زالت المعركة بأبعادها المتنوّعة بين الحقّ والباطل قائمة، فيمكنكم أن تكونوا معنا، ولا حاجة للتمنّي).. عندها يختبرون أنفسهم في حاضرهم، بدل التبرّع بالكلام لماضيهم..

في الحاضر يعرف الحسينيُّ اليوم.. نعم.. لا في الماضي.

الأنانية والأملاك العامّة

١٧ ـ ١١ ـ ٢٠١٣م

كثيراً ما نشاهد في مجتمعاتنا استخفافاً بالأملاك العامّة.. أعرف أنّ فساد دولنا يساهم في صنع هذا الاستخفاف.. لكنّ المطلوب منّا جميعاً أن نرفع مستوى المحبّة والتقدير والاهتمام والشعور بالمسؤولية إزاء الممتلكات العامّة.. نبني معها علاقة مودّة..

طرقات.. غابات وأحراش.. البحار وشطوطها.. الأنهار وضفافها .. الهواء والفضاء.. الكهوف والجبال.. المؤسّسات العامّة.. و.. كلّها لنا جميعاً..

من يهتمّ كثيراً بالممتلكات الخاصّة ولا يبالي بالممتلكات العامّة هو في تقديري أناني؛ لأنّ الممتلكات العامّة لا تفترق عن الخاصّة سوى بمشاركة الآخرين لك فيها.. فاستخفافك بها استخفافٌ بأخيك الإنسان.. ولن ينتج سوى استخفاف أخيك الإنسان بك..

ولعلّ في قوله تعالى: ﴿..خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً..﴾

باستخدام (لكم) للجمع مكان (لك) بالمفرد.. إشارة لكون الأرض لأمّة الإنسان معاً. والعلم عند الله.

فهل إلى خطاب ديني وتربوي واجتماعي وإعلامي و... يهتمّ بالممتلكات العامّة ويشيد بناء ثقافة احترامها في مجتمعاتنا.. من سبيل؟!

الطاعة بين النباهة والاستحمار

٢٤ ـ ١١ ـ ٢٠١٣م

أحياناً هناك طاعة ناتجة عن وعي وإدراك.. وينتج عنها أيضاً وعيٌ وإدراك.. وأحياناً هناك طاعة ناتجة عن خفّة العقل وقلّة الوعي وضعف البصيرة.. وينتج عنها المزيد من الجهل والحماقة..

قال سبحانه وتعالى حكاية عن فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٥٤] أي ـ وفقاً لبعض تفاسير هذه الآية ـ طلب خفّة عقولهم وسذاجتهم، فأدّت خفّة العقل والسذاجة إلى طاعتهم له، وأدّت طاعتهم له إلى الضلال والتيه.

الطاعة ليست تبريراً للاستحمار.. بل هي معبر للنباهة.. والتسليم ثقةٌ واعية باصرة.. وليست ثقةً عمياء..

بعدما كنّا صغاراً وصرنا كباراً.. ماذا تغيّر؟

٢٧ ـ ١١ ـ ٢٠١٣م

عندما كنّا صغاراً.. كنّا نسمع من كبار الثوار والمناضلين ورجال النهضة العظماء أنّ أمريكا لا مشكلة لديها من صلاتك وصومك وحجّك وعبادتك ورأيك ودينك.. إنّما مشكلتها من موقفك السياسي.. ومن جهادك ونضالك وكفاحك.. ومن مطالبتك بحقوق المظلومين والمقهورين.. ومن حدّك من طغيان سلطتها..

لم أشعر بالشك يوماً في صدق هذا الكلام وصوابه..

لكن عندما صرنا كباراً (في السنّ)، شعرنا أنّ هذه المقولة الحقّ لا تتصف بها أمريكا فقط.. بل هي واقع قائم عند الأغلبية الساحقة ممّن يمارس السلطة بمعانيها.. السياسية والاقتصادية والإعلامية والدينية والقبلية و.. حتى لو كان واحداً منّا..

الجميع يقول لك: **إنّ لك الحريّة في كلّ شيء.. انتقد كما تشاء.. وكيف تشاء.. وأنّى تشاء.. (لكن) لا تحاول أن تنال من سلطتي.. أو**

تنتقدني..

ولا يقولون لك: **إنّ لك الحريّة في انتقادي.. ثم لك الحرية في سائر ما تشاء..**

لكل واحدٍ منّا (لكن) خاصّة به، تحمي سلطته ووجوده.. ومجموعة الـ (لكن)ـات، هي التي تُفقدنا حرّيتنا كلّها..

بين التحزّب وحمل المبادئ

١٣ ـ ١٢ ـ ٢٠١٣م

بعض الأشخاص يحكمون بانتماء شخص لحزبٍ أو تنظيم سياسي معيّن من كونه يؤمن بأفكار ومبادئ هذا الحزب أو التنظيم، فإذا كنت تؤمن بهذه المبادئ فأنت محزّب وحزبي..! وإذا أردت أن لا تكون حزبيّاً فيجب أن تكفر بهذه المبادئ!

وبعض الناس يحكمون بإيمان هذا الشخص بمبادئ الحزب أو التنظيم عندما يكون محزّباً ومنضوياً تحت لواء هذا الحزب أو التنظيم ومنتسباً له.. فإذا كان مؤمناً بالمبادئ فهذا ليس معنا، إلا أن يصير حزبيّاً..! وإذا أردت أن تكون مؤمناً بالمبدأ فعليك أن تسجل اسمك في التنظيم! وإلا فأنت كافر بمبادئ التنظيم!

بهذه السبل يتمّ الحكم على الكثير من الناس وأصحاب الرأي.. في ظلّ الاصطفافات الحزبيّة في عالمنا العربي والإسلامي..

لكن هل يوجد مانع أن يكون شخصٌ ما مؤمناً بالمبادئ وليس حزبيّاً؟ أم لم يعد لهذا الشخص من وجود في حياتنا؟!

شهادة مثيرة في حقّ الإمام موسى الصدر

٢٩ ـ ١٢ ـ ٢٠١٣م

الإمام موسى الصدر في خواطر المرجع الديني المعاصر الكبير السيد موسى الشبيري الزنجاني (حفظه الله)..

يذكر السيد الزنجاني (حفظه الله) عشرة خصال امتاز بها الإمام السيد موسى الصدر ـ وهو رفيقه أيام الصبا والشباب وأيام الدراسة الحوزويّة في مدينة قم ـ وأنا أنقلها لكم باختصار وتصرّف وترجمة، عربون وفاء لهذا الإمام الكبير السيد موسى الصدر:

١. سريع البداهة والانتقال من فكرة إلى فكرة.

٢. كان مستقيم الفكر وعرفيّاً في الفهم.

٣. كان لديه بيان واضح لا إبهام فيه.

٤. حاز في الإنصاف قصب السبق والمرتبة الأولى.

٥. كان مؤدّباً جدّاً ولا يتعامل بحدّيّة مع الأمور، ولا يرفع صوته،

ولا يستخدم تعبيراً مخالفاً للأدب والحشمة.

٦. كان إيقاع صوته ملائماً، وكنت أنزعج من الصوت الحادّ الذي كان يؤلم رأسي.

٧. كان فكره قريباً من تفكيري جدّاً، فما كنت أحتاج فيه لأسبوع في مناقشة الآخرين، كنت أصل فيه معه إلى نتيجة خلال عشرة دقائق فقط.

٨. كان يقبل بالنقد ويسلّم به.

٩. في الوقت الذي كنت أحتاج فيه إلى وقت لتنظيم مجموعة أفكار حول موضوع معيّن، كان السيد موسى الصدر ينجز ذلك كلّه في اللقاء الأول حول الموضوع. أي إنّ سرعته في الهيمنة على البحث العلمي كانت فائقة.

١٠. كان لديه فهمٌ صاف غير مشوّش ولا مشوب[1].

---

(١) المصدر: جرعه از دريا (بالفارسية)، ج٢، ص٧٠٩ ـ ٧١٠.

اكتشاف العلماء المغمورين

٣٠ ـ ١٢ ـ ٢٠١٣م

موضوع ليس افتراضيّاً بل هو نتاج تجربة شخصيّة.

عندما تريد أن تتعلّم شيئاً وتكتسب فيه فائدة، أو تقدّم فيه دراسة.. فلا تبحث عنه عند مشهوري أهل العلم فقط.. (أيّ علمٍ كان).. فإنّ في المغمورين عمالقة قد تزهد في كثير من المشهورين أمامهم.. **فلنعمل على تظهير المفكّرين والعلماء المغمورين في الحاضر وعبر التاريخ..** أكثر من أن نقف على العلماء المشهورين.. دون أن نبخس أحداً من الفريقين حقّه.. فكم من عالمٍ غيّر فكرُه مجرى تاريخ المعرفة الإنسانيّة لكنّه اكتُشف بعد وفاته بقرون.. فلتكن لدينا أجهزة رصد تكتشف هؤلاء.. أو تكتشف العنصر المخفي عند المشهورين..

هذا نتاج تجربة متواضعة لمستها في حياتي الشخصيّة.. فكم من مفكّر مغمور أو باحث نكرة مهمل أثارت عبقريّته ذهولي أكثر من كبار العلماء المشهورين! وأعتقد بأنّ الواجب الأخلاقي تجاه هؤلاء يقضي بهذا الأمر أيضاً.

قصص الأنبياء ومنطق العبور

٣١ ـ ١٢ ـ ٢٠١٣م

وجهٌ من وجوه إحياء ذكرى وفاة الرسول الأكرم ﷺ..
ووجهة نظر متواضعة

ذكر القرآن الكريم أنّ قصص الأنبياء فيه هي للاعتبار، وأنّ في قصص القرآن لعبرة.. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ..﴾[سورة يوسف، الآية: ١١١].

والعبرة من العبور.. أي أنّك تأخذ الشيء مَعبراً لشيء آخر.. فقصص الأنبياء وغيرهم ليست قيمتها في ذاتها.. بل قيمتها في العبور منها نحو الاهتداء بها.. قال سبحانه: ﴿..فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ..﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٩٠].

ولكنّنا صرنا اليوم في أكثر من موقع نعيش قصص الأنبياء والأوصياء لنغرق في القصّة نفسها.. وفي أحداثها.. وفي وقائعها.. وفي تساؤلات غير ضروريّة حولها.. لا لنعبرها إلى حيث المقصد

الذي جاءت القصّة لتكون جسراً إليه.. حتى لتجد من يسأل: ما اسم الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف!

ولهذا كانت قصّة رسول الله ﷺ بنفسها وبكلّ ما فيها من تجارب.. معبراً للهداية والقدوة والعمل واستخلاص المفاهيم.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ..﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤].

فلتكن ذكرى وفاة رسول الله ﷺ ذكرى العبور نحو قيمه ومفاهيمه وتعاليمه، ولنتحدّث عنها أيضاً بدل أن نستغرق في الحديث عن الحدث التاريخي، فالحدث مقدّمة لا غير، يهتمّ به المؤرّخون لإثباته، أمّا المؤمنون فيأخذونه ليعبروا به إلى الكمال المنشود.

عظّم الله أجورنا جميعاً بوفاة رسول الله ﷺ.

بين الحافظة والتفكير، وبين العلامة والخطيب

٢ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

يقولون بأنّه التقى في يوم من الأيام خطيبٌ حافظ مع علامة مرجع..

فقال الخطيب الحافظ: هل لك أن تذكر لي ألف حديث نبويّ بأسانيدها؟

فأجاب العلامة: كلا، ولا حتى حديث واحد..

قال الخطيب الحافظ: ولا حتى حديث واحد تحفظه وأنت علامةٌ مرجع، وأنا أحفظ كذا وكذا ألف من الحديث؟!

قال العلامة: هات واحداً ممّا تحفظ..

فذكر له الخطيب حديثاً.. فأخذ العلامة المرجع يحلّل فيه ويفصّل ويجتهد في دلالاته ومناسباته ومقارناته واحتمالاته، ويناقش في سنده ومصدره التاريخي و..

فذهل الخطيب منه أشدّ الذهول..

فقال له العلامة: أنت لديك ذاكرة وحافظة مذهلة.. وأنا لديّ عقل يفكّر ويحلّل.. لو التقينا في شخص واحد لرأيت من الآثار عجباً..

هنيئاً لكلّ خطيب لديه عقل علامة، ولكلّ علامة لديه ذاكرة خطيب.

كي لا نكون مراوغين أو معوجّي التفكير

٤ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

الخط المستقيم هو المسافة الأقرب بين نقطتين.

فلو رأينا شخصاً يسلك خطوطاً منحنية منطلقاً من النقطة الأولى إلى الثانية، مع أنّ أمامه خطّ مستقيم يمكنه عبوره ليصل بسرعة.. فبماذا نفسّر فعلته هذه؟

١. إنّ سعادّته في نفس المسير لا في الوصول إلى النقطة الثانية.

٢. إنّه مراوغ لا يحب الاستقامة في العمل والمقصد.

٣. إنّه معوجّ العقل والسليقة؛ لأنّه يسلك غير الطريق العقلاني.

٤. إنّه غير قادر على سلوك الخطّ المستقيم لوجود مانع فيه.

٥. إنّه لا يعرف أنّ هناك خطّاً مستقيماً يمكنه سلوكه.

٦. إنّ لديه غرضاً في سلوك الخطّ المنحني يعود للآخرين وليس لنفسه.

إنّه إنّه إنّه..

كلّ واحدٍ منّا يسلك في حالات ما من حياته الخطّ المنحني.. ومن الصعب أن تجد نفسك تسلك الخطّ المستقيم دوماً.. في قراراتك أو كلماتك أو مواقفك أو..

فمن الجميل أن نتعرّف على أنفسنا، فنكتشف السبب الذي دفعنا هنا أو هناك لسلوك الخطوط المنحنية.. كي لا نكون مراوغين أو معوجّي التفكير.. ويكون لنا مبرّر صالح.

متى سنوقف جناية سرقة الأفكار والإبداعات والأعمال؟!

٥ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

ليست السرقة فقط أن تكسر حرزاً فتأخذ المال الذي فيه.. السرقة أيضاً تكون بالسطو على منجزات الآخرين وأفكارهم.. **أما آن الأوان للكفّ عن ممارسة السرقة الفكرية وهتك حرمة الحقوق المعنويّة للناس**؟! كم من كتاب أو مقالة أو بحث أو رسالة جامعيّة أو منشورٍ ثقافيّ ليست سوى سرقة من الطراز الثقيل لكتب أو مقالات أو نصوص أشخاص آخرين؟! حتى أنّ بعضهم تذاكى فأخذ يترجم رسائل جامعيّة كتبت في الغرب ليقدّمها على أنّها رسالته الجامعيّة التي يضحك على الناس بها..

أما يستحي من يفعل ذلك بالناس؟!

في بعض الكتب والإصدارات والأبحاث لو قمت بإخراج ما تمّت سرقته من الكتاب لبقيت منه صفحات معدودة؟! هل يجوز أن

أبني عرشي على جهود الآخرين؟! متى سنجرّم هؤلاء أخلاقيّاً على الأقلّ أو نصنع بيئة نابذة لهم؟!

ما أعظم الفرق بين هؤلاء وبين من يكتب ـ ولو أحياناً ـ بغير اسمه! (مثل د. شريعتي) لا يريد على ذلك جزاءً ولا شكوراً..

ولكنّ الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة كما جاء في الحديث..

التدخين والمنطق المقلوب، قصّةٌ حقيقيّة

٨ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

قصّة حقيقيّة: في مجلس جمع بعض الناس.. كان أحدهم (يدخّن سيجارة).. فاعترض آخر بأنّ ذلك يؤذيني.. فاحتكما إلى ثالث ذي علم ومعرفة.. فحكم أنّ المدخّن لا ضير عليه..

لماذا؟

لأنّ الآخر بإمكانه أن يخرج من الغرفة.. فلا يكون قد أضرّه المدخّن.. بل هو الذي أضرّ نفسه بعدم الخروج من الغرفة..

لا تهمّني القصّة ولا الغرق في المثال.. لكنّ منطق الحكم فيها هو منطق نمارسه كثيراً في حياتنا.. أنا أؤذي الآخرين.. لكن لا بأس.. لماذا؟ لأنّه إذا كانوا يتأذون منّي فعليهم الجلوس في بيوتهم وعدم الاحتكاك بي.. وليس عليّ أن لا أؤذيهم..

أغرب شيء في الحياة أن يقضي القاضي بحكم يجعل الضحيّة فيه جلاداً والجلاد ضحيّة..! وليس فقط يبرّئ الجلاد**!** أو أن يساوي بين الضحيّة والجلاد**!** كأنّما يقول: أنا القدر.. فمن اعترضني فلا يلومنّ إلا نفسه**!**

ما هو الدين؟ والسؤال الصعب

١٠ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

ما هو الدين؟

هناك نوعان من الأجوبة عن هذا السؤال:

أ. أجوبة نظريّة تجدها في الكتب والبحوث العلميّة..

ب. أجوبة تجدها في التجربة الدينية للناس.. فتجاربهم تقدّم تعريفاً عمليّاً لهم عن الدين.. ولا يفهمون الدين في تجربتهم غير هذا..

لا شأن لنا بالنوع الأوّل هنا.. لكن النوع الثاني يقدّم لنا تعريفات كثيرة، منها:

١. الدين: أفيون..

٢. الدين: الطقوس والشعائر..

٣. الدين: قتل الآخر المختلف معي فيه.. (فناء الآخر)

٤. الدين: دولة أو تنظيم سياسي مقدّس..

٥. الدين: قيم أخلاقيّة..

٦. الدين: إمامة ومرجعيّة..

٧. الدين: فقه وشعائر..

٨. الدين: أكذوبة وتضليل..

٩. الدين: شعارات..

١٠. الدين: خصومة وتباغض..

١١. الدين: محبّة وتواصل..

١٢. الدين: فلان وفلان..

١٣. الدين: جهاد وحرب..

١٤. الدين: الخلافة..

١٥. الدين: تاريخ وأحداث في الماضي..

١٦. الدين: مناسبات اجتماعيّة..

إلى غير ذلك..

الفهم الحقيقي للدين ليس في الكتب فقط.. الفهم الحقيقي في التجارب أيضاً.. فلنكن في ذواتنا أو جماعتنا تجربةً تقدّم (أفضل) و(أشمل) تعريف للدين..

النقّاد ووهم التفوّق

١٢ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

هناك أشخاص رأيتهم في حياتي عندما ينتقدون كتاباً أو محاضرةً أو فكراً أو أدباً يتكلّمون بطريقة لا تشكّ معها في أنّ لديهم قدرات هائلة على تقديم نماذج بديلة راقية.. لأنّ نقدهم جميل حقّاً وصائب.. وأنّهم لو كتبوا لتفوّقوا على الكتابات القائمة..

لكن الطامّة تأتي عندما يكتبون.. إنّك ستجد أنّ ما انتقدوه كان أفضل بعشرات المرات ممّا كتبوه..

قد يكون النقد وأنت تشاهد المباراة سهلاً.. لكنّك لن تصبح بذلك (مارادونا) ولا (ميسي) ولا حتى.. **فعندما تنتقد ضع نفسك ـ خياليّاً ولو للحظة واحدة ـ مكان الذين انتقدتهم؛ لأن انتقادك لهم ولو كان صحيحاً لا يعني أنّك (أفضل) منهم.**

سؤال يحتاج لجواب

١٥ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

شخص يذهب كلّ يوم إلى المسجد.. لكنه لا يصلّي أبداً.. فمن الطبيعي أنّ ذهابه إلى المسجد جيّد.. وأنّ تركه للصلاة غير جيد..

لكن لو جمعنا بين الأمرين بنظرة واحدة ولم نفكّك بينهما، فهل المجموع جيّد؟ وهل تصفون مركّب فعله بأنّه حسن أم قبيح؟

لأعيد سؤالي بشكل أوضح: هل تركه للصلاة مع حضوره المسجد يومياً دليل أنّه إنسان سيء.. أم أنّ حضوره للمسجد يوميّاً مع تركه للصلاة دليل أنّه إنسان صالح في قلبه؟ (طبعاً بصرف النظر أنّ الصلاة أهم من حضور المسجد أم لا). هل نقول: إنه ولو ترك الصلاة لكن حضوره دليل صلاح قلبه.. أم نقول بأنّ حضوره المسجد مع تركه الصلاة دليل قساوة قلبه أم المسألة فيها تفصيل؟!

الجواب عن هذا السؤال ـ الذي أرجو أن نقرأه أكثر من مرّة ـ مهم.. لأنّ كثيراً من ظواهر حياتنا الاجتماعية تشبه هذه الحال.. فهل

للأصدقاء أن يتفضّلوا عليّ بأجوبتهم الدقيقة؟ وأنا شاكر لهم.

(وبعد سلسلة تعليقات على هذا المنشور)

... إنّني أشكر جميع الإخوة والأخوات على تعليقاتهم الرائعة، فقد كان الكثير منها مفيداً بجدّ، ولم يكن همي المثال أبداً، لكن كثيرين من الإخوة أشاروا للموضوع، تحت عناوين: ازدواجيّة.. نتعلّق بالطريق لا بالغاية.. نقف عند القشور لا اللب.. ننسى المقاصد لصالح الوسائل.. نتموضع في فضاء يفترض أن ينتج نتيجة معينة لكنّه لا ينتج هذه النتيجة معنا.. وغير ذلك من ظواهر حياتنا الاجتماعية والدينية والأخلاقية..

الصلاة هنا هي غاية المسجد ولبّه ومقصده ونتيجته.. لكن قد نغرق في المسجد ولا نحصل على الصلاة..

وفي المقابل الإخوة الذين امتدحوا هذا الشخص معهم بعض الحقّ أيضاً.. مثل صلاحه الروحي.. رغبته في أن يكون أفضل و..

هكذا بالضبط تقع أفعالنا دوماً ذات أوجه. أشكر مجدّداً مروركم وتشريفكم لي هنا جميعاً.

بين التاريخ والجغرافيا، زاوية من خلافاتنا الفكريّة الكبيرة

١٧ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

١. فريق يقول: للتاريخ خصوصيّاته وظروفه.. فلا تعمّموه علينا وتجروا علينا أحكامه التي جاءت لحالاته الخاصّة به.. فتلك قوانين أمم ماتت وانتهت وحكم الزمن بانقطاعنا عنها..

٢. وفريق آخر يقول: للجغرافيا خصوصيّاتها، فلا تعمّموا علينا ما توصّل إليه الغرب، حيث لا تنفع التعميمات مع اختلافنا في الخصوصيّات الحضارية والجغرافية.. وقد رأيتم تجارب التعميم كيف لم تُنتج سوى الخيبة.. فلكلّ أمّة ـ ولو في زمانٍ واحد ـ خصوصيّاتها.. فلا تستنسخوا تجارب الآخرين..

وبين الجغرافيا والتاريخ.. ضاع الزمان والمكان.. ولم نعرف أيّهما الأولى.. وضعنا.. ولم نحسم خلافاتنا بعدُ..

الخَلق وحديث الغايات

٢٠ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

الدنيا مثل الرسام المتأنّي الحاذق.. تحفر كلّ يوم وجوهنا وتغيّر بالتدريج تقاطيعها.. وتنحت كلّ يوم أجسامنا وتغيّر بهدوء انحناءاتها وتعرّجاتها.. لكنّ النسخة الأخيرة لهذا الرسام الماهر.. هي التي تسبق نزولنا القبر بثوانٍ..

الدنيا رسّامٌ لو بقينا أمامه فسوف يشوّهنا بعد أن يرسمنا بأبهى الصور.. كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً.. كأنّما لا غاية سامية من الأمر.. فهل هناك عالم يمكن أن تكون آخر إصداراته ورسوماته لنا هي أبهى أشكالنا وأجملها؟! عالمٌ لا نخشى أن نظلّ فيه خوفاً من أن تنحدر صورنا وتشيخ؟! عالمٌ نصنع نحن صورنا فيه من قبل.. أم أنّ الخَلق لا غاية له؟

وحديث الغايات صراع مؤلم بين العقول..

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥].

القرآن وفلسفة الحياة في الاختبار

٢١ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

كلّ واحدٍ منّا يمكن أن يكون ابتلاءً للآخر.. أنا بعقلي القاصر اختبارٌ لك في كيف تتعامل مع قصور العقل؟.. وأنت بعقلك الكبير اختبارٌ لي كيف أتسامى وأجدّ؟.. أنا بفقري اختبارٌ للغنيّ كيف يتعامل مع ماله تجاه الآخرين؟.. وأنت بغناك ابتلاءٌ للفقير كيف يتعامل مع ظاهرة الغنى.. هل سيشكر أم يكفر؟..

كلّ واحد منّا هو ابتلاءٌ للآخر.. سواء كان معه أم ضدّه.. مشتركٌ معه في شيء أم مختلف.. ليعلم كيف تكون ردّات أفعالنا تجاه اختلافنا واتفاقنا.. في كلّ شيء..

ليس المال والبنون فتنة لنا فقط.. **بل كلّ الناس من حولنا هم مشاريع فتنة واختبار لنا.. وكلّ وجدانٍ وفقدانٍ هو فتنة..**

وها هو القرآن الكريم يؤكّد هذا المفهوم بقوله:

١. ﴿وَكذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنْ

بَيْنِنا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٣].

٢. ﴿..وَجَعَلْنا بَعْضَكمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكانَ رَبُّكَ بَصيراً﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٢٠].

وقضيّة الاختبار في الدنيا واحدة من أسئلة الغايات..

قصّة الخبّاز وتطوير المعرفة الدينيّة

٢٤ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

يراك شخص مشغولاً ـ مثلاً ـ برمي أو تبديل أدوات العمل في مخبزك لإنتاج الرغيف.. يراك مهتماً بالحصول على مخبز متطوّر بدل المخبز اليدوي قليل الإنتاج.. فيقول لك: لماذا تشغل نفسك بهذه الأمور التي قد تثير منافسيك من أصحاب المخابز والأفران الذين لا يملكون إلا مثل مخبزك التقليدي اليدوي؟!.. ويطلب منك أن تهتم بأمور يقول لك إنّها أكبر!

مثلاً: لماذا لا تهتم بأن تكون أكياس الخبز أكبر لتضع فيها الخبز بطريقة أحسن..؟ أو لماذا لا تكبّر حجم الرغيف قليلاً بنفس السعر حتى يأتي الناس إليك..؟

ماذا أقول له؟ هل أقول له: إنّ ما تطلبه منّي ليس هو هموم الإنتاج اليوم؟ أم أقول: إنّه لا يمكن تجويد الإنتاج وتوسعته بشكل كبير إلا بتغيير أدواته وتطويرها؟ أم..

هذا هو جوابي لكلّ من ينصح الناس بأن لا يشتغلوا بالنقد النهضوي في الفكر الديني.. ويطلب منهم أن يهتمّوا أكثر بإنتاج تفاصيل جديدة ونظريّات فقهية وكلاميّة جزئيّة جديدة..

والسؤال: ألا يحتمل هؤلاء أنّ إنتاج ما يقولون غير ممكن في ظلّ الأدوات القديمة والمخبز التقليدي..

أسئلة النهضوي غير أسئلة المتخصّص أحياناً..

مقترح حول النصوص العاطفية الرقيقة في التراث الإسلامي

٢٩ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

كنت أتحدّث اليوم مع بعض الأصدقاء الكرام.. كنت أقول له: عندي مقترح فكّرت فيه عدّة مرات، لكنّ الوقت لا يُسعف الإنسان محدود الطاقة..

أن يجمع شخصٌ أو أشخاص كلّ النصوص (الرومانسيّة) الرقيقة والعاطفية والقائمة على الرقّة والحنان والحبّ وطراوة القلب في نصوص الكتاب والسنّة وكلمات رجالات التاريخ العربي والإسلامي، ثم تعمّم وتصدر في كتاب أو تبث عبر وسائل التواصل الاجتماعي لعامّة الناس.. فقد أُرهقنا من تظهير نصوص العنف والقسوة وجفاف القلوب في التراث..

لا أقصد أنّه لا توجد نصوص قوّة وشدّة في التراث.. لكن بدل أن نعيش معها لوحدها آخذين ببعض الكتاب وتاركين بعضه الآخر..

يجب أيضاً أن نظهّر ونبرز الوجه الآخر لتكتمل الصورة وتتضح.. ثم يكون الحكم بعدها نهائيّاً..

لقد صدّق كثيرون اليوم أنّه لا يوجد شيء في تراث هذه الأمّة غير السلبيّة والعنف.. لأنّهم اعتادوا على أن تظهّر أمامهم هذه النصوص والوقائع فقط.. ويتم التقاطها دوماً فتتركّز الفكرة السلبيّة في العقل.. **فلماذا نترك الساحة للقساة والأجلاف كي يظهروا الحضارة الإسلاميّة بمظهر واحد**.. أو يُظهروا حضارات قوميّاتنا كذلك كالعربية والتركية والفارسية وغيرها؟!

العلم واليقين والغرور (قصّةٌ في طائرة)

٣١ ـ ١ ـ ٢٠١٤م

قبل سنوات كنت في الطائرة من طهران إلى بيروت، جلس بجانبي شخص معروف نسبيّاً ومدّعٍ إلى أبعد الحدود.. قلّما رأيت مثله.. بدا كأنّه نابغة زمانه..

هو لا يعرفني.. فتكلّم في أمور كثيرة صادف أنّني أعرف فيها بعض الشيء.. فأكثر من الخطأ والهذيان ومن الكلام الفارغ جداً ظانّاً أنّه يُبدع نظريّات ما دام المستمع جاهلاً.. فلم أوحِ له بشيء يعكّر صفو مزاجه في بطولاته التي يقصّها..

ثم رأينا في الأسفل أنواراً فقال: هذه مدينة طرابلس قطعاً ويقيناً.. فسكتُّ، ولم نصل إلا بعد ساعة وربع.. أظنّ أننا كنّا حينها ما نزال فوق تركيا..

مثل هذا كثيرون.. **يذهلني الشخص الذي عندما يتكلّم يبدو وكأنه يفهم في كلّ شيء! وإذا أعطى رأياً بدا قاطعاً فيه وحاسماً إلى**

أبعد الحدود..

يا أخي.. هل من الضروري لكي أصبح فاهماً أن أتكلّم في كلّ شيء؟! وهل من المعيب أن أسكت فيما لا أفهم، وأجنّب الآخرين سفسطاتي وترّهاتي وكلامي الفارغ؟! بالله عليك اسكت وأرحنا.. وتأكّد أنّك ستكون بذلك أوّل المرتاحين.. وبدل أن تثقل سمعنا بالكلام افتح كتاباً صغيراً واقرأ.. أو أسمعنا بعض (النكات) المضحكة لكي نروّح عن نفوسنا.. ولك الأجر والثواب إن شاء الله..

عبادة الأصنام في عصر التوحيد

٥ ـ ٢ ـ ٢٠١٤م

كلّ واحد منّا يكاد يكون عابداً لصنم.. يقدّسه.. في حياتنا السياسية والفكرية والدينية والاجتماعية.. وكلّ فريق ينتقد الآخر على عبادته لصنمه.. لكنّه يعبد صنماً آخر غيره.. والكلّ يعبد الصنم.. ففرق بين من يرفض عبادة هذا الصنم ومن يرفض عبادة الأصنام كلّها..

وحتى نكسر الأصنام.. يجب أن نبدأ من التربية في بناء جيل صاعد..

وفي خطوة بسيطة تربوية يهمّني أن يشير علينا برأيه فيها من له قدم راسخة في العلوم النفسية والتربوية..

في خطوة أوّلية: أن يعمد كلّ أب وأم ومنذ طفولة أولادهما لإظهار عناصر الضعف فيهما بين الفينة والأخرى.. بطريقة لا تفقده الوثوق بهما.. كالاعتذار عن تصرّف.. أو الإقرار بجهل وعدم المعرفة بالجواب عن سؤال ما.. سينشأ الطفل الذي عادةً ما يرى أوّل الأصنام

في الأسرة (الأب والأم).. سينشأ على أنّهما بشرٌ مثله.. وإن تقدّما عليه بالفهم والخبرة.. وإن وجب عليه احترامهما..

الأصنام ليست حجارة فحسب.. الأصنام ثقافة وتديّن ونمط انتماءٍ وعيش.. الأصنام هي استلاب من الدرجة الأولى..

وقفة احترام للشيخ الوائلي (رحمه اللّٰه)

٦ ـ ٢ ـ ٢٠١٤م

في هذه الأيّام الحزينة المليئة بالعِبرة والعَبرة.. نستذكر جميعاً العلامة الراحل عميد المنبر الحسيني، الخطيب الذي جمع بين الحافظة والعقل والتأمّل والتحليل والأصالة والمعاصرة و.. وحبّ الحسين عليه السلام.. الشيخ الدكتور أحمد الوائلي (رضوان الله تعالى عليه)، صاحب المدرسة الكبيرة في المنبر الحسيني.. فله منّا وقفة احترام ودقيقة صمت.. **رحمك الله من عالم أسّس لمدرسةٍ ما أحوجنا إليها اليوم.**

المواقف والضغوط

٧ ـ ٣ ـ ٢٠١٤م

قد تدفع الضغوطُ السلبية الإنسانَ ليتخذ مواقف هجوميّة يراها دفاعاً عن النفس.. وقد تدفع حماسة المؤيّدين المتفاعلين معك أن ترفع السقف وتطلق قنبلةً يهزّ صوتها الأجواء.. لكن من غير السليم بمن يحمل مشروعاً في الحياة أن يخضع لحماسة المحيطين به.. ولا أن يكون عاجزاً عن استيعاب الضغط.. فمجتمعاتنا تعشق الخطيب المتحمّس الذي يفجّر قنابل.. أكثر مما ترغب بالخطيب الهادئ الذي يدير الأمور ولو حقّق المنجزات دون أصوات.. فالقنابل الصوتية صارت بالنسبة إلينا صرخات الآلام في نفوسنا.. وصيحات الرفض.. لكنّها قد لا تكون الحلّ دوماً.. (بل أحياناً فقط).

لقد سمعت مؤخّراً أنّ بعضاً ممّن نحترم يهمّ ـ بسبب الضغوط والمتحمّسين ـ لاتخاذ موقف كبير.. لست متأكّداً من الأمر.. لكنّني لا

أنصح بذلك.. بل أنصح باستيعاب الصدمات والتفكير الاستراتيجي بعيد المدى.. والتخطيط بهدوء.. **فأعمال التغيير والإصلاح قد تكون أحياناً حفراً للجبال بالإبرة أو جَرحاً للخصم بالقطنة**.. والله من وراء القصد.

عندما يُهمل العرب واحداً منهم ويكرّمه غيرهم!

٢٠ ـ ٣ ـ ٢٠١٤م

شيء مؤسف حقّاً على حال العرب، فقبل أيام قليلة تمّ تكريم أحد العلماء اللبنانيين المتخصّصين بمجال التراجم (حفظه الله) والذي يعتزم إصدار موسوعة تراجم بقريب من خمسين مجلداً ـ كما سمعنا ـ قضى عمره فيها. هذا الرجل عاش ويعيش في أوساطنا لا يعرف عنه أحدٌ شيئاً، ولا من يذكره ولا من يشير إليه..

جاءت جهةٌ مشكورة من خارج العالم العربي لتحتفل بتكريمه في مدينته في جنوب لبنان.. أما نحن فلا علم لنا به ولا خبر.. وهي الجهة الكريمة نفسها التي تقوم بالإعداد لمؤتمرات لعلماء عامليّين وتحقيق وتصحيح كتبهم وإخراجها للطباعة العصريّة القيّمة مثل السيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين وغيرهما..

مثل هذا العالم كثير وليس عددهم بالقليل.. **فإلى متى سنظل لا نقدّر رموزنا ولا شخصيّاتنا ولا علماءنا ولا مفكّرينا.. إلا قليلاً..**

فـ (قرش أو فلس) الآخر بمليون، أمّا مليوننا فهو بفلس عندنا! لا أظنّ أنّ أمّة يمكن أن تنهض بدون الثقة بالنفس أو بدون أمل بالثقة..

أمّة لا تتفكّه إلا بالسخرية بنفسها.. وتشعر بعقدة الحقارة في أيّ منجز يقوم به أحد أبنائها.. ولا تتغنّى إلا بماضيها.. بل ماضيها صار عبئاً عليها..

بينما ترى فيما عند الآخر ـ شرقاً أو غرباً ـ كلّ العلم والصلاح والمعرفة!

عندما تصبح المكتبة في البيت للـ (ديكور)!

٢٣ ـ ٤ ـ ٢٠١٤م

جاء شخص إلى بائع كتبٍ يريد كتاباً، فاستبشر بائع الكتب بأنّ هناك من تبقّى يسأل عن كتاب يريده..

قال المشتري: أريد كتاباً يكون في ست مجلّدات، ولونه أخضر فاتح..

استغرب البائع وقال: ما اسم الكتاب؟

قال المشتري: لا يهم، المهم هذه المواصفات..

قال البائع: ولماذا؟

قال المشتري: لأنّ مكتبتي في غرفة الاستقبال بقي فيها مكانٌ شاغر لمقدار ست مجلدات، واللون الأخضر الفاتح يناسبها تماماً..

ليس المهم أن تكون لديك مكتبة ورقيّة أو الكترونيّة.. بل المهم أن تقرأ، وأن تفهم.. وأن تُبدع كالكاتب.

الملا صدرا الشيرازي والمرأة

٢٦ ـ ٤ ـ ٢٠١٤م

في يومٍ من الأيام نشر صديقٌ عزيز لي مقالاً تحدّث فيه عن وجهة نظر الفيلسوف صدر الدين الشيرازي في المرأة..

يقول الشيرازي بالنصّ الحرفي، وهو يتكلّم عن خلق الأرض وما فيها من الحيوان و..: (ومنها تولّد الحيوانات المختلفة وبثّ فيها من كلّ دابة بعضها للأكل.. وبعضها للركوب والزينة.. وبعضها للحمل.. وبعضها للتجمّل والراحة.. وبعضها للنكاح، والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً.. وبعضها للملابس)[1].

ويقول الفيلسوف السبزواري معلّقاً على كلام الملا صدرا: (في إدراجها في سلك الحيوانات إيماءٌ لطيف إلى أنّ النساء لضعف عقولهنّ وجمودهنّ على إدراك الجزئيات ورغبتهنّ إلى زخارف الدنيا، كدن أن يلتحقن بالحيوانات الصامتة حقاً وصدقاً، أغلبهنّ سيرتهنّ الدواب،

(١) الحكمة المتعالية ٣: ١٣٦.

ولكن كساهنّ صورة الإنسان لئلا يشمئزّ عن صحبتهنّ، ويرغب في نكاحهنّ..)[1].

نشر صديقي هذا النصّ فثارت ثائرة أحدهم ليتصل به: لماذا نشرت هذا؟ هذه إهانة للملا صدرا؟ لعلّ صديقي أجابه: هذا رأيه.. إذا كان إهانة فهو قد أهان نفسه.. لكنّني أحترم وجهة نظره وأختلف معه تماماً..

هكذا يريدنا بعض الناس أن ننظر للكبار على أنّهم لا تصدر منهم سقطات ولا هفوات ولا أخطاء ولا غرائب! يجب أن تظلّ الصورة صافية ولو بالكتمان والتزوير.. لأنّ ثقافتنا هي أننا لا نقدّر شخصاً إلا إذا كان لا يخطأ!

(١) المصدر نفسه، الهامش رقم: ١.

نحن والملا صدرا ومحمد باقر الصدر

٢٧ ـ ٤ ـ ٢٠١٤م

ربما أكون متهماً في حبّي وتوصيفي لمحمد باقر الصدر.. فالرجل أعشقه وأحبّ هدوءه وثقافته وأخلاقه، لكن.. وحتى لا يظنّ ظانّ أنّ لنا غرضاً في الملا صدرا الشيرازي الذي درّستُ فلسفته ولا أعارض وجودها.. بل أدافع عن حقّها الوجودي.. أنقل لكم هذه القصّة لتأكيد الفكرة التي أردتها في منشوري السابق.. وهي: كيف ينبغي أن نتعامل مع الناس أصابوا أم وقعوا في الخطأ؟

حدّثني صديقٌ متابعٌ ومهتمّ وموسوعيّ في قضيّة السيد محمّد باقر الصدر.. قال: كنّا نحقّق ونصحّح كتبه ومحاضراته لإصدار مجموعة أعماله.. فصادفنا تعبيراً يقول فيه موجّهاً خطابه الشفوي لوفد نسوي عراقي: (أنتم يا بنات الزهراء).. قال صديقي: قلت للجنة المؤلّفة من عدّة شخصيّات موقّرة، ومنها علماء معروفو الاسم..: يجب أن نضع هامشاً في أسفل الصفحة للقول بأنّ الصحيح أو الأصحّ هو (أنتنّ) من

الزاوية اللغوية العربيّة..

فأجاب أحدهم: كلا.. إنّ الصدر مصرّ على هذا التعبير، وله من ورائه غرض.

قال صديقنا له: لماذا نفسّره هكذا وبدون دليل؟! إنّه تعبير سبق على لسانه لكثرة مخاطبته بالمذكّر..

قال العالم: كلا.. إنّه خاطبهم بالمذكّر عمداً ليشير إلى أنّهن بمنزلة الرجال في الفعل والتأثير الاجتماعي!

وهكذا لا نتحمّل حتى هفوة لسانية عابرة لرمزٍ كبير.. ونصرّ مرّةً أخرى على عصمتهم..

إذا خطّأتُ الملا صدرا أو الصدر، فهذا لا يعني أنّني أضعّفهما؛ بل لأنّي أحبّ لهما أن ينفعا الناس بخلق وجودهما لوعي إنساني.. لا بصيرورتهما مقدّسات تُفقد الناس الوعي.. أحبّ أن أحترمهما وأنا أدرك أنّهما غير معصومين.. لأنّ الاحترام يكون للمعصوم وغيره.. بل هو لغير المعصوم قد يكون أشدّ على النفس.. والله من وراء القصد.

المحاكم والمنازعات

١٠ ـ ٥ ـ ٢٠١٤م

بالأمس جمعني لقاء طيب مع نخبة من العلماء والباحثين والناشطين.. وكان أحدهم يتحدّث عن سفر رسمي له إلى إحدى الدول.. قال بأنّه تفاجأ عندما عرف أنّ المحاكم هناك لا تفتح إلا يوماً واحداً في الأسبوع؛ لأنّ عدد الملفات القضائية والمنازعات قليلٌ، يكفي له يوم واحد كلّ أسبوع!

أمّا عندنا وفي بلداننا العربية والإسلاميّة.. فهناك ـ وهذه ليست مبالغة ـ ملايين القضايا العالقة في المحاكم والتي لم تنته بعد.. بل تتراكم فوقها الآلاف كلّ عام.. وقد نحتاج إلى تمديد اليوم إلى مائة ساعة مقابل ٢٤ ساعة حتى ننجز الأعمال القضائية وملفات المخاصمات والمنازعات..

من المهم أن تحلّ منازعات الناس.. لكنّ الأهم أن نفكّر أيضاً في وضع قوانين ونظم وإرساء ثقافة ونمط عيش يخفّفان من توتر

المجتمع وصراعه مع نفسه، ويقلّلان من حاجتنا إلى المحاكم ورفع القضايا إليها..

كلام خيالي لم أكن لأتجرّأ على قوله إلا أنّه قد وقع في بعض البلدان! وعلى ذمّة الناقل..

نحن وجامعات الأديان والمذاهب

١٤ ـ ٥ ـ ٢٠١٤م

ينقل رئيس جامعة الأديان والمذاهب في إيران السيد أبو الحسن نواب (حفظه الله) عن الشهيد بهشتي (رحمه الله) أنّه كان يدعو قبل حوالي الأربعين سنة إلى وضع اختصاص علمي في المعاهد الدينية يُعنى بالأديان والمذاهب..

ظلّت الفكرة خجولةً حتى عام ١٩٩٥م.. إذ أُسّست في مدينة قم جامعة الأديان والمذاهب.. لقد صاحَبَ هذا التأسيس الكثير من الجدال واللغط.. واتخذت مواقف متناقضة من شرعيّة هذا العمل.. كونه يصبّ في إطار التعريف بالأفكار (الضالّة والكافرة)..

وبعد حوالي عشرين عاماً.. تعدّ هذه الجامعة اليوم مركزاً بالغ الأهميّة.. تخرّج منه الكثير من الذين حملوا الشهادات.. وكثيرٌ منهم من علماء الدين.. وأدّى ذلك إلى انفتاحٍ علمي حقيقي على الأديان والمذاهب الأخرى في العالم.. وتبادلٍ البعثات العلمية.. وعقد

الندوات المشتركة باستمرار.. من المسيحية وحتى البوذية..

ورغم وجود نشاطات متفرّقة هنا وهناك في هذا الصدد.. لكنّني **أدعو بإيمان عميق لتأسيس مثل هذا المشروع في العالم العربي**.. في بغداد أو بيروت أو القاهرة.. جامعات تعنى فقط وفقط بدراسة الأديان والمذاهب ومقارناتها.. وإلى جانبها مراكز الأبحاث التي تدعمها وترفدها باستمرار..

إنّها واحدة من وسائل دخول العالم حوار الأديان الحقيقي والنافع والمنتج إن شاء الله..

عندما تتضخّم الألقاب حدّ الألوهيّة، قصّةٌ وعبرة

٢٤ ـ ٥ ـ ٢٠١٤م

حفظ الألقاب أمرٌ جميلٌ يعبّر عن الاحترام والأدب.. والألقاب عادة سائدة في بعض المجتمعات أكثر من مجتمعات أخرى.. وقد راجت في العقود الأخيرة بشكل واضح في المجتمعات العربيّة..

سمعت من أستاذنا الجليل السيد محمود الهاشمي (حفظه الله) قصّةً تقول: إنّ أحد الأشخاص أرسل رسالةً يوماً ما إلى المرجع الديني السيد محسن الحكيم (رحمه الله)، فأراد أن يفتتح الرسالة بخطابٍ له يجلّ فيه من قدره ويمنحه اللقب الذي يستحقّه.. ومن شدّة إعجابه به لم يجد أنّ كلمة (آية الله العظمى) تكفي! فكتب مطلع الرسالة النصّ التالي:

إلى (الله العلماء) السيد محسن..!

الألقاب شيءٌ جميل، لكن قد لا تُشبع بعضَنا الألقابُ فيذهب بها عالياً في حقّ من يحبّ.. حتى ليكاد يشبّهه بالله تعالى..

أوطانٌ تشتعل، فهل يلزمنا الندم؟

١٢ ـ ٦ ـ ٢٠١٤م

في بلادي ـ بلاد المسلمين ـ أوطان تشتعل.. في كلّ يوم وطن.. لا تشتعل لتضيء دروب الناس.. بل تشتعل لتحترق وتحوّل العباد والبلاد إلى رماد.. في كلّ يوم نشاهد احتراق أمّة..

من أوقد لهذه النيران؟ ومن يمكنه أن يطفئها؟

اللهم إنّا نعلن براءتنا من كلّ من ساهم ـ ولو بكلمة ـ في إشعال هذه الفتن.. وفي وصولنا إلى ما وصلنا إليه.. من متآمرين على الأمّة الإسلاميّة.. ومن سياسيّين ورجال دين وإعلام وسلطة وقلم وصحافة و.. **اللهم ونستغفرك من أيّ قول أو فعل صدر منّا ساهم في وصولنا إلى ما وصلنا إليه..** اللهم آمين..

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٥٥].

رحم الله السيد الشهيد الصدر الثاني

١١ ـ ٨ ـ ٢٠١٦م

في زمنٍ كثُر فيه المنظّرون وقلّ العاملون..

خرج رجلٌ من بين أنقاض.. في وطنٍ هشّمه الاستبداد الداخلي والخارجي.

خرج من زنزانة النخبة وأوهامها إلى ساحة الحياة العامّة.. فتعامل ببساطةٍ فائقة مع الجمهور، مقدّراً كلّ وضعهم على مختلف الصعد.. فكسب ثقة الناس في زمانٍ لم يكن يعُد للثقة فيه موضع قَدَم.

اتُّهم في دينه، وفي شرفه السياسي، وفي ولاءاته، وفي نواياه، وفي علمه و.. وبدل أن يُعان أُسْلِم، بل..

وكالعادة عندما رحل صار مقدّساً..

لا أُريد أن أندبه.. بل أُريد أن أُذكّر نفسي وكلّ محبّيه الطيبين بالعمل والتعاون، والتعالي على الجراح.

نعم، العمل، العمل، العمل، وعدم التخلّي والجلوس في البيت، رغم كلّ المصاعب.. ووسط كلّ التحدّيات.. فالعمل هو النقيض لليأس، وهو الذي يُبقينا في عالم اليوم قبل أن نزول، وقبل أن نصبح أثراً بعد عين.. فقد كان هذا شعاره ـ (رحمه الله) ـ في سلوكه وفي حياته، حين خرج وسط اليأس العام ليُعيد الحياة للناس في روحها وهويّتها.

رحمه الله يوم وُلد، ويوم ارتقى شهيداً، ويوم يُبعث حيّاً..

مصادرة مجلة (نصوص معاصرة)
مجدّداً في إحدى الدول العربيّة

١١ ـ ٨ ـ ٢٠١٦م

رغم كلّ المتغيّرات، يظلّ العالم العربي والإسلامي يرزح تحت سطوة القمع ومصادرة الحريّات، بحجج وأعذار متعدّدة ومتنوّعة، وأولئك الذين ينتصرون لهذه الدولة هنا في قمعها لحريّةٍ ما، يهاجمون دولةً أخرى للسبب عينه!!

مجدّداً، أُخبرنا بأنّ إحدى الدول العربيّة صادرت العدد ٤٠ ـ ٤١ من مجلّة نصوص معاصرة، ومنعت لجنة الرقابة من نشره في هذا البلد العربي العزيز، رغم أنّ المجلّة تُنشر هناك منذ سنوات.

طبعاً هو إجراء يحصل بشكل متكرّر، ومع كلّ أطياف المجلات الفكريّة والثقافية العربية تقريباً هنا وهناك.. ومهما حاولتَ الابتعاد عن أيّ حساسيّة لكنّ المريض بمرض الحساسية لا يمكنه إلا أن يعيشها..

والظريف في الأمر أنّك ـ عملياً ـ لا تقدر على معرفة السبب،

وكلّما فكّرت فيه لا تجد له تفسيراً، إنّه مزاج المراقب الذي لا يقرأ النصوص بالضرورة، بل قد تستفزّه عبارة أو عنوان!! إلا أن يأتيك من هو مطّلع فيخبرك بالكواليس!!

وما زلتُ أذكر أنّه في حدود عام ٢٠٠٣م تمّت ـ في إحدى الدول العربيّة ـ مصادرة إحدى المجلات البيروتيّة المرموقة؛ لكونها نشرت مقالاً لي حول المرحوم الدكتور نصر حامد أبو زيد، رغم أنّ المقال كان يحتوي أيضاً على الكثير من القراءة النقديّة له!! ما عشت أراك الدهر عجباً..

مساؤكم عامر بالحريّات.. وتُصبحون على وطن..

ليس بالذكاء وحده نرى ما هو جديد

١٤ ـ ٨ ـ ٢٠١٦م

لا تحتاج في بعض الأحيان إلى الكثير من الذكاء كي تتوصّل إلى فكرة جديدة أو معطى جديد أو ترى شيئاً جديداً في موضوع ما، بل عليك فقط أن تغيّر موقعك من الموضوع، وهناك قد ترى أشياء لم تكن رأيتَها من قبل..

يُشبه هذا الأمر شخصاً واقفاً على تلٍّ مرتفع وآخر يقف في الأسفل، فقد يرى من يقف على التلّ أشياء لا ينتبه إليها الواقف في الأسفل، ليس لأنّ الواقف على التلّ أنبه وأفطن، بل لأنّه غيّر موقعه بالقياس إلى الشيء المرئيّ..

يقول المناطقة: إنّ حاجة أمر ما إلى جهدٍ جسدي مثلاً لا يحوّله موضوعاً نظريّاً معقّداً بالضرورة، والأمر هنا على هذه الوتيرة..

ويخيّل لي أنّ مجموعة من الكتابات التي سُطرت حول الدين والإسلام في العصر الحديث، خاصّة ما كتبه بعض المستشرقين،

لم تأت بجديدها دوماً من خلال عمقٍ بالغ في الرؤية، بقدر ما أتت ـ أحياناً ـ من خلال تغيير الزاوية، والوقوف في مكان آخر غير الذي اعتدنا الوقوف فيه..

إنّ موقعك من الموضوع وإن لم يكن زيادة في الفطنة والذكاء أحياناً، لكنّه بنفسه يحتاج إلى مقدّمات.. وإرادة..

الدين الكبير والدين الصغير
(الحدّ الأعلى والحدّ الأدنى)

٩ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

تتحدّث فلسفة الدين والدراسات الدينية المقارنة عن وجود تصوّرين حول الدين:

التصوّر الأوّل: الدين الكبير أو الدين بالحدّ الأعلى، وهو الدين الذي يتدخّل ويُبدي موقفاً في مساحة كبيرة جداً من الفكر والعمل وغيرهما، فله مواقف في التاريخ والمستقبل وحوادثهما، وفي الكون والخلقة والطبّ وكلّ سلوكٍ إنسانيّ صغير أو كبير و..

إنّ حجم الدين وقضاياه هنا كبيرٌ جداً، وقد يصطدم هنا أو هناك ـ كما يراه بعضٌ ـ بمساحاتٍ معرفيّة وعلميّة وتجربية بشريّة في هذا الموضوع أو ذاك، الأمر الذي يسبّب ـ بل قد سبّب بالفعل ـ له الكثير من المشاكل!

التصوّر الثاني: الدين الصغير أو الدين بالحدّ الأدنى، وهو الدين

الذي لا يُقحم نفسه في دوائر كثيرة، بل يرى نفسه مجموعة قضايا محدودة جداً تتصل بالعلاقة مع الله وشيء من هذا القبيل.

إنّ حجم الدين هنا ضئيلٌ للغاية، ومن ثَمّ هناك توجّس عند بعضهم من أن يدفع هذا الاختزال إلى تحويل الدين إلى شيء هامشي في الحياة، الأمر الذي قد يراه المؤمنون خطأ جذريّاً يُغَلِّبُ الدنيا على الآخرة!

هل يمكن أن نشتغل على تحديد موقفنا من هذين التصوّرين؟

هل بالإمكان الحديث عن تصوّر وسطي يتلافى ما يعتبره الفريق الثاني مشاكلَ عند الفريق الأوّل، وما يعتبره الفريق الأوّل اختزالاً للدين ابتُلي به الفريق الثاني؟

أين تكمن نقطة البداية في معالجة هذا الموضوع؟ وأساساً هل هناك نقطة بداية واحدة؟

إذا لم تتمكّن من حذف مفهوم ما فأعد إنتاجه وإخراجه

١٣ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

كثيراً ما لا يتمكّن المفكّرون والمصلحون ـ على أنواعهم ـ من مواجهة حالة قائمة في المجتمع أو في العقل أو.. فتجدهم يقارعونها ليلاً ونهاراً، كمن يضرب رأسه كلّ يوم بالجدار، فلا يزيد ذلك الجدارَ إلا قوّةً ولا يزيد رأسه إلا وهناً وعَطباً.. بل الأنكى أنّها من النوع الذي كلّما واجهته نما وازداد.. كمن يملك بعض الفطريات الجلديّة التي كلّما حكّها قويت وازدادت، حتى لو شعر في بداية الأمر بالراحة في حكّها ونهشها..

في بعض الأحيان لسنا بحاجة ماسّة فوريّة إلى حذف فكرةٍ أو مفهوم أو معتقد أو ثقافة معيّنة نجد أنفسنا عاجزين عن مواجهتها.. فقد نضطرّ هنا ـ حتى لا نضيّع وقتنا ـ إلى تحوير المفهوم وإعادة إنتاجه بما يخدم منظومتنا الفكريّة.. ليكون تحييده في مرحلةٍ لاحقة إذا توفّرت ظروفها الموضوعيّة وكانت هناك ضرورة.. فإعادة تفسيره أو إنتاجه أو

توظيفه أو قطع بعض أذرعه أو إعادة تشكيله أو إخراجه بالطريقة التي تصبّ في رؤيتك تظلّ ـ مع الإمكان ـ خطوةً مشكورة في ظرف العجز عن تغييره أو حذفه.. فإذا لم تتمكّن ـ وهذا مجرّد مثال لا أكثر ـ من منع طفلك عن الإدمان على الأجهزة الالكترونيّة فلا أقلّ أعد إنتاجها في حياته بطريقة تنفعه..

فلنتخلّ أحياناً عن بعض العقل الراديكالي الذي نُدمنُه..

تعلّم ما ترغب به ويكون نافعاً لا ما يريده الآخرون

١٤ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

جمعني لقاء بأحد الأفاضل الطيبين في الحوزة العلميّة، ودار حديث حول هموم وتحدّيات الواقع المعاصر، قال لي هذا الفاضل العزيز: عشقي وميولي البحثية والدرسيّة هو دراسة الدين المسيحي، وأنا الآن دكتور في هذا المجال، ولا أجد أيّ لذة أو رغبة أو قدرة عطاءٍ في دروس الفقه والأصول، رغم احترامي البالغ جدّاً لهما..

قال وتبدو عليه علامات الحيرة: ماذا أفعل؟! إذا لم أهتمّ بالفقه والأصول وأدرّسهما فقد يلحقني شين في المجتمع العلمي! ولكنّني لو أوليتهما الأهميّة فإنّ فتور رغبتي لن يسمح لي بالتقدّم في هذا المجال، وتقديم ما هو نافع وجديد ومفيد..

صراعٌ يعاني منه الكثير من طلاب العلوم الدينيّة الذين يقفون اليوم بين مطرقة تحدّيات الواقع وقضاياه وميولهم البحثيّة والعلمية التي هي متنوّعة بطبيعتها كتنوّع البشر في رغباتهم.. وبين معايير المجتمع

العلمي الداخلي الذي فرض مسطرته الخاصّة على جميع الناس! وأراد ـ ولو من غير قصد ولا نيّةٍ سيّئة ـ أن يكونوا بلونٍ واحد وطعمٍ واحد ورائحةٍ واحدة..

قلتُ له وأقول: موقفي واضح، وجوابي أكثر من صريح.. **اذهب حيث تجد نفسك راغباً.. وحيث تكتشف ذاتك وتراها بجدّ**.. فالمجال الذي تتحدّث عنه يكاد يكون بكراً بيننا.. والمتخصّصون في مجال المسيحيّة أندر من الكبريت الأحمر.. اذهب واخدم الدين والمعرفة في هذه الأرض الخالية الجدباء.. وازرع فيها ليكون زرعك نافعاً..

واترك عنك حديث المكانة الاجتماعيّة والأبّهة و.. فمن أراد الله لا يسأل عن هذه الأمور إلا في طريق تحقيق غايةٍ إلهيّة.. كن جريئاً مرّةً واحدة في حياتك وسترى تحوّلاً كبيراً في دنياك..

لا يمكن بناء ذواتنا النقيّة والإلهيّة إلا ـ أحياناً ـ بتدمير ذواتنا الاجتماعية الأسطوريّة وتحدّي كلّ الأسماء التي سمّيناها نحن وآباؤنا من قبل.. فهذه هي قصّة جلال الدين الرومي..

لأنّ في الحياة فشلاً وإخفاقاً.. لا تعدّنّ نفسك للحظة النجاح فقط

١٦ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

لأنّ منطق الحياة يقول: لست أنجح دائماً في كلّ ما أسعى للوصول إليه، ولست أبلغ القمّة في كلّ ما أصبو أن أبلغه..

ولأنّ منطق الحياة يقول: ستتعثّر خطواتك في مكانٍ ما.. وستُخفق في تحقيق هدفٍ ما.. ولن تكون النتائج كما تخيّلتَها في البداية وكانت أملاً لك..

لهذا وذاك، **لا تفكّر دائماً للحظة النجاح فقط.. بل فكّر أيضاً كيف تبني نفسك في لحظة الفشل.. وكيف تواجه الإخفاق.. وكيف تكون أقوى من السقوط في لحظته..** لأنّ القدرة على مواجهة الإخفاق شكلٌ من أشكال النجاح في الحياة أيضاً.. بل لعلّها أكبر من قدرة الوصول للنجاح نفسه أحياناً..

والقاعدة القرآنية هنا أكثر من رائعة، حيث يقول سبحانه ـ بعد

تقرير مبدأ القضاء الإلهي ـ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[سورة الحديد، الاية: ٢٣]، فليس هناك عند الإخفاق أسى وحزن يُقعد الإنسان عن العمل والاستمرار.. وليس هناك عند النجاح فرحٌ وفَخر يبعثان الأنانيّة والطاووسيّة في النفس بما يدفعها إلى التوقّف أحياناً عن العمل والاستمرار نتيجة وهم الوصول.. فوعي منطقيّات الحياة في التوفيق والإخفاق حاجةٌ للنجاح في التعامل معهما..

التسليم والتوكّل والرضا أغصان شجرة التوحيد

من أفضل الطرق اليوم لإنقاذ الديـن

١٨ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

يعاني إنسان العصر الحديث من الشعور بالوحدة والغربة، وتتهاوى عليه الضغوط النفسيّة، ويتسابق مُجهَداً مع نمط الحياة المعاصرة، وتتجاذبه الكثير من المؤثرات والفواعل، حتى صار الاضطراب والاكتئاب سمة هذا الزمان.

لعلّ واحدةً من أفضل الطرق اليوم لإنقاذ هذا الإنسان ومساعدته، وتخفيف الضغط النفسي الهائل الذي يُجهده ويُضنيه، هو تغييره من الداخل، وخلق روح هادئة وإيجابيّة في نفسه، وتحرير جوهره من المادّة الضاغطة عليه باستمرار، وجعله يرى للحياة معنى، وفي الوجود لذّةً لا ألماً، ليحلّ السلام الداخلي في قلبه حتى لو كانت الحياة من حوله تعيش حرباً لا هوادة فيها.

بإمكان الدين اليوم أن يلعب هذا الدور، فيُلقي على الحياة معنى يبعث في الروح سكينةً وطمأنينة، لست أقول: إنّ الدين فقط وفقط

يقدر على ذلك، فلست حريصاً الآن على دعوى احتكار الدين للحلول، كما يحبّ الكثير من المتديّنين، لكنّني حريص على أن أجعل الدين أحد منافذ النور ونوافذ الهواء القادرة على إنقاذ إنساننا المريض اليوم.. إنساننا المأزوم..

ولعلّ أكبر خدمة في هذا العصر يمكن تقديمها للدين هو أن نُنجح مهمّته في إنقاذ الإنسان من الإحساس بألم الوجود وصعوبات الحياة، لكنّ هذا يستدعي إحياء النزعة الروحيّة والمعنويّة في الدين، تلك النزعة التي لا تتجاوز الشرع ولا تُدخل العقل في تخريف أو تهريج، كما أنّه يفرض ضريبةً ليست بسيطةً تتطلّب إعادة موضعة ـ وليس حذف ـ ثلاثيّة (التاريخ، والفقه، والعقيدة)، في مكانها الصحيح، دون تغويلها وتضخيمها حدَّ تجفيف الدين من روحه وقدرته على خلق التسامي المعنويّ للإنسان.

هل يمكن أن ننتج فهماً لا تؤدّي فيه أديان الفقهاء والمتكلّمين ورجالات المذاهب والطوائف إلى إلحاق الضرر بأديان السالكين إلى الله بأرواحهم؟

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[سورة الرعد، الآية: ٢٨].

أصول الدين من البُعد الاجتماعي إلى البُعد الروحي

١٩ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

تحدّث المفكّرون المسلمون في القرن العشرين كثيراً عن البُعد الاجتماعي لأصول الدين، في زمن كان يُراد فيه للدين أن يكون فاعلاً اجتماعيّاً وسياسيّاً، ولست أُنكر البعد الاجتماعي للعقيدة، غير أنّ **ما أتطلّع إليه اليوم أيضاً هو البُعد الروحي للعقيدة والذي أجده يسبق البعد الاجتماعي في كثير من الأحيان؛ لأنّ العقائد الدينية يفترض أن تُنتج روحاً إيمانيّة، تُنتج بدورها فعلاً اجتماعيّاً، وليس فقط مجموعةً من الجُمل الخبريّة** مثل: (الله واحد.. محمّد خاتم الأنبياء و..)، نتلقّاها كما يتلقّاها الطفل الصغير في بداية أيّامه في المدرسة.

فالتوحيد في فعاليّته الإيمانيّة لا يعود قضيّةً رقميّة (رقم: ١)، بل يصبح إحساساً بانتماء الوجود كلّه إلى الله.. المطلق الخير المتعالي.. وهذا الإحساس يولّد سكينةً ورضا وتوكّلاً وشعوراً بمفهوم (ما رأيت إلا جميلاً).. ويوم الآخرة لا يعود تصوّراً عقليّاً عن المستقبل فقط، بل يُصبح جزءاً من الإحساس بقيمة الدنيا ونهجاً في تقويمها وإعطائها

حجمها الطبيعي في الروح والنفس..

الشعور مرتبة فوق الإدراك الذهني الخالص.. مرتبة تتحوّل فيها المفاهيم العقليّة إلى تيارات نفسيّة وأمواج روحيّة وحرارة داخليّة، تفضي إلى العمل الصالح.

ما يؤسفني هو أنّ روحانيّة الدين قد تمّت مصادرتها أحياناً من قبل العقائد، فتمّ ـ عند بعضٍ ـ مَذهَبَة العرفان والتصوّف، بدل رَوحَنَة المذاهب والاعتقادات، بل بتَّ تجد بعض المنافحين المستميتين في الدفاع عن الروح العرفانيّة في الدين أقلَّ من غيرهم روحانيّةً!

والتحدّي الكبير هو في كيف نُنتج عقيدةً تؤدّي إلى نهضة روحيّة حقيقيّة في حياة الإنسان، بحيث نوفّق بين الأمرين ولا يصادر أحدهما الآخر؟ كيف نُنتج عقيدةً لا تجعل الإنسان يأمن مكر الله أو ييأس من روح الله (الأمن واليأس مشاعر روحيّة مدمّرة؛ لأنّها توقف سير وسلوك الإنسان إلى الله)، بدل أن تقوم العقيدة بتلقين أبنائها أنّهم خير البشر وعليهم أن لا يقلقوا من مصائرهم؟ فلأنّهم حملوا هذه العقيدة ـ بوصفها التزامات فكريّة وانتماء اجتماعي ـ إذاً فهم نُخبة النخبة ولو كانت أرواحهم وسلوكيّاتهم ملوّثةً بالمعاصي والآثام ومحجوبةً بالذنوب والأوهام!!

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٧﴾[سورة الجمعة، الآيتان: ٦ ـ ٧].

عبادة (الماركات) في زمن الفقراء

٢١ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

يحبّ الإنسان شراء الجديد من الثياب والأثاث وألوان القطع والأجهزة الميكانيكيّة والالكترونيّة الجديدة، وهذا شيء طبيعيّ إلى حدّ كبير، فإذا كان في ذلك الجديد خدمة جديدة بشكلٍ من الأشكال، فأيّ ضَيرٍ في أن يغدق الإنسان على نفسه وعياله ومن حوله بما أنعم الله به عليه، فإنّ الله يحبّ أن يرى آثار نعمته على عبده، ما دامت هذه النعمة قد أتت من طريقٍ نزيه حلال نظيف، ولا يحبّ أن يكون الناس والمؤمنون بمظهر الضعف والفقر والفاقة.. فكثير من الصالحين والأنبياء والمرسلين كانت أحوالهم (المادية) جيّدة..

لكن أن نصل إلى مرحلة لا نشتري فيها لباساً أو محفظةً أو سيارةً أو عِطراً أو جهازاً الكترونيّاً أو (تلفوناً) أو.. لا لشيء من خدماته الإضافيّة التي غالباً ما لا يحتاج الناس العاديّون إليها، بل كثيرٌ من الناس لا يعرف أكثر الخدمات التي يقدّمها (التلفون مثلاً) الذي بين يديه! لكن فقط وفقط يشتريه لأنّه ينتسب إلى (ماركة) عالميّة، تحتفّ بالأبّهة والفخامة

والرقيّ، والغريب أنّ القيمة التي ندفعها إزاء ذلك ليست بسيطة حتى لا نتوقّف عندها كثيراً، إنّها فاحشة للغاية.

سأغضّ الطرف عن رغبة حصلت للإنسان يوماً هنا أو هناك في شراء شيء، فلعلّ ذلك يمكن التعامل معه، أمّا أن يُدمن بعض رجالنا وشبابنا أو نسائنا وفتياتنا، مثل هذا الأمر، فهذا مما قد يدخل أحياناً في الإسراف والتبذير، وقد يفكّك الأُسر أو يضعفها، وقد يرمي بالأثقال على كواهلنا أكثر مما تحمل..

هل فكّرتَ يوماً في أن تتنازل عن (ماركة) عالميّة في سلعة تريد أن تشتريها لتدفع هذا المال إلى مريضٍ بالسرطان، أو إلى أطفال التوحّد، أو إلى اليتامى والمساكين، أو إلى المهجّرين واللاجئين في أيّ مكانٍ من هذا العالم دون أن تضيّق على نفسك فيما تعيش؟ ذلك أنفع لك وله ولنا جميعاً وأصدق.. في الدنيا والآخرة.. وذلك مما له لذّة وسعادة عظيمة أيضاً.

لست هنا ضدّ المبدأ، بل على الأقلّ أنا هنا ضدّ ظاهرة الإدمان التي تستنزف طاقاتنا الماديّة.. والأخطر أنّها تستنزف وعينا وتسطّح تفكيرنا.. فتجعل الأشياء مالكةً لنا نلهث خلفها كلّ شهر أو شهرين في (موديل جديد) ظهر في السوق، بدل أن نكون مالكين لها.. بل تجعلنا نحن والأشياء مملوكين لتجّار المال وحيتان السوق..

والمؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ..

المعنويّة والإيمانيّة ومعضل الأسئلة الكبرى في الدين

٢٣ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

يتجه الكثير اليوم من أنصار مدرسة التحديث في الفكر الديني نحو الاتجاه المعنوي والروحي (الخالص)، بوصفه خشبة الخلاص التي بإمكانها أن تبقي شعلة الإيمان في النفوس، وفي الوقت عينه تضع عن كواهلنا كلّ (النتائج السلبيّة) الآتية من العقائد والقوانين والأمور التاريخيّة والفقهيّة..

إنّني أصنّف هذا التوجّه العام على أنّه رغبة التحديث الديني في عدم السقوط التام للدين، الأمر الذي يدلّ عندي على رسوخ النزعة الدينيّة في نفوس التحديثيّين خلافاً لما ينعتهم به خصومهم.. ولعلّ إقبال الكثير من الشباب المسلم اليوم على النزعة الروحيّة والصوفيّة ـ رغم تمرّدهم العنيف على النصوص والقوانين والتاريخ ـ تعبيرٌ آخر عن ذلك..

لكن.. وحتى نفكّر بعقليّة المستقبليات، هناك فرق بين أن تتخطّى

مشكلة وبين أن تقوم بحلّها وتفتيتها، فليست كلّ المشاكل يكون حلّها بتجاهلها، فإذا أردت أن تتخطّى مشكلةً في أعمدة البناء، فلا يمكنك أن تكتفي بالتجاهل لتذهب خلف إكمال عمليّة البناء العلوي، إذ سرعان ما ستواجه انهياراً في المبنى بأكمله..

لا يمكن أن نخدّر أنفسنا بالمعنويّة والإيمانيّة قبل أن نجيب وبوضوح عن الأسئلة الكبرى في القضيّة الدينيّة.. ما هو موقفنا الحقيقي من الله؟ ما هو موقفنا الحقيقي من النبوّة والمذهب الربوبي الطبيعي؟ ما هو موقفنا الجادّ من النصّ الديني؟ ما هي مديات مرجعيّته؟ ما هي معايير التمييز بين اللباب والقشور في الدين؟ وما هي ضوابط التفكيك بين الأبدي والتاريخي؟ ما هو دور العقل؟ ما قيمة العقل النظري؟ ما هو الموقف من العلم؟ وما هي طبيعة العلاقة بين العلم والنص الديني؟ ما هو الموقف من منهاجيّات الفلاسفة والمتكلّمين؟..

أسئلة كثيرة ضاغطة بثقلها على العقل والضمير، تحتاج لاعتكاف الأدمغة لحلّها بِحِرَفِيَّة ومهنيّة عالية، ولا يمكن تخطّيها وتجاهلها نحو وضع حلّ يمثل قراءة مستوعبة للملفّ الديني.. فلا توجد حلول حقيقيّة وموضوعيّة من دونها فيما نظنّ.. فلا تأتي الحلول من وضع عصابة على العينين، ولا من دسّ الرؤوس في الرمال..

يُعجبني التحديثيّون الذي ساهموا في تقديم أجوبتهم عن هذه الأسئلة بدراسات معمّقة، ليذهبوا خلف المعنويّة عن قناعة معرفيّة مهما

اختلفنا مع تفاصيل موقفهم فيها.. يعجبني هؤلاء أكثر من التحديثيّين الذين ذهبوا نحو المعنويّة دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء تقديم مبرّر معرفي مسبق، فجاءت نتاجاتهم أقرب إلى الجهود الشاعريّة والعاطفيّة وإلى شرح التجربة الوجدانيّة الذاتية التي تعمل على تخدير الطرف الآخر اللاهث باحثاً عن حلّ يخلّصه من وجع الواقع..

وجهٌ من وجوه المعنويّة هو في قناعتي المتواضعة خشبة خلاصٍ لابدّ منها لمواجهة تغوّل الجوانب الأخرى في الدين، لكن ما هو الشيء المحدَّد الذي (يمكننا منطقيّاً ودينيّاً) أن نضحّي به للوصول إلى خلاص المعنويّة والإيمانيّة؟

وجع الواقع لوحده لا يبرّر كلّ شيء، وإلا لبرّر وجعُ الرأس العلاجَ بقطعه من الرقبة!

وخز الإبرة والتفكير خارج الصندوق

٢٤ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

يفضّل كثيرون التفكير من داخل دوائرهم، ويشعرون بأنّه من الصعب عليهم النظر في الأمور من الأعلى، أو من نقطة الصفر، فإذا انتمى لدائرة معيّنة فقد وضع بينه وبين الدوائر الأخرى حجاباً، بحيث غدا يشعر بأنّه لو قَبِلَ بشيء ما في الدائرة الأخرى، فقد جرح انتماءه أو خدش هويّته أو أخلّ بقناعاته الكبرى أو غيّر لونه. وحتى التشبّه أو التلاقي مع الأطراف الأخرى على مشتركٍ ما أو الانتفاع بما يقوله الآخرون خارج دائرتك يصبح صعباً؛ لأنّ عالمك الفكري يصبح عالماً مستقلاً تماماً عن الآخرين، ومكتفٍ بكفاية ذاتيّة في الوقت عينه.

إنّ التعالي ـ وأنت تدرس قضيّةً ما بموضوعيّة عالية ـ عن الفضاء الذي أنت فيه قد يكون صعباً في البداية، وهو أشبه بلحظة وخز الإبرة في جسد الإنسان، بل قد يُشعرك بالخوف على ذاتك، لكنّه ـ إذا صبرت قليلاً عليه وسرت معه بتأنٍّ لا باندفاع أو قلق، ولا بإفراطٍ أو تفريط ـ سرعان ما يصبح إحساساً عارماً بالتحرّر الفكري وبالموضوعيّة

والقدرة على التعامل مع الأشياء جميعاً بإيجابية عالية وبدرجة واحدة أيضاً من النقد.

من هنا، لا تصنّف نفسك ـ وأنت تفكّر ـ بما يحجبك عن الحقّ عند غيرك، ولا تصبح ممّن يرى الحقّ عند الآخرين لكنّه لا يُفصح عنه ولا يسير معه، لا لشيء إلا لأنّه (عند الآخرين)، فاستيراد الأفكار والتعابير والمفاهيم والتجارب ليس محرّماً، عندما لا يصطدم بحقيقة موضوعيّة ثبتت عندك بالتفكير من قبل، حتى لو اصطدم بانتماء اجتماعي. فكّك بين انتمائك الاجتماعي وبين تفكيرك في قضيّة ما، وسترى ما ربما لم يكن يمكن أن تراه من قبل.

لن أعيش عقدةً إذا كنتُ شيعيّاً من أن التمس حقّاً عند سنّي، ولن أتوانى ـ إذا كنتُ سنيّاً ـ عن الشعور بالسعادة عندما أتعرّف على حقيقةٍ ما عند شيعي، ولن أخشى إذا كنتُ إسلاميّاً من أن أستفيد من أفكار العلمانيّين النافعة، كما لن أضرب ـ إذا كنتُ علمانياً ـ حجاباً بيني وبين حقيقةٍ أضاء عليها مفكّر إسلاميّ مُبْدِع، فالانتماءات عندما تُصبح حجباً عن رؤية الحقيقة ستكون ظلماتٍ من نور وعوازل نورانيّة بحسب تعبير العرفاء وأهل المعنى.

التفكير هو الذي يقود إلى الانتماء ويبرّره، فلا ينحر أحدُنا التفكيرَ بالانتماء.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[سورة الزخرف، الآية: ٨١].

المجلسي الأوّل والتقيّة في الشهادة الثالثة!

٢٥ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

يذكر الشيخ محمّد تقي المجلسي المعروف بالمجلسيّ الأوّل (١٠٧٠هـ)، وهو والد العلامة المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار، في كتابه (لوامع صاحب قراني ٣: ٥٦٦ ـ ٥٦٧)، وهو شرح مفصّل على (كتاب من لا يحضره الفقيه) باللغة الفارسيّة، يذكر أنّه كان يحضر عند أُستاذه المولى عبد الله (الظاهر أنّه التستري)، وبلغ الكلام الشهادةَ الثالثة في الأذان والإقامة، وهناك نقل المولى عبد الله كلامَ الشيخ الصدوق في القضيّة، فسأله المجلسي الأوّل: فلماذا أنت تقول الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة؟ فقال له: تيمّناً وتبرّكاً. وبعد نقاشٍ وتبادل رأي، قرّر الأستاذ أن يترك قولها في الأذان والإقامة، وسرعان ـ والكلام للمجلسي الأوّل ـ ما اتُّهم المولى عبد الله بأنّه سنّي وليس شيعيّاً، فسارع المجلسي الأوّل إلى أُستاذه ليقول له: إنّ قول الشهادة الثالثة صار لازماً عليك من باب التقيّة، فأجابه أُستاذه المولى عبد الله بأنّني كنت أُريد أن أُقول لك ذلك من الأوّل، ولكنّني

عبّرت بالتيمّن والتبرّك..

لا تهمّني تفاصيل القصّة الآن، ولا الموقف من الشهادة الثالثة، فهذا موضوع فقهيّ يُبحث في الكتب الفقهيّة، ولكلٍّ موقفُه ورأيه الذي يُحترم عليه. ما يهمّني هو أنّه إلى متى ستستمر هذه الحال؟! **وإلى متى سيبقى بعضُ الناس أشبه بالفزّاعة التي تصدّ العلماء والمفكّرين عن طرح الأفكار وتقديم الرؤى والنظريّات؟!**

والأغرب في الأمر، الإخراج من الدين والمذهب، فلطالما أخرج بعض علماء السلفيّة الناسَ من الإسلام واتّهموا الأشاعرة والماتريديّة والمعتزلة والشيعة والفلاسفة والمتصوّفة بالكفر والزندقة، لكنّ قيامتهم قامت عندما أخرجهم أشاعرة اليوم، ليس من الإسلام، بل من أهل السنّة والجماعة! ولطالما استفزّ بعضُ الشيعة سائرَ مذاهب المسلمين ببعض أشكال خطابهم ضدّ رموز المذاهب الأخرى، أمّا إذا خرج موقفٌ متشدّد من شخصٍ سنّي تجاههم أو موقف جارح، ثارت ثائرتهم الداعية إلى وأد الفتنة! وكثيرٌ من الناس يُخرجون غيرهم من هذا المذهب أو ذاك، فإذا اتّهموا هم بالغلوّ، قرعوا طبول الحرب!

لا يوجد حلّ ـ فيما يبدو لنا ـ إلا بالحريّات الفكريّة، واحترام التعدّدية، وتغيير مناهج التربية والتعليم، والتخلّي عن ثقافة النفي والإقصاء والعنف، واحترام مبدأ الاجتهاد المتنوّع.

وأخيراً تحقّق حُلم السيد البروجردي

٢٦ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

برعاية المرجع الديني الشيخ الصافي الكلبايكاني (حفظه الله) ـ تلميذ الإمام البروجردي ـ أُسدل الستار اليوم في دار الشفاء في الحوزة العلميّة بمدينة قم، عن (موسوعة السنّة النبويّة في مصادر المذاهب الإسلاميّة)، والمؤلّفة من عشرين مجلّداً ضخماً، احتوت عشرات آلاف الأحاديث، والتي استمرّ العمل عليها أكثر من عشر سنوات من قبل عددٍ كبير من الباحثين، في مركز الدراسات التابع لمجمع التقريب بين المذاهب.

هذا المشروع هو الذي كان يحلم به قبل أكثر من نصف قرن المرجع الكبير السيد البروجردي (رحمه الله)، وحالت دون تحقيقه الظروف الداخليّة في الحوزة آنذاك وعدم تحمّلها مثل هذا المشروع، وفقاً لما يُنقل عن الشيخ واعظ زاده الخراساني تلميذ البروجردي.

يقوم المشروع ـ وهو من مشاريع التقريب بين المذاهب ـ على

جمع السنّة النبويّة المشتركة في مصادر المذاهب الإسلاميّة، وتقديمها بين يدي الباحثين، مادّةً يمكن من خلالها التعرّف على مشهد الحديث النبوي المشترك بين مذاهب المسلمين.

لقد كانت هناك مشاريع قريبة من هذا المشروع الكبير، مثل مشروع جمع روايات أئمّة أهل البيت عند الإماميّة في مصادر أهل السنّة، حيث كان صدر المجلّد الأوّل من هذا العمل عام ١٤٢١هـ، حاملاً عنوان: أحاديث أهل البيت عن طرق أهل السنّة، للسيّد مهدي الروحاني (١٤٢١هـ) والشيخ علي الأحمدي الميانجي (١٤٢١هـ)، إلا أنّ المشروع توقّف بسبب وفاة مؤلّفَيه، في العام نفسه.

وهناك محاولة أخرى قامت بها مؤسّسة دار الحديث في إيران، والتي يُشرف عليها العلامة الشيخ محمدي الري شهري، وهي جمع الروايات السنيّة لوضع كلّ مجموعة من الروايات طبقاً لأبواب كتاب تفصيل وسائل الشيعة للحرّ العاملي، بحيث تكون الروايات السنيّة بين يدي الباحث الذي يراجع كتاب الوسائل، وهذا عمل قيّم لم يكتمل بعدُ أيضاً، ويتوقّع القيّمون عليه صدوره في عشرات المجلّدات، وقد صدر منه أكثر من مجلّد تحت عنوان (مدارك فقه أهل السنّة على نهج وسائل الشيعة).

نبارك للحوزة العلميّة مثل هذه الإنجازات الرافدة لتطوير البحث العلمي وتقريب المذاهب، ونقول للسيد البروجردي: إنّ ما لم تسمح

لك الظروف به في حياتك، قامت الحوزة ومعها كبار تلامذتك بالعمل على إنجازه اليوم.. نأمل أن تستمرّ هذه المشاريع نحو مزيد من التطوير والجديّة، وأن يصار إلى خطوات إيجابيّة من طرف سائر المذاهب على هذا الصعيد.

ويصدق كثيراً المثلُ الإنجليزيّ: أن تأتي متأخّراً خيرٌ من أن لا تأتي أبداً..

من يريد قضم قطعة من جمهور (خطّ الوعي)

٢٩ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

يحاول المتنافسون على كسب القاعدة الشعبيّة أن تكون لهم حصّتهم من هذه القاعدة، وكلّما كبرت القاعدة الشعبيّة لجماعة معيّنة، سعى الآخرون لمحاولة قضم قطعة من هذه القاعدة بأساليب مختلفة.. وهذا شيء شائع ومعمول به في السياسة والدعوة الفكريّة والثقافيّة والدينيّة..

في أيّامنا هذه، لم تعد القاعدة الشعبيّة لما يسمّى بـ (خطّ الوعي)، صغيرة أو محشورة في زاوية، بل صار لهذا الخطّ جمهوره الكبير الذي لم يعد يمكن تجاهله أو تناسيه، بل صار الكثيرون ملزمين بتوجيه رسائلهم له؛ لإرضائه تارةً أو احتوائه أخرى..

ما أُريد أن أُشير إليه ـ ونحن على أعتاب موسمٍ ثقافيٍّ دعوي ـ هو **أنّ بعض من هو في الفريق الآخر، ممّن لا يؤمن بالكثير الكثير من أبجديّات ما يُسمّى بـ (خطّ الوعي)، يحاول من خلال تغيير اللغة أو**

تبديل أسلوب الخطاب، الإيحاءَ بأنّه من مؤمني هذا الخطّ أو روّاده، ربما لغايةٍ يراها نبيلةً، وهي محاولة استيعاب هذا الفريق من الجمهور..

ما يعنينا هو ضرورة الانتباه، وعدم الاغترار بمجرّد تبديل الخطاب السطحي اللغوي أو إرسال إشارات توحي بالاعتدال والوسطيّة والانفتاح والوعي وما إلى ذلك من مؤشرات.. هؤلاء يمكن أن يختبرهم الشارع أو يقرأهم في:

أ. اللحظات الحرجة، التي تمثل مفاصل فكريّة لما يسمّى بـ (خطّ الوعي)، حيث لن يجدهم، بل قد يراهم في اللقاءات الخاصّة مع أنصار هذا الخطّ يجاملون، لكنّهم في العلن لا يتقدّمون أيّ خطوة نحو الأمام، خارج الإطار المدرسي الكلاسيكي المحض. والغريب أنّ بعضهم تراه في كلّ مجلس بلغةٍ وقناعة، تبعاً لحضّار ذلك المجلس!

ب. البنية الفكريّة التي تظهر من مجموع أعمالهم، حيث سيكتشف الشارع أنّ هؤلاء ـ بعيداً عن بعض المجاملات اللفظيّة ـ ليسوا سوى نسخة أخرى عن أولئك المختلفين مع (خطّ الوعي)، لكن بتعديلٍ بسيط لا يُذكر ولا يمكن المراهنة عليه.. وليست عندهم أفكار تجديديّة حقيقيّة..

لقد شعر بعضُهم أنّ ما يسمّى بـ (خطّ الوعي) صار ظاهرةً كبيرة، وأنّه يجب استقطابهم باستخدام الأساليب اللفظية التي تؤثر فيهم، إنّها

وصوليّة تملك غايةً نبيلة من وجهة نظر أصحابها، ولسنا هنا ندين أحداً والعياذ بالله، ولا نتهمه في أخلاقه، لكن ما يعنينا هو أنّها لا تكشف عن حقيقة الموقف الفكريّ عند هؤلاء..

والمؤمن كيّسٌ فَطن..

عندما نحمّل الفشل لجهةٍ واحدة

٣٠ ـ ٩ ـ ٢٠١٦م

في الأنظمة المخابراتيّة، عندما يهتزّ أمن البلد عشرات المرّات، وتقع الكثير من المشاكل، يكتشف المحقّقون الأمنيّون أنّ شخصاً ما ـ أو خليّةً ما ـ متورّط بحادث سرقة أو اغتيال.. ستكون فرصة مناسبة لكي نضع في رقبته كلّ الأزمات الأمنيّة السابقة، كي نرتاح من ملفّها من ناحية، ونخدّر الرأي العام بأنّ كلّ ما مضى قد تمّ حسمه اليوم من ناحية ثانية..

في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافيّة الأمر يجري بعينه بيننا، فكلّ مصيبةٍ في مجتمعاتنا ـ صغيرة أو كبيرة ـ هي من (إسرائيل) أو أميركا أو الغرب، وبالنسبة لليسار هي من الأنظمة، وبالنسبة لليمين هي من المعارضة وحركات الإرهاب والتمرّد.. لماذا؟ لأنّنا دوماً بحاجة إلى من نرمي عليه كلّ الأزمات، حتى نتحرّر من وجع الضمير وهمّ المسؤوليّة.. فنُقنع أنفسنا بأنّنا الأفضل، ونمارس تطهّراً عجيباً

يخلّصنا من صعقة الواقع الخشنة نحو مخمليّة الخيال..

وفي المدّة الأخيرة، بدأنا نرى موجة تحميل مسؤوليات، تتصل بالدين، فـ (كلّ) مشاكلنا الاجتماعيّة والثقافيّة والتربويّة والاقتصاديّة هي من الدين، وأيّ شيء يكون في ملفّ فشلنا جميعاً، فإنّنا نلقي به على الدين والفكر الديني.. وأيّ (صفعة خدّ) تقع في بقعةٍ من هذا العالم فإنّ الدين هو سببُها الوحيد! على أساس أنّه لو حذفنا هذا المنافِس، فنحن على أتمّ الاستعداد لمرحلة الخلاص من كلّ مشكلة!

وعلى المقلب الآخر، نجد فريقاً يرى أنّ كلّ مشاكلنا هي في الابتعاد عن الفقه والرسالة العمليّة خاصّةً، وأنّ الناس لو عملت بما في الرسالة العمليّة وفتاوى الفقهاء الحاليّة، فسينتهي كلّ شيء، ونأكل من فوقنا ومن تحت أرجلنا، وكأنّ الدين هو الفقه فقط، وكأنّ الحياة تقوم بالفقه والقانون فقط، وكأنّ كلّ خلاصنا هو في هذه الرسالة.. التي سمعتُ أكثر من مرّة أُستاذَنا السيد محمود الهاشمي (حفظه الله) يقول عنها: لا يمكن بناء دولة ومجتمع ومؤسّسات و.. بالرسالة العمليّة المتوفّرة اليوم فقط..

دعونا نرفض هذا الأسلوب في التعاطي مع هذه الأمور، **فمشاكلنا ليست وليدة الأنظمة فقط، ولا المعارضة، ولا الإرهاب، ولا الفكر الديني، ولا رجال الدين، ولا الغرب، بل هي مزيجٌ متشابك معقّد متواشج من الأسباب المتراكمة، التي تُشارك هذه كلّها فيها، ومن ثمّ**

فالمسؤوليّة تقع على كاهل الجميع.. أن يعترف بأخطائه ويفتح عينيه عليها، وأن يقرّ بحسنات غيره ويسعى لتمثّلها..

إذا فكّرنا بهذه الذهنية متعدّدة العدسات واللواقط ربما نتمكّن من الوصول إلى حلٍّ ما.. بدل تأجيل الحلول نتيجة خطأ في تعيين المشكلة سببه التسرّع أو الانفعال الناتج عن ضغط الواقع اليوميّ المؤلم..

بين إفراطين: سلبيّة اللاديني، وغيبوبة المتديّن

١ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

في خضم صراعاتنا المتصلة بالقضيّة الدينيّة عموماً، لفت نظري وجود فئتين من الناس:

الفئة الأولى: من لا يكاد يرى مشكلة في الفكر الديني والقراءة الدينيّة السائدة، حتى أنّك تحاول جاهداً أن تُقنعه بأنّ هناك مشكلةً ما في الفكر الديني أو في الاجتهاد الديني هنا أو هناك، وأنّه يجب وضع حلول، وأنّنا فشلنا في هذا الملفّ أو ذاك، وأنّ حجم المشكلة ليس بسيطاً، وأنّ العلاج بات يحتاج إلى عمليّات استئصال في غير مكان.. غير أنّه لا يحسّ بالمشكلة أبداً.

الفئة الثانية: من يكاد يفرض عليك مشكلةً غير موجودة، ويكاد يريد ولو بالقهر أن يقنعك بأنّه توجد في هذه الزاوية من الدين أو الفكر الديني مشكلة، وعندما تنظر لا ترى شيئاً، لكنّه ومن دون مبرّرٍ موضوعي يصرّ على خلق مشكلة في خياله، وبالتالي فرض اشتباك

في الواقع. وأحياناً يتصوّر أنّ هذه المشكلة القائمة بالفعل هي حالة خاصّة بالفضاء الديني، دون أن ينتبه إلى أنّها موجودة في فضاءات أُخَر متعدّدة أيضاً.

اسمَحوا لي أن أستخدم تعبيراً لا أقصد منه الإساءة، وإنّما الإيضاح أكثر (المخدَّرون ـ والمتشائمون/ المفرطون في الإيجابيّة والسلبيّة)، فالمخدَّر لا يشعر بشيء، فيما المتشائم يخلق في خياله أزمة، ثم يُسقطها على الواقع، فيربك علاقته به، ويضع حاجزاً بينه وبينه، بينما قد تكمن الحقيقة في جزءٍ من إيجابيّة الأوّل، وجزءٍ آخر من سلبيّة الثانية، إذا صحّ التعبير.

قد يكون كلّ واحدٍ منّا من هاتين الفئتين، وقد تحسبك الفئة الأولى أنّك من الثانية والعكس، لكن الجدير بالاهتمام هو **أنّه عندما نفكّر في تعيين مشكلة يجب أن نكون غير مخدَّرين بأيّ مفاهيم أيديولوجيّة ترميميّة تأويليّة، وغير متشائمين يُعجزنا التشاؤم والسلبيّة عن رؤية الأشياء الجميلة، فعلاج أزماتنا النفسيّة العميقة مدخلٌ رئيس لتصحيح استنتاجاتنا العقليّة؛ إذ العقل السليم في النفس السليمة.**

هل تورّط الكثير من المؤمنين بهذا النوع من التخدير والغيبوبة؟

هل تورّط الكثير من اللادينيّين ـ بالمعنى العام للكلمة ـ بهذا النوع من السلبيّة والتشاؤم؟

قضيّة مطروحة للتداول.

من الدولة إلى المؤسّسة الدينيّة، دعوةٌ بالغة الأهميّة

٢ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

في لقائه كبار مسؤولي الحوزات العلميّة، أدلى المرشد الأعلى للجمهوريّة الاسلامية الإيرانيّة السيد علي الخامنئي اليوم بسلسلةٍ من المواقف والتوجيهات الجميلة جداً، سأتوقّف عند واحدٍ منها فقط، معتمداً على ما نقلته وكالات الأنباء الإيرانية والإذاعة أيضاً.

تحدّث السيد الخامنئي عن مطالبته الحوزةَ بنقد الدولة فيما لو رأت منها أيّ خطأ، وأنّ على الدولة الإسلاميّة أن تتلقّى هذه الانتقادات بجديّة ورحابة صدر.

موقفٌ بالغ الأهميّة يرسم لرؤيةٍ تكرّس ـ بشكلٍ أو بآخر ـ استقلاليّة الحوزة العلميّة والمؤسّسة الدينيّة، وهي استقلاليّة سبق أن دعا إليها كثيرون، منهم السيد الخامنئي نفسه.

أودّ أن أتوقّف عند سؤالين فقط:

١. إذا كانت الدولة، ومعها طيفٌ واسع من الحركة الإسلاميّة،

ترحّب ـ وفقاً لهذا التصريح الصادر من أعلى قمّة الهرم فيها ـ بنقد الحوزات والمرجعيّات لها، بل وتدعو لذلك، فهل سنشهد كلاماً شبيهاً يصدر من المرجعيّات والمؤسّسة الدينية يرحّب هو الآخر بنقد الدولة والحركة الإسلاميّة والعاملين الإسلاميّين، للحوزة وفعالياتها وللمرجعيّة الدينيّة وأدائها؟ علماً أنّ هذا الترحيب لا يعني بالضرورة الموافقة على أيّ نقد يسجّل هنا أو هناك، فلكلّ حقّه في بناء وجهة نظره وقناعاته.

أتمنّى أن أسمع يوماً خطاباً جادّاً من هذا النوع، يصدر عن المرجعيّات الدينيّة الكبيرة والنافذة، تجاه سائر القوى والخُبرات القائمة في المجتمع، ويعبّر عن استعداد المؤسّسة الدينية أكثر فأكثر لسماع انتقادات الآخرين بجديّة ورحابة صدر، بل ودعوتها الآخرين لممارسة هذا النقد الحريص البنّاء.

ولعلّه قد صدر موقفٌ من هذا النوع ولم نعرف به؛ لقصور اطّلاعنا أو تقصيرٍ منّا.

٢. هل سيتفاعل هذا الخطاب الذي أطلقه السيد الخامنئي على أرض الواقع، أو أنّ (بعض) العاملين في خطّ العمل الإسلامي ـ على أطيافهم ـ لن يقوموا بأيّ إجراء جادّ

لقيامة هذا المفهوم (نقد الحوزة للدولة والحركة الإسلاميّة عموماً)؟ هل سنتعامل بشكلٍ حقيقيّ مع المرجعيّات الدينية والعلماء والمفكّرين والمؤسّسة الدينيّة من منطلق الترحيب بنقدها لأداء الحالة الإسلاميّة العاملة واختلافها الموضوعي معها، سواء قبلنا بنقدها أو رفضناه، فهو في النهاية وجهة نظر، أو سنعتبر ذلك ـ كما يعتبر بعضٌ وليس الكلّ بالتأكيد ـ خيانةً ومؤامرةً ومعاداةً للعمل الإسلامي وخطوطه القائمة على أرض الواقع؟ هل سيكون عملُنا مكرِّساً لاستقلاليّة المؤسّسة الدينية أو مجهضاً لها من حيث نشعر أو لا نشعر؟

وإنّما أقول ذلك؛ لأنّنا رأينا دعوةً سابقة قبل سنوات من السيد الخامنئي لفتح باب الآراء الجديدة والنقديّة في الحوزات، وعدم محاربة الباحثين والحوزويّين الذين يقدّمون آراء جديدة أو نقديّات فكريّة مختلفة، لكن مع الأسف لم يطبّق هذه الدعوة ولم يستجب لها (بعضُ) العاملين في الخطّ الإسلامي الحركي، بل مارس مع المختلفين معه في الاجتهاد والفكر والرأي أشكالاً من الإقصاء والنفي والتحجير وغير ذلك!

دعوتي هي: لتطبيق هذه المواقف الرائعة، ولتعميمها أيضاً، ولوضع آليّات واضحة لها، تجعل من النقد سلّماً للارتقاء، وتخلق للنقد البنّاء بيئةً حاضنةً وآمنة ومستقرّة.

هل ينشأ بعض غموض النصّ الديني من أسئلتنا؟

٣ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

سألني أحد الأعزّة من الأصدقاء الباحثين عن الحقيقة، فقال: ألا ترى أنّ صعوبة فهم النصوص الدينية، وحاجة العلماء إلى كلّ هذا الجهد في تفسيرها.. دليلٌ على ضعفٍ في النصوص نفسها؟! لماذا تفسير النصوص الدينيّة أمرٌ صعب؟ أيّ شفاء للإنسانية يكون حاله هكذا؟!

عندي أوجه ومداخلات كثيرة حول هذا الموضوع، لست بصددها الآن فالمجال لا يسمح، لكنّني أجبت صديقي بما أعتقد أنّه (أحد) الأسباب المسؤولة عن (بعض) أشكال الغموض الذي يبدو لنا في النصّ الديني، فقلت له: إذا فتحتَ تاريخ الطبري وأردت أن تستخرج منه قوانين التجارات والأحوال الشخصيّة، ونظريّات علم النفس والتنمية البشريّة، ثم عكفت ومعك مئات الأشخاص لاستنطاق نصّ الطبري، جازماً مسبقاً بأنّه تكلّم عن كلّ هذه المواضيع، واستمرّ الحال

سنواتٍ طويلة، ماذا تتوقّع؟

إنّني أتوقّع أن يصبح نصّ الطبري بالغ الصعوبة والغموض، ومركّباً من شبكة لغويّة دلاليّة معقّدة وغير عفويّة؛ لأنّ حجم التأويل والتكلّف الذي سُكب عليه سوف يُخرجه مخلوقاً آخر لا يخلو من عجب. سنحاول من أيّ قصّةٍ تاريخيّة أن نأخذ قانوناً في الأحوال الشخصيّة مثلاً، وأنّ الطبري يريد أن يبيّن هذا القانون، فنستحلب النصّ حتى النهاية، ثم نستحلب، ثم نستحلب.. رغم أنّ النص لا علم له بهذا القانون ولا خبر.. تماماً كما يُحكى عن ذلك العالم ـ ولعلّه أبو حامد الغزالي ـ عندما سمع طلاب العلوم الدينية يتذاكرون في بعض كتبه، فرأى منهم تفسيراتٍ لنصّه لم تخطر على باله في حياته قطّ! أو كحال ذلك الشاب العاشق من طرفٍ واحد، يظنّ أنّ أيّ حركة من معشوقته هي رسالة له لها معنى ودلالات، والمعشوقة المسكينة تكاد لا تعرف هذا العاشق أو تنتبه إليه أصلاً.

لعلّنا سألنا النصّ الديني أحياناً ما لا علاقة له به، مفترضينه على علاقةٍ بكلّ شيء، فصعّبنا الأمر على أنفسنا، وتراكمت الطبقات الجيولوجيّة للنص فوقه ـ على حدّ تعبير محمّد أركون، انسجاماً مع حفريّات المعرفة لميشيل فوكو ـ فصار فهمه يحتاج لحفرٍ عميق مضنٍ، أو أنّ النصّ الديني يحتوي على جزء نخبوي وآخر عام، وعلى الناس أن لا تبحث من الأوّل في الجزء النخبوي؛ لأنّه مختصّ بالأنبياء والأولياء، كما يرى بعض العرفاء وبعض الإخباريّين من الإماميّة على

مستوى النصّ القرآني على الأقلّ.

أعرف أنّ هناك الكثير من الكلام حول أنّ في القرآن بيان كلّ شيء، وأعرف المبرّرات التي ينطلق منها كثيرون هنا، وقد يكون لبعضنا تحفّظ على هذه المنطلقات، لكنّني أدعو ـ انطلاقاً من قناعة ـ:

أ. لتعاملٍ أكثر عفويّة مع النصوص، وللفرار من التكلّف.

ب. ولإعادة النظر في حجم المساحة العمليّة والمعرفيّة التي تُريد النصوص الدينية أن تتكلّم فيها.

ج. ولبناء استنطاق النصّ على احتماليّة أنّه يتكلّم عن هذا الموضوع، لا بناء الاستنطاق على حتميّة قبلية مسبقة تحسم أنّه تكلّم عن هذا الموضوع بالفعل ونريد أن نفتّش عن كلامه المكنون في هذا الموضوع، الأمر الذي يجعل معرفة مساحة العطاء في النصّ قائمةً أيضاً على جهد استقرائيّ، وليست مبنيّة على حتميّة قبليّةً مسقَطَةً عليه من الأعلى فقط.

لعلّنا بذلك ننتهي نسبيّاً من التأويل والاستحلاب، فيزول قدرٌ كبير من الغموض، والعلم عند الله.

التفسير المشهدي للنصّ الديني

٤ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

هناك نمطان من تفسير القرآن الكريم:

١. التفسير الذي يقوم على تحليل المفردات والجمل والفقرات، ويتعامل معها على أنّها وحدات دالّة على معنى بشكل منفصل، ويصل إلى المعنى العام من خلال تركيب المعطيات الآتية من مجموعة الوحدات المنفصلة والتجسير بينها، وهذا شائع جداً.

٢. التفسير الذي لا يقف عند الكلمات والجمل والفقرات، بل يحاول أن يأخذ المشهد برمّته، وعلى مثل ذلك بنى القائلون بالتفسير البنائي للقرآن الكريم.

في مجال التحليل اللغوي والأدبي كلّ من هذين المنهجين صحيح من حيث المبدأ، فأنت تفكّك مفردات آيات القصّة القرآنية حول موسى والعبد الصالح تارةً، وتقوم تارةً أخرى بترك التفاصيل والذهاب خلف

المشهد كلّه بوصفه مشهداً يمثل وحدة واحدة، وتحاول أن تعيد إنتاجه في مجموعة من المفاهيم.

هذا بعينه يحصل في تفسير الأفعال، فأنت تفسّر عدّة تصرّفات لشخص تارةً بوصفها تصرّفات منفصلة ترتبط بسياقاتها الخاصّة، وأخرى بوصفها انعكاسات لتصرّف واحد وموقف واحد.

الفكرة التي أودّ الإضاءة عليها ليست هنا، بل في التساؤل التالي: هل يمكن أن تكون بعض النصوص أو الفقرات الموجودة في القرآن أو السنّة أو في مجمل الكتب السماويّة غير معنيّة أصلاً بالمفردات والجمل والفقرات، كدوالّ ومدلولات قائمة بنفسها تنضمّ إلى غيرها، بحيث لا تهدف لإيصال رسالة من خلال الجملة، بل رسالتها (الوحيدة) تكمن في المشهد كلّه؟ وبالتالي فالتفسير التفكيكي مضرّ بها وليس فقط غير كافٍ.

سأعطي مثالاً أصغر من حجم الفكرة التي أودّ الحديث عنها، عندما يقول القرآن: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، فتارةً نذهب خلف الكشف والساق، وقد نغرق في هذه الساق، وأنّها هل هي ساق الله أو شيء آخر؟ وأخرى نترك من الأوّل المفردات، ثم ننظر للجملة بوصفها (في اللغة) وحدةً واحدة تعني: يوم يشتدّ الأمر.. هل يمكن أن تتسع هذه الطريقة لتتخطّى الجملة نحو المشهد المؤلّف من عدّة جمل وآيات، وبالتالي يكون المشهد كلّه غير ناظر إلى مفرداته وفقراته، بل هو بكلّه

يعبّر عن فكرة واحدة أو توليفة أفكار؟

وعلى سبيل المثال ـ وهو مجرّد مثال لتقريب الفكرة، فلا يغرقنّ أحدُنا في المثال كالعادة وينسى أصل الفكرة! ـ عندما يقدّم القرآن مشهداً تصويريّاً عن الجنّة (حور عين ـ فواكه ـ أنهار ـ لحوم ـ مأكولات ـ أرائك..)، فتارةً أنظر للآيات وأفكّكها وأقول: هناك في الجنّة كذا وكذا.. وأخرى أفترض من الأوّل أنّه يريد بكلّ هذا المشهد التصويري أن يقول: في الجنّة يوجد راحة وسعادةً ورغد عيش واستقرار.. وأنّ هذا المشهد التصويري كلّه جاء ليكون أفعل في الخيال في إيصال هذه الفكرة من مجرّد أن يقول: إنّكم ستكونون سعداء..

هل يمكن تأصيل آلية أدبيّة لاستنتاج مثل هذا الفهم من (بعض) النصوص والمشاهد القرآنيّة أو لا؟ وإذا أمكن، فكيف نشيد هذه الآليّة التفسيريّة لغويّاً وأدبيّاً ونجعلها راجحة؟ وهل يمكن أن تكون المشاهد من المتشابهات، ونصوص مثل: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ هي المحكمات؟

وربما كلّ هذه الطريقة لما أسميتُه بالتفسير المشهدي تكون خاطئة. وكلامي ليس في تأويل النصوص، بل في التفكير الأدبي واللغوي فيها.

إنّه مجال خصب لمساهمات جديدة تسعى لتكون غير تأويليّة ولا تطويعيّة.

هل يزيدك مدح الآخرين لك تواضعاً؟

٥ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

بعض الناس يُضعفُ ذمُّ الآخرين ونقدهم لهم ثقتهم بأنفسهم، وبعضٌ آخر يزيدهم مدح الآخرين لهم ثقةً.

قد يكون هذا وضعاً طبيعيّاً متوقّعاً بدرجةٍ ما.

لكن أن تُنهي آراءُ الآخرين حياتَك وفعاليّتك، فهذا خطأ.

وأن يحوّلك مدح الآخرين لك إلى متكبّر مغرور فهي مصيبة.

من اشتغلوا على تربية أنفسهم وبناء ذواتهم بناءً صالحاً وتهذيب أخلاقهم الروحيّة، يزدادون عند المدح تواضعاً وحياءً، ولا يوقف المدحُ تقدّمهم في الحياة، ولا يخدّرهم ليعيشوا نشوة الوصول إلى النهاية.. وهي نشوةٌ واهمة..

لست أتكلّم عمّا تحدّث عنه بعض علماء الأخلاق، من بلوغ الإنسان مرتبة تساوي المدح والذم، بل أتكلّم عن بعض الظواهر التي

وجدناها تُنهي حياة أشخاص أغرقهم المحيطون بهم بالمدح، فغرّهم ذلك، وتوقّفوا وسط الطريق، وهم يظنّون في لاوعيهم أنّهم بلغوا النهاية..

أن يمنحك مدح الآخرين ثقةً فهذا جيّد، أمّا أن يُدخلك في جنون العظمة أو في غرور الكبرياء، فهذه آفة يجب التحرّر منها.

من يريد أن يتقدّم عليه ـ مهما بلغ من المكانة ومن العمر ـ أن يشعر دوماً أنّه في بداية حياته يريد تأسيسها وبناءها، كالشاب اليافع الصاعد، فشعور البداية هذا قد يكون مُجْهِدَاً ومؤلماً هنا، لكنّه بالتأكيد منتج.

علمُ نفس الإلحاد واللادينيّة

٦ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

سبق لي أن كتبت حول علم نفس التديّن، وأعجَبَ ذلك بعضَ الناس ولم يُعجب آخرين.. سأتكلّم هنا عن علم نفس الإلحاد، ويمكن أن نقصد بهذا العلم أحد معنيين:

المعنى الأوّل: دراسة الظواهر النفسيّة التي ترافق الإلحاد (وكذلك اللادينيّة) أو تنتج عنهما. وهذا لن أتكلّم فيه الآن، ونتركه لمجالٍ آخر.

المعنى الثاني: دراسة الظواهر النفسيّة التي تُفضي إلى الإلحاد وتعزّز موقعه. وهذا ما نعنيه هنا.

فكرتي المتواضعة هي أنّ خوض حوار مع أيّ فريق في الساحة (دينيّاً كان أو غير ديني) يجب أن يسبقه خطوات، أوّلها دراسة الحالة النفسيّة التي أولدت هذا الفريق، وترافقه وتعزّز من موقعه، فإنّ رصد الحالة النفسيّة وسياقاتها سوف يساعد في استخدام الطرق الأكثر

منطقيّةً، والأقدر على التعامل مع منابع تلك الفكرة على المستوى النفسي والعاطفي.

يرى الفيلسوف الأميركي الشهير وليام جيمس (١٩١٠م)، أنّ هناك ثمانية أسباب تقريباً تدفع الإنسان للاعتقاد بأمرٍ ما، وواحد فقط من هذه الأسباب الثمانية هو الاستدلال، فهناك مقدار بسيط جداً من عقائد الناس يقوم على قناعات فكريّة خالصة، والباقي تخلقُه وتولدُه عناصر نفسيّة كالحبّ والبغض والخوف والمصلحة والتوالم مع الجماعة والأمل وغير ذلك.

في تقديري، فإنّ اللادينية والإلحاد معاً أحد أسباب ظهورهما اليوم في العالم الإسلامي، هو ردّ فعل على الواقع المأساوي الذي وصلنا إليه، وكان لبعض التيارات الإسلاميّة دور فيه، من حيث تقصد أو لا تقصد، فلم يصل الإلحاد في العالم العربي والإسلامي اليوم إلى مرحلة تكوين مدرسة فلسفيّة عتيدة وراسخة وشامخة لها رجالاتها وامتداداتها ومنتجاتها المتراكمة، ما زال الأمر على صعيد منطقتنا بمستوى ردّة الفعل، ويتجه نحو تحقيق التراكم، وهذا موضوع ضروري أن نعرفه كي ندرس آليات التعامل مع الظاهرة.

بل حتى الإلحاد واللادينيّة العالميّة، عندما ندرس أحد أكبر أسبابها المعاصرة سنجد مسألة الشرور في العالم والمآسي، وهذا يعني أنّ السبب يرجع إلى إحساس الملحد بجُرحٍ كبير تجاه الله الذي لا يُنقذ

المظلومين، بل ويتعامل بقسوة مع المعذَّبين في الأرض.. فالمسألة النفسيّة والعاطفيّة غير بعيدة هنا أيضاً.. أرجو أن نلاحظ ذلك..

مقترحي أن يُصار إلى جلب الطاقات المتخصّصة بعلم النفس والاجتماع بزواياهما المتعدّدة، لدراسة ظاهرة الإلحاد وظاهرة اللادينية في منطقتنا من زوايا نفسيّة واجتماعيّة معمّقة، لتكون هذه الدراسات التي يُقدّمها لنا علماء النفس والاجتماع مادّةً أساسيّة لوضع خطط في إدارة الحوار مع الملحدين، خاصّةً الشباب الصاعد منهم.

دعوتي لكلّ المتخصّصين في علم النفس والاجتماع لتقديم العون في هذا المجال، كي تتراكم الأفكار، ونصل لمرحلة خوض حوار قادر أكثر فأكثر على الإنتاج والتأثير. لا أُريد أن أقول بأنّ الإلحاد نفسيٌّ بحت، ولا أريد أن أتّخذ الآن منه موقفاً من هذه الزاوية كما فعل بعض الناقدين له، بل أُريد رفع مستوى الحوار معه عبر فهمه نفسيّاً وفكريّاً معاً.

لقد تحدّث في هذا المجال غيرُ واحدٍ من الباحثين الغربيّين، مثل عالم النفس (بول فيتز) وغيره، ويجب أن نشارك نحن في هذا على مستوى منطقتنا ومجتمعاتنا أيضاً.

لا يمكنك أن تُدير حواراً مع آخر لا تعرفه، والمعرفة النفسيّة به لا تقلّ ضرورةً عن المعرفة الفكريّة، سواء أردت بالحوار أن تُقنعه أو

أن تشاركه في البحث عن الحقيقة، وبالتالي قد يكون إقناعه أحياناً كامناً في غير الحوار المباشر في قضيّة (الله)، بل في الحوار في قضايا أخرى، هي الجرح العاطفي الذي سبّب له الذهاب خلف فكرة الإلحاد.

وللكلام تتمّة تتصل بالتمييز بين المبرّرات النفسية لفكرةٍ، وبين صوابها أو خطئها، يأتي لاحقاً بإذن الله.

أهل البيت النبوي ومواجهة البدعة
(فكرة العلامة شمس الدين)

٧ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

قبل أكثر من عشرين عاماً، نقل لي أحدُ أساتذتي، أنّه سمع العلامة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين (٢٠٠١م)، يقول: إنّ نصوص تحريم قول آمين بعد الفاتحة في الصلاة، جاءت في سياق محاربة البدعة فقط. وهو رأي يمكن بالتتبّع والتقصّي العثور على من يظهر منهم الميل إليه من فقهاء الإماميّة، والمقام ليس مقام التفصيل.

معنى هذه الفكرة وروحها ـ والتي نجد تجلّياتٍ محدودةً لها في كلماتٍ متفرّقة هنا وهناك لبعض الفقهاء ـ هو أنّ ما صدر عن أئمّة أهل البيت بعد العصر النبوي، من بيانات نهي وتحريم تتصل بموضوعٍ طُرح في أوساط المسلمين ويصنّفه أئمّة أهل البيت على أنّه بدعة.. ما صدر لا يمثل بياناً لأصل الشرع بالعنوان الأوّلي، وإنّما هو حكمٌ ثانوي انصبّ على فعلٍ ما نتيجة تعنونه بعنوان البدعة في الدين. وربما يقبل الشيخ شمس الدين وأنصار هذه الفكرة بأنّ قول آمين والتكتّف وصلاة الضحى وصلاة التراويح والجماعة في النافلة وغيرها ليست

محرّمةً في أصل الشرع أو مبطلةً للصلاة، وإنّما نُهي عنها؛ لكونها تحوّلت إلى إضافة في الدين، تمّ فهمها على أنّها جزء من النسيج الديني العام، وهي ليست منه عند أئمّة أهل البيت.

فكرةٌ يمكن الدفاع عنها (كالدفاع عن فكرة أنّ بعض ما صدر من أهل البيت كان يهدف ـ زمنيّاً ـ للحفاظ على الهويّة المتمايزة لشيعتهم، وليس بياناً لأصل الدين)، وإن كنت لا أؤيّد هاتين الفكرتين بنحوٍ مطلق، لكنّ فكرة العلامة شمس الدين وجهة نظر تفتح عيوننا بالتأكيد على فهمٍ مختلف لمجموعة من القضايا التي عَرَفها العالم الإسلامي في القرون الثلاثة الهجريّة الأولى، واتخذ أئمّة أهل البيت منها موقفاً سلبيّاً جداً، وهي تصبّ في السياق العام الذي كان طرحه السيد البروجردي من أنّ مجموعةً من نصوص أهل البيت لابدّ أن تُفهم في إطار سياقاتها الزمكانيّة وبوصفها ناظرةً بعين النقد والتصويب والإصلاح إلى الفضاء الإسلامي العام في القرون الهجريّة الأولى.

والسؤال: إذا صحّت هذه الطريقة في تفسير نصوص أهل البيت في بعض المواقف، فهل يدعو ذلك اليوم إلى مواقف شبيهة إزاء بعض ما أصبح في الوعي العام جزءاً من الدين (بل غدا أصلاً من أصوله!)، حتى لو أضاف له المتخصّصون قيداً في بطون الكتب يمثل مَخلَصَاً، لكن لا علم لعامّة الناس به ولا خبر؟[1]

---

(١) فهم بعض الإخوة أنني أخالف الفكرتين أعلاه، ولا أوافق على وجهة نظر العلامة شمس الدين، والصحيح أنني أوافقهما، لكن لا أوافق عليهما بالمطلق، بل لدي بعض القيود والشروط فيهما، فاقتضى التوضيح وشكراً. (حيدر حب الله).

من يُشعل الحرب الطائفيّة ولا يشارك فيها!

٨ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

يشتغل كثيرون من رجالات التحريض الطائفي في العالم الإسلامي على إشعال الفتن الطائفيّة وتغذيتها ومدّها بالوقود، ونشر العنف والكراهية والحقد بين أبناء الوطن الواحد، لكن إذا وقعت الحرب الطائفيّة، ولعلع أزيز الرصاص، ودوّى صوت المدفع، وجاء يوم الجدّ، فلن تجده ولن ترى حتى طيفه.. كأنّما يدفع شباب المسلمين إلى الموت، وهو ينظر إليهم، ويرمي بأوطانهم إلى التمزّق، وهو يرى ويسمع.

فلتحذر من هؤلاء المجتمعاتُ الآمنة أو التي تريد قيامة العيش المشترك فيها، ومع إيماننا الكامل بحُرمتهم الشخصيّة وبحريّتهم في التعبير عن أفكارهم، لكنّنا **نعتقد بأنّ على مجتمعاتنا أن لا تسمح بتمزيق اللحمة الوطنيّة، وتبديد روح المحبّة والوئام بين أبناء الوطن الواحد.** هؤلاء كمن يطوف في البلاد لنشر الخراب فيها وإهلاك حرثها ونسلها.. ومن مسؤوليّتنا حقن دمائنا والدفاع عن أوطاننا.

نحو نهضة إيمانيّة لنشر حسّ المواجهة مع الزيادة في الدين

٩ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

عمل الكثير من العلماء عبر التاريخ على محاربة كلّ إضافة على الدين ليست منه، وتنقية الدين مما يراد أن يُلصَق به ويُضاف إليه، وكانت للكثير منهم مواقف مشهودة ومصنّفات معروفة، وجهاد طويل يستحقّ المدح والثناء.

ومهما اختلفنا مع هؤلاء في تفصيلٍ هنا وآخر هناك، لكنّ روح حماية الدين من الأورام والزيادات والملحقات، كانت تعيش في قلوبهم وصدورهم، كان ذلك همّاً من الهموم التي حملوها في حياتهم..

إنّه شعورٌ سامٍ ورائع أن يعيش الإنسان بشكلٍ عملي الحساسية تجاه نسبة شيء إلى الدين ليس منه، كما يعيش حساسية محق مفهومٍ دينيّ أصيل، فإذا مات الإحساس بضرورة محاربة الزوائد، فقد أصبح الدين

بمرور الزمان عرضةً للتحريف والتزييف.. وسيولد بعد عقود أو قرون دينٌ آخر متورّم قد يشبه الأوّل، ولكنّه لا يعبّر عنه. وقد يصعب حينها مواجهة هذا التورّم الضخم إلا بعمليّات جراحيّة حادّة لاستئصال الورم، وما ينجم عن ذلك من آثار.

علينا أن نفعّل في المؤسّسة الدينية والفضاء الديني العام ثقافة مواجهة كلّ إضافة يُراد لها أن تُلصَق بالدين، مواجهةً عقلانية متوازنة شريفة، وأن يكون هذا جزءٌ من صفاتنا النفسيّة الإيمانيّة، فقد وجدنا في هذا إفراطاً وتفريطاً، وجدنا عند بعضٍ إفراطاً في مواجهة (البدعة) حتى لا تكاد تشعر بإمكانية تعايش الدين مع الحياة عندهم، فيما وجدنا عند آخرين تقصيراً وإهمالاً ملاحَظاً في هذا المضمار. يحتاج الأمر إلى تحصين داخلي تجاه مثل هذه الظواهر، وليس إلى حماية لها عبر عناوين عامّة فضفاضة وهلاميّة.

وبهذه المناسبة، نحن مطالبون بإحياء ذكرى هذه الرموز التي عانت وضحّت في سبيل مواجهة ما يخالف السنّة ويميتها، ويحيى في موضعها ما لا علاقة له بجوهر الدين ولا بقيمه، لماذا لا يعقد القادرون مؤتمراً عالميّاً لتكريم ودراسة هذه الزاوية من هؤلاء العظماء؟ عنيت زاوية مواجهة الزيادة في الدين والتورّم، علّنا بذلك نستفيد من تجاربهم ونطوّرها ونشتغل على بناء آليّات أفضل لمواجهة هذه الظواهر التي يتمّ إفرازها بشكل مستمرّ.

يوماً ما قلتُ: الشعوب بطبيعتها تنتج الإضافة والتورّم في الدين والقداسات، **والعلماء والمختصّون والناقدون هم المصفاة التي يتمّ تصفية الدين من خلالها مما يلحق به من زوائد، وأكبر الأخطار أن يلحق الخراب هذه المصفاة أو يتمّ ـ لسببٍ أو لآخر ـ اتخاذ قرار بإيقافها عن العمل! حينها تكون المصيبة.**

عندما يتكلّم الإنسان فيما لا يعنيه ولا يفقهه

١٠ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

عندما يتكلّم الإنسان فيما لا يعنيه ولا يفقهه، يورّط نفسه ويجرّ إليها السخرية والاستهزاء، أو يوقعها في الحرج والمشقّة.

لو تدخّل كلّ واحدٍ منّا فيما يفقهه لكفينا أنفسنا مؤونة الكثير من المعاناة.

يوماً ما، جاء إلى بلدنا عالمٌ احتاجته بعضُ القوى ليكون منافساً لقوى أخرى على أرض الواقع، وكان يُكثر من إبراز فهمه وتخصّصه في العلوم الطبيعيّة، ويوماً كان أحد أكبر المتخصّصين المعروفين عندنا بجراحة القلب في لقاء، قال هذا الطبيب المتديّن: إنّ هذا العالم إمّا يضحك على الناس أو نحن لم ندرس الطب والقلب أبداً.. إنّه يقول نظريّات لم يسمع بها أحد في حياته، ولا وجود لها في قاموس العلم، فمن أين يأتي بكلّ هذا؟!

دهشة هذا الطبيب الماهر كانت مبرّرة؛ فلم يكن يدري أنّ بعض

الناس تجيز بناء التديّن على ذلك، وأنّ الوصوليّة والبراغماتيّة الدينية أمرٌ مشروع، لكنّها لعنة التاريخ عندما تأتي من الغرب، فالوسائل عند بعضٍ تحصل على قيمتها من الغايات، ولا تمثل في نفسها سلوكاً يحمل قيمةً ذاتية، يجب مقارنتها مع قيمة الغاية لتحقيق التوازن وتطبيق منطق الأولويّات.

نحو وعي علميّ حقيقي بحجم الظاهرة الإلحاديّة في المجتمع

١١ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

تنتشر تدريجياً ظاهرة الإلحاد واللادينيّة في العالم العربي والإسلامي، ولا توجد ـ في حدود معلوماتي ـ إحصاءات دقيقة حول نسبة الانتشار ومستواه، بل هناك محاولة من المنتصرين للإلحاد لتصوير المشهد على أنّه اجتياح عارم للمجتمعات الإسلاميّة من قبل الملحدين واللادينيّين، واستغلال أيّ محاولة نقديّة للدين يقوم بها شخص هنا أو هناك على أنّها تصبّ في صالح الظاهرة الإلحاديّة الكبيرة، وتنتمي إليها.

ويُبدي بعض المتديّنين قبولاً بهذا التصوّر؛ لأنّ المتديّن حساس جداً، فإذا رأى ظاهرة اجتماعيّة مخالفة لما يؤمن به، تعاظمت صورتها في قلبه؛ لأنّ التفكير المجروح في أمرٍ ما يعظّم من حجمه في تصوّراتنا، فكيف إذا رافقه خوفٌ شديد على الهويّة والوجود؟

لكن، لكي ندرس حجم الظاهرة يجب أن نستخدم الطرق العلميّة أو ما هو على الأقلّ قريبٌ منها، وما سوى ذلك فهو مجرّد انطباعات شخصيّة عابرة، قد يكون كثيرٌ منها متأثراً بوسائل الإعلام على تنوّعاتها.

ولستُ أهدف من كلامي هذا ادّعاء أنّ الظاهرة محدودة، أبداً فليس هذا هو قصدي، إنّما أقصد أنّه لكي يخوض المؤمنون (بالمعنى المقابل للملحدين) حواراً أو مواجهة شريفة مع الملحدين، يجب أن يحدّدوا حجمهم الحقيقي في المجتمع؛ لأنّ هذا التحديد مؤثر جداً في إدارة عمليّة المواجهة، وأيّ مانع ـ على سبيل المثال ـ أن توكل هذه المهمّة لبعض مؤسّسات الإحصاء المحايدة، مقابل مبالغ مالية (شرعيّة)؟! أعتقد أنّ الموقف يستحقّ ذلك.

فلنترك التهويل السلبي أو الإيجابي، لنذهب خلف وعي علميٍّ بالظواهر الاجتماعيّة الجديدة، مقدّمةً للتعامل معها بالطريقة المناسبة واللائقة، فقد يكون هناك ماردٌ تحت الرماد لا تسمع صوته، فتظنّه لا وجود له، وربما كان هناك عاصفة تصكّ الآذان، لكنّها ليست ـ كما يقال ـ إلا زوبعة في فنجانٍ أو شَبَك.

فلنستفد من تجارب الآخرين في الحوار
مع (الإلحاد واللادينية والربوبيّة)

١٣ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

حتّى لا نبدأ دائماً من الصفر، ولا ننطلق وكأنّنا لوحدنا في هذا العالم، علينا أن نتعرّف على تجارب غيرنا ونراكم..

ظواهر الإلحاد واللادينيّة والربوبيّة (المذهب الطبيعي)، ظهرت في الغرب منذ قرون، وهي تتنامى منذ عدّة عقود، وقد خاضَ الإيمان المسيحي وغيره حواراً طويلاً معها، وأنتج هذا الحوار سلسلة تجارب كبيرة تركت لنا إرثاً عظيماً.

كما ظهرت تيارات مثل هذه في التاريخ الإسلامي القديم والحديث، فيما عُرف بـ(الزنادقة والدهريّين ومنكري النبوّات)، وكتب العديد من العلماء كتابات ضخمة ومهمّة في الردّ على هذه الفئات ومناقشتها، بل شهدنا كتابات عديدة في القرنين الأخيرين بهذا الصدد، منذ السيد

جمال الدين وحتى عصرنا الحاضر.

أقترح في سبيل تطوير الحوار مع ثلاثيّة (الإلحاد واللادينيّة والربوبيّة) أن نستفيد من تجارب التراث الإسلامي من جهة، وتجارب التاريخ الغربي الحديث من جهة ثانية، فيُعاد طباعة كتب التراث الإسلامي التي دُوّنت بهذا الصدد مع التعريف بها من ناحية، كما يُصار إلى ترجمة المنجَز الغربي المسيحي وغير المسيحي في هذا الإطار من ناحية ثانية، فإنّ ذلك يساعد على مراكمة الخبرات، كما يساعد ـ خاصّةً المنجز الغربي ـ على التأثير في الطرف الآخر.

والحمد لله، بذلت خلال العقود الثلاثة الأخيرة جهود مشكورة في هذا الصدد، من ترجمات وإعادة طباعة بعض الكتب الإسلاميّة القديمة والترويج لها، ونأمل أن تُرصد الأموال والخبرات، ويتوفّر الكادر البشري والإمكانات التقنيّة لتفعيل هذا المشروع على جبهتيه المشار إليهما أعلاه.

لكن، عندما نقول ذلك، لا نقصد أنّ هذين التراثين: الإسلامي والغربي، يمكن أن يكفيانا المهمّة، بل هما مجرّد مراكمة خبرويّة، وإلا فالأدوات والمقولات وطبيعة المناقشات حدث فيها تطوّر كبير، وما يزال، **فيُرجى الانتباه، حتى لا يأتينا شخص يناقش ملحداً بطريقة عقليّة جامدة، وبلغة ألف سنة سابقة!** فهذا الموضوع صار متشابكاً

بين الفلسفة والعلم والدين، مهما كان موقفك من هذا التشابك، ومن ثمّ فعليك إدارته بطريقة جامعة، وليس من الصحيح أن نهزأ بالجانب غير الفلسفي منه، كما هزأ ابنُ سينا الذي أقام الطبيعيّات على الفلسفة العقليّة، من أبي بكر الرازي الذي أراد أن يقيمها على التجربة، وفقاً لرأي بعض الباحثين.

كلمتان حول المشكلة الأخيرة في (الشعائر)

١٤ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

بعد الأزمة التي انفجرت هذا العام حول قضيّة (الشعائر الحسينيّة)، خرجت من بين الفضاء (التقليدي المنبثّ داخل التيّارين: الثوري والشعائريّ معاً) أصواتٌ تدعو من جهةٍ للوحدة، ومن جهةٍ ثانية لمراعاة أخلاق الاختلاف، ومن جهةٍ ثالثة لاحترام تقليد كلّ واحد منّا وقناعة الآخر والرأي الآخر، وعدم الاجتراء على العلماء والفقهاء ورموز كلّ فريق..

أصوات طيّبة تعبّر عن مستوى إيماني جيّد ووعي اجتماعي مطلوب، ونسأل الله التوفيق لأصحابها، وعندي كلامٌ كثير هنا، أكتفي منه بكلمتين فقط ـ وأعتذر مسبقاً عن الإطالة ـ:

الكلمة الأولى: نحن مع هذه الأصوات، ونتتصر معها لمراعاة أخلاقيّات الاختلاف وأدب الحوار، واحترام الآخر، ولطالما تكلّمنا في هذا الموضوع الذي نعتبره من أهم مشاكل مجتمعاتنا وما يزال.

وفي هذا السياق نحن ـ ورغم بُعدنا الشاسع عن التفكير الذي ينتصر له بعض الشعائريّين اليوم ـ نرفض الاتهامات العشوائيّة ضدّهم، كما نرفضها ضدّ غيرهم، خاصّةً تهمة التخوين والعمالة عندما لا تكون مرفقةً بدليل، فإنّ إطلاق مثل هذه التهم على الملأ العام من دون دليلٍ ظاهرٍ يخلق ثقافةً غير صحّية في إدارة الاختلاف، وإذا لم يكن يمكنك الآن أن تكشف أدلّة التخوين والاتهام بالعمالة، فالأفضل أن لا تتّهم علناً، حتى لو كنتَ في الواقع تملك تلك الأدلّة؛ لأنّك بذلك تروّج لثقافة سلبيّة جداً في الاختلاف، وتسمح لاحقاً لكلّ من (هبّ ودبّ) أن يتّهم بالعمالة والخيانة كلَّ من اختلف معه في الفكر والرأي. فلنبتعد عن هذا النمط ونرجع لحوارٍ أكثر هدوءاً في هذا المجال، ونترك للسلطات القضائيّة (المستقلّة) أن تعمل بعدالة، ووفقاً للأدلّة والقرائن. علماً أنّ هناك فرقاً دقيقاً بين توظيف العدوّ لفعلٍ ما صدر منّي، وبين كوني عميلاً له وموظّفاً عنده.

أنا لا أنفي التهمة عن أحد، ولا أستبعد أبداً أن يكون هناك فريق مختَرَق مخابراتيّاً، لكنّني حريص أيضاً على أن لا نُطلق التهم المباشرة وعلناً دون دليل مرفق، حتى لو كان لنا تاريخُنا النضالي والجهادي الطويل والمشرِّف، خاصّةً وأنّ بعض من يُطلق مثل هذه التهم يعمل على رأس الهرم في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة.

الكلمة الثانية: كنت أتمنّى من بعض أولئك الذين يدعون اليوم للهدوء واحترام قناعات بعضنا بعضاً أن يقولوها قبل عقدين من

الزمن أو أكثر، عندما فتح بعضُهم في الساحة أبوابَ جهنّم على علماءٍ يراهم جمهورٌ كبير من المؤمنين رموزاً أو مراجعَ تقليد. أين كان دعاة الحوار واحترام القناعات المختلفة وترك كلّ إنسان وتقليده، عندما أُعلنت الحرب الرهيبة على العلامة الفقيد السيد محمّد حسين فضل الله (رحمه الله)؟! وكثيرٌ منهم (ومن الشعائريّين) كانوا مساهمين في تلك الحرب التي مزّقت الكثير من المجتمعات الشيعيّة. وبقدر ما كنتم تنافحون عن المذهب، يرى خصومكم اليوم أنّهم بمهاجمة ما يعتبرونه (شعائر مخترعة) ينافحون أيضاً عن المذهب وعن هويّته وجوهره.

كنتُ متشوّقاً أن أسمع صوتهم حينها، وموقفهم من التحريض ومسلسل الاتهامات والتجديف ـ قبل ذلك وبعده ـ ضدّ العلامة السيد مرتضى العسكري (رحمه الله) (تحدّث مناقشاً حول اللعن في زيارة عاشوراء)، والمفسّر الشيخ الصادقي الطهراني (رحمه الله) (منهجه القرآني المعروف)، والفقيه الأخلاقي الشيخ الاشتهاردي (رحمه الله) (كلامه حول التشكيك في ما يُعرف برزيّة يوم الخميس)، والفقيه الأخلاقي البارز الشيخ عزيز الله خوشوقت (رحمه الله) (التشكيك في أصل وجود السيدة رقيّة بنت الإمام الحسين، وأنّها ابنة شخص آخر كان في كربلاء)، والعلامة الشيخ حسين الراضي ـ فرّج الله عنه ـ (مناقشاته في زيارة عاشوراء والغلوّ واللعن وغير ذلك)، وغيرهم إلى يومنا هذا، في قائمةٍ طويلة يبدو أنّها لن تنتهي. وبعض هذه الفتن كان

بوجهٍ سياسي فيما بعضها الآخر بوجهٍ ديني.

إذا كان احترام الرأي الآخر مبدأ حقيقيّاً في نفوسنا، فعلينا أن نطلب المسامحة من الله على ما اقترفه بعضُنا تجاه مثل هؤلاء الأشخاص، من تعاملٍ غير أخلاقي معهم، وإلا فعلينا أن نترك هذه اللعبة الآنيّة، لنبحث عن حلول أكثر جذريّة نكون فيها متصالحين مع أنفسنا أكثر، ولا نفعل ما يفعله بعض الإسلاميّين ـ كما يقول العلامة السيد محمّد حسن الأمين ـ في صعودهم على سلّم الديمقراطيّة، فإذا بلغوا القمّة رموا بالسلّم بعيداً، حتى لا يرتقي غيرهم للسلطة بعد ذلك.

إذا كان بعض الشعائريّين اليوم وغيرهم، باتوا ينادون بحريّة الرأي؛ ليحموا أنفسهم من الغضب وأشكال الاحتجاج، فأتمنّى عليهم أن ينادوا بحريّة الرأي لمن غضبوا وما يزالون يغضبون هم عليه بقسوةٍ وشدّة، فإذا كان يحقّ لك أن تجتهد في التعبير عن ولائك وتفتح النار على غيرك لتُخرجه من الدين والمذهب والولاء، وتصف كلّ من يختلف معك في الرأي بأنّه جاهلٌ وأُمّي ولا يفقه شيئاً، متصوّراً أنّك تملك حصانةً من أهل البيت النبويّ في تعاملك هذا مع غيرك، فعليك أن تتوقّع ـ أحببنا ذلك أو لم نحبّ ـ أن يتعامل خصومُك معك بهذه الطريقة في لحظة غضبهم، ومن يطرق الباب لابدّ أن يَسمع الجواب.

دعوتي لنفسي ولغيري: فلنكرّس ثقافة الاجتهاد المفتوح المتنوّع، ولنحترم ما توصّل إليه الآخرون، ولنناقش كلّ من لا نؤمن بقناعاته

مناقشةً أخلاقيّة مفتوحة، ولنعمل سويّةً على رفع مستوى الوعي العام، ولنتّهم كلّ من يُدان أخلاقيّاً أو وطنيّاً بالأدلّة الدامغة، ولنعبّر عن رفضنا بطرق الاحتجاج الديمقراطي المختلفة دون عدوانيّة على أحد، ولندافع عن قناعاتنا بشرف، ولنترك اللعب بالشعارات التضليليّة.

وبمحبّةٍ أقول لإخواني فيما يسمّى بخط الانفتاح والتجديد والنقد: لا يهمّ ـ إخواني وأخواتي ـ أن ننتصر في الحرب فقط، المهم أيضاً أن نمارسها بشرف وضمير وأخلاقيّة. ضميرُنا في الصراع هو رسول الله ﷺ الذي صفح في لحظة قوّته عن طلقاء مكّة، وعلي بن أبي طالب الذي سقى عدوَّه الذي منعه من الماء، والحسين بن علي الذي سقى الماء لمن جعجع به في الطريق وكان يسير به تدريجيّاً نحو الموت..

كلّنا ذاهبون إلى حفرةٍ صغيرة، والفائز فيها من حمل قلباً سليماً وروحاً متسامية وأخلاقاً عالية وعملاً صالحاً، وليس من فَعَلَ بخصومه ـ منتقماً ـ ما فعلوه فيه في لحظة ضعفه، ولا من تجاوز الأخلاق عندما صار قويّاً، فالأخلاق جهد العاجز عندما نُلقيها جانباً في مرحلة القوّة، فلا تكرّر خصومَك في نفسك وقد انتقَدتَهم على أساليبهم ضدّك، خاصّةً أسلوب التسقيط والبهتان وإلقاء الشائعات غير المؤكّدة.. فلنوقف انفعالنا النفسي غير المنضبط، ولنطلق مكانه ثورتنا العقليّة النقديّة القادرة على صنع التغيير، إن شاء الله.

قد لا يُعجب كلامي بعضَ إخواني الذين يعتبرون ما يحصل فرصة ذهبيّة للانقضاض، لكنّني أرجو أن أكون قد قلتُه لله، ولله وحده.

نحن والدرس الأخلاقي

١٥ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

هناك أصوات كثيرة تطالب هنا وهناك بدرس أخلاق في الحوزات والمعاهد الدينيّة، حيث يشعر بعض طلاب العلوم الدينيّة بشيء من الشحّ على هذا الصعيد، ويدعون لوجود دروس أخلاقيّة ثابتة في هذا الصدد، كالمستسقي في زمن الجفاف والقحط. وهناك والحمد لله العديد من الشخصيّات الأخلاقيّة الرائعة التي تتصدّى لهذا الأمر في بعض الأوساط، سواء في داخل الحوزات الدينية أم خارجها وعلى الملأ العام، وقد رأينا العديد من الحوزات تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار.

أحبّ ـ بوصفي طالباً للعلوم الدينيّة ـ أن أضمّ صوتي المتواضع إلى هذه الأصوات الطلابيّة الشريفة، لحضور الدرس الأخلاقيّ في الأوساط الدينية النخبويّة والعامّة، ليس بمعنى الدرس الذي يراكم

المعرفة فقط، وليس بمعنى تكرار المكرّرات والوعظ المكرور المملّ، ولا بمعنى الأخلاق التي تكاد لا تحترم عقل الإنسان وتستشفع باللامعقول لإثبات ذاتها، بل بمعنى التطوير في الخطاب الأخلاقي والتفتيش عن شخصيّات يكون سلوكها مرافقاً لدروسها الأخلاقيّة، فتكون أفعل إن شاء الله.

وربما يفترض أن يكون التركيز الأساس على الأخلاق الروحيّة والقلبيّة، وليس فقط على الأخلاق الاجتماعية العلائقيّة بشكلها الظاهري؛ عنيت قضايا من نوع الحقد، والحسد، والتكبّر، والرياء، والبخل، والغضب، والعُجب، وجنون العظمة، والأنانية، والعناد، وسوء الظنّ، وحسّ الانتقام، والخوف، والأمل، والرجاء، والسكينة، والتسليم، والرضا، والإحساس بالجمال، والحبّ، وغير ذلك.

ولعلّ من المؤثر جداً هنا ـ فيما أظنّ ـ هو النزعات الإيمانيّة التسامحيّة التي تستشفع بالمدارس النفسيّة والأخلاقيّة العالميّة في هذا الصدد؛ وتستقي من التراث الصوفي العالمي الرحيم الكثير من التهذيب الروحي والتعالي المعنوي، حيث أجد ـ بحكم بعض مطالعاتي المحدودة جداً في هذا المجال ـ أنّها مؤثرة في خطابها ومتطوّرة في آليات العرض والبيان، خاصّة المدارس التي ترى أصالة الأخلاق بمعزل عن كلّ شيء، بحيث لا تتخلّى عن الأخلاق عندما

تشعر بأنّها مُتعبة ومؤلمة في الزمن العسير، ولا تفكّر في الأخلاق بوصفها وسيلةً لنيل المصالح ودفع المضارّ، لا في الدنيا ولا في الآخرة، عدا تحصيل التكامل في الذات الإنسانيّة عينها، والشعور بالسعادة الذاتية بالأخلاق نفسها.

قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾[سورة القلم، الآية: ٤].

الدراسات الدينية والمعرفة البَيْنِيَّة

١٦ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

في فترةٍ من الفترات ونتيجة ازدياد العلوم وتناميها بشكل مذهل، تعالت الأصوات للاتجاه نحو التخصّص، فظهر التخصّصُ، وتخصّصُ التخصّص، إلى ما شاء الله، وكان ذلك دفعةً كبيرة لتطوير المعرفة بتضييق مركز النظر، بهدف الحصول على درجة أعلى من دقّة الرؤية؛ لأنّك كلّما ضيّقت مركز النظر وكبّرت الجسم الصغير، ظهرت لك فيه الكثير من المعطيات الخافية، بينما لو نظرت إليه مع غيره من بعيد قد لا تبدو لك تفاصيله الكثيرة.

كانت النزعة التخصّصية رافداً عظيماً لتطوير المعرفة الإنسانيّة بعد قرون من النزعة الشموليّة في المعرفة والتي باتت مستحيلةً اليوم، حيث كان ما يسمّى بالعلوم الحقيقية يُدرس كلّه في تخصّصٍ واحد.

اليوم تعقّدت المعرفة بشكل آخر، وصار وجود متخصّصين في مجالات متفرّقة موجباً لعدم قدرة كلّ فريق لوحده على الإجابة عن الأسئلة المتصلة بجميع التخصّصات معاً أو بمجموعةٍ منها، فظهر

التيار المعرفي الداعي للمعرفة البينيّة، وهي المعرفة التي تتعالى عن التخصّص المنْفَرِد لتُمسك بالقضايا التي تتصل بعدّة تخصّصات معاً، وتقدر على توظيفها جميعاً بوعي متشابك.

في الدراسات الدينية هناك توجّه منذ بضعة عقود نحو التخصّص، وفرز الموضوعات المعرفيّة على حدة، كي يتخصّص الباحثون فيها، وهذا شيء ضاعف وسوف يضاعف من النموّ المعرفي فيها عامّة، لكن ثمّة موضوعات تحتاج لعقول تدرك اتصال هذه الموضوعات بعدّة تخصّصات، فنحن بحاجة إلى الجهود المتخصّصة، وفي الوقت عينه بحاجة إلى العقل الذي يقدر على ربط معطيات هذه التخصّصات للإجابة عن تساؤلات تتصل بها جميعاً.. وعملية الربط والتجسير هذه تحتاج لوعي خاص، وهو الذي تقوم عليه المعرفة البينيّة، تلك المعرفة التي تقع بين العلوم.

هناك موضوعات دينية اليوم لا يستطيع الفقيهُ لوحده أن يقدّم فيها الجواب الشافي الكافي كما يقال، ولا الأصولي كذلك، ولا الفيلسوف، ولا المتكلّم، ولا المؤرّخ، ولا المحدّث، ولا المفسّر، ولا الرجاليّ.. إنّها موضوعات تحتاج لرؤية تستطيع أن تستخلص من مجموع العلوم (أو مجموعة علومٍ) جواباً عنها، فلم يعد موضوع مثل الإلحاد أو اللادينية أو الربوبيّة أو غير ذلك، من الموضوعات التي تهمّ المتكلّم فقط أو الفيلسوف فقط بحيث يجيب عنها بأدواته الخاصّة، بل صار لعلماء الطبيعيّات وعلوم النفس والاجتماع دور أساس فيها، **وما**

لم نملك المعرفة البينيّة بين مجموعة العلوم ذات الصلة، فقد لا نتمكّن من تكوين نظريات كبيرة في هذا الصدد، أو وضع رؤى استراتيجيّة على هذا الصعيد.

إذن:

أ. المعرفة البينية (وعيٌ خاصّ) ينتج عن خبرة متعدّدة التخصّصات، ويقدر أكثر منها على توظيفها في مجالٍ لا يختصّ بواحدٍ منها.

ب. المعرفة البينية الدينية ضرورة في العلوم الدينية الحالية، أو على الأقلّ في الأُسر العلميّة داخل هذه العلوم، حتى لا نغرق في تخصّص وتغيب عنّا العناصر المشتركة بين التخصّصات، والتي تحتاج للتخصّصات جميعاً بشكل متواشج.

ج. المعرفة البينية حاجة ماسّة لكلّ من يعتبر أنّ الشأن الديني العام حكرٌ على تخصّصه؛ لأنّ الشأن الديني العام لا يقف اليوم عند حدود المسائل الشرعيّة؛ إذ القضايا الدينية العامّة تخطّت حدود الفقه بكثير، ولهذا السبب بات يبدو جواب الفقيه ـ بما هو فقيه ـ عليها منقوصاً، حتى لو كان صحيحاً من زاوية الفقه نفسه (أرجو التأمّل بِرَوِيَّة في الموضوع)، فلابدّ من التفتيش عن صيغ ممكنة لمعالجة هذا الوضع.

إعلان لفتح قسم لنقد أعمالي المتواضعة في موقعي الالكتروني الشخصي

١٧ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

تقبّل النقد والعيش في حياة صحيّة داخل فضاء النقد المتبادل، ليس موقفاً فكريّاً نتخذه، بل هو عمليّة تربويّة معقّدة، وفي ظنّي أنّه يبدأ من داخل الأسرة، مروراً بالمدرسة والجامعة، وصولاً إلى الفضاء السياسي والاجتماعي العام.

دائماً نفكّر في أنّه كيف نُحيي تقبّل النقد بيننا؟ ودائماً كنّا نسمع عن أشخاص سعوا لمنع توجيه نقد لأفكارهم في العلن والخفاء، وهنا من الضروري أن نشتغل ذاتياً لمحاربة هذه الظاهرة في نفوسنا، قبل أن نطلبها من غيرنا، ونجاهد أنفسنا ـ إذا كان لا يزال الأمر شاقّاً علينا ـ لكي نتقبّل، أمّا الذين روّضوا أنفسهم، فهم الأقوياء المستعدّين لسماع النقد وتحمّله.

لا يعني ذلك أنّ النقد لا يترك أيّ أثر نفسي في صاحبه ومن يوجّه

إليه، فالنفس هي النفس، لكن المهم أن لا يترك قراراً في النفس يعاند النقد أو يخشاه.

ولكي نحاول بخطوةٍ بسيطة، فإنّنا نعتزم في القريب العاجل جداً إن شاء الله، فتح قسم في موقعي الشخصي الالكتروني المتواضع (www.hobbollah.com)، نضع فيه كلّ ما كتب حول أفكاري المتواضعة، خاصّةً الكتابات النقديّة التي كُتبت عن أعمالي البحثيّة، وأوْسَعَتْها إبطالاً وتفنيداً، سواء كانت هذه الكتابات كُتُباً نقديّة أم مقالات أم مداخلات، قديمة أم حديثة.

من هنا، أرجو من جميع الأصدقاء أن يساعدونا في جمع أيّ مادّة، خصوصاً النقديّة منها، وتكون متوفّرةً لديهم، كُتبت ونُشرت في هذا الصدد، بنسخة Word أو PDF، أو يمكن إحالتها على موقعٍ الكتروني قام بنشرها، ونكون لكم من الشاكرين.

كما أجدّد ترحيبي الذي قلتُه أكثر من مرّة، باستعدادي لنشر أيّ دراسة نقديّة خلوقة لأفكاري في المجال الذي أملك فيه القدرة على النشر، خاصّة ما أُشْرِفُ عليه من مجلات متواضعة.

فلنتعاون لنتسامى معاً في بناء (حوار أخلاقي)، فما العصمة إلا لأهلها.

معصيةٌ تقرّب إلى اللّٰه وطاعةٌ تُبعد عنه!

١٩ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

يبدو غير معقول أن نتكلّم عن معصية تقرّب إلى الله سبحانه، فالله لا يُطاع من حيث يُعصى، فكيف تكون المعصية مقرِّبةً؟! بل كيف تكون الطاعة مبعّدة عن الله سبحانه، وهي التي تسمّى بالطاعة، فتوجب القرب منه تعالى؟!

تحدّث عن هذا المفهوم الذي يبدو غريباً بعضُ الأخلاقيّين، ورغم أنّ الجملة تبدو على شكل مفارَقَة، إلا أنّ القصد منها شيءٌ آخر صحيحٌ بل وواقعٌ أيضاً، فقد تدفع معصيةٌ الإنسانَ إلى يقظة، فعندما يقع فيها يجتاحه الندم وتأنيب الضمير، وقد يستيقظ ضميره النائم في تلك اللحظة، وتستنفر نفسه اللوامة، فيكون ذلك بداية التغيير في حياته، وإعادة النظر في كلّ مسلكيّاته ومواقفه وأعماله السابقة.

وقد تجد أهل الطاعة يغترّون بطاعتهم، ويشعرون بشيء من التميّز عن الآخرين، خاصّةً عندما يتحوّلون إلى جماعةٍ وكيانٍ اجتماعي

مختلف، فإذا فعل ما هو خير، جاءه إحساس ـ ولو مختفٍ مُسْتَكِنّ ـ أنّه أفضل من غيره، أو دفعه ذلك لتناسي أخطائه في مكانٍ آخر، أو ظنّ نفسه أنّه قام بكلّ ما عليه، ومن ثمّ فلا يوجد شيء آخر عليه أن يضيفه.

قد تخفّف الطاعة عند بعض الناس من الإحساس بالتقصير، وقد تزيد المعصية حالة الندم وترفع من احتماليّات اتخاذ قرار بالتقدّم نحو الأمام وإصلاح النفس أكثر فأكثر، والناس طباع وحالات وأحوال، ولهذا حذّر الأخلاقيّون من العُجب والتقدير المفرط للذات، وحثوا على الثقة والتقدير الإيجابي لها.

أن تكون طائعاً شيءٌ لا يسمح لك أن تتعامل بسلبيّة نرجسيّة وطاووسيّة تكبّرية مع الآخرين، وكما يقول العرفاء: حتى أعصى الناس قد تكون فيه كمالاتٌ يفتقدها أكثرُهم طاعةً، ونقاطُ خيرٍ وإنارة لا يملكها المطيعون. المعصية التي تجلب لك انكسار القلب قد تكون خيراً لك ـ إذا جاز التعبير ـ من الطاعة التي تجلب لك التكبّر وقسوة القلب وأذيّة الناس، أو تجلب لك التدلّل على الله والمنّة عليه، والأمور بخواتيمها.

وكما يقال: **معصيةٌ تَذِلّ بها، خيرٌ من طاعةٍ تُذِلّ بها**. أو ذنب تَذِلَّ به لديه خير من طاعة تدلُّ بها عليه. ويا ابن آدم ذنبٌ تَذِل به إلينا خيرٌ من طاعةٍ ترائي بها علينا. وربّ معصيةٍ بعدها أجر.. وغيرها من النصوص والكلمات والحكم.

هل قوّة اليقين دليلُ وعي وضعفُه دليلُ سفاهة؟!

٢٠ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

اليقين هو استقرار النفس وطمأنينتها الناتجة عن وضوح رؤيتها للشيء، سواء كانت صائبةً في الرؤية أم مخطئة، وليس هو العلم المصيب للواقع؛ لأنّ اليقين صفة نفسيّة لا معرفيّة عقليّة، وإن صرنا نستخدمه الآن في البعد العقلي.

يخيّل لنا أنّ الشخص الذي لديه قوّة يقين بشيءٍ ما هو أفضل دائماً من الشخص الذي لا يقين له بذلك الشيء، هذا المفهوم له وجهان: وجهٌ نفسي وآخر عقلي معرفي.

١. أمّا الوجه النفسي، فكثيراً ما يكون اليقين ذا آثار نفسية إيجابيّة في الحياة، لهذا نقول: المتيقّن ولو بالباطل قد يكون أهنأ عيشاً من الشاكّ المعذَّب، وكما جاء في (نهج البلاغة ١: ٣٩)، عن علي عليه السلام: «من وثق بماءٍ لم يظمأ»، وترى الشاكّ أو من لا يحمل ذاك اليقين يتمنّى لحظةَ يقينٍ واحدة من المتيقّن.

والعكس في هذا كلّه صحيح أيضاً على بعض الصعد.

٢. أمّا الوجه العقلي المعرفي، فليس معنى أنّك على يقين هو أنّك أفضل من غيرك معرفيّاً بالضرورة؛ لأنّ اليقين قد يكون ناتجَ الجهل وقد يكون ناتج العلم، فكثير من الناس تجد عندهم طمأنينةً عجيبة لكنّها قائمة على أوهام، ولا صحّة لما يتيقّنون به على أرض الواقع، بينما شكّ الشاكّ أصدق وأكثر انتماءً للعقل من يقين هؤلاء؛ لأنّه أكثر وعياً منهم ومعرفةً ودراية بالحال، وأنّ القضيّة ليست بالبساطة التي يتصوّرون.

وقد يكون العكس صحيحاً، فيكون شكّ الشاك ناتج جهله وعمى بصيرته، فيما يقين المتيقّن ناتج وعيه وسلامة رؤيته.

ما أُريد قوله: **إنّ اليقين بما هو يقين لا يدلّ بالضرورة على وعي، والشكّ بما هو شكّ لا يعني الجهل ولا نقطة ضعف دائماً**، وإن كان الجميع يصبو ليقينٍ يصيب ولا يخطأ، ليقينٍ يباشر الله به قلوبنا كما جاء في بعض الأدعية، والله هو الحقّ المطلق والواقع المحتوم.

فلا نغترّ بمن يقدّم فكرته بشكلٍ يقيني حتى يخيّل إليك أنّه يرى الحقيقة بوحيٍ منزل، فنفترض أنّه أَفضل معرفيّاً ممن يقدّمها بشكل احتماليّ أو ترجيحي، فالقضية لا تقاس بهذه البساطة، وليس فيها جمل مطلقة لا سلباً ولا إيجاباً.

وينتج عن هذا كلّه، أنّ الناس ـ ومنهم كثيرٌ من المتعلّمين وحَمَلة

الشهادات ـ تهرب من عذاب التفكير والشك الهادف لبلوغ اليقين الصادق، والعقل المستقيل عند الناس كان وما يزال ظاهرةً يُدمنونها في حياتهم.. **ولهذا كلّه لا تحبّ الناس من يكلّمها بطريقة الاحتمال أو الترجيح، إنّها تريد فتوى دائماً، أن تفتيها بضرسٍ قاطع في كلّ شيء وفي كلّ قضيّة معرفيّة**، هم لا يحبّون أن تضيء لهم طريقاً ليُكملوه بأنفسهم؛ لأنّ هذا الأمر مُتْعِب ومخيف ومُقلق، هم يريدون أن تكلّمهم لتفتي بوضوح، وتحسم القضيّة لهم فيستريحون؛ لا لأنّ وعيهم العقلي أوصلهم إلى شيء، بل لأنّ استقالتهم العقليّة دفعتهم للاعتماد دائماً على غيرهم وإقامة التفكير على مبدأ الثقة، وليس على مبدأ الاستدلال.

الحسم في الرأي واليقين ضرورتان قاطعتان في كثير من الأحيان، لكن ليس في جميعها.

ذهنيّة المركز والأطراف

٢١ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

يعيش الكثيرون في هذه الحياة على ذهنية المركز والأطراف أو ثقافة المتن والحاشية والهامش، فالعالم الإسلامي مثلاً هو على هامش الحداثة وهو على حاشية الغرب، وهذا يعني أنّه لابدّ أن يتخذ الآخرُ القرارَ وعلينا أن نتّبع، وأن يكون هو المنتج دوماً ونحن المستهلكين، ولابد أيضاً من أن نفرض في لاوعينا أنّنا لا يمكن أن نكون مركزاً ولا منتجاً، وأنّ رغبتنا في التفكير أو اتخاذ القرار أو التخلّص من الاستهلاك المحض، هو خطيئة عظمى نرتكبها، وهو معارضة لحقائق الخِلْقَة ومصادمة مع مكوّناتنا الجينيّة!

الأمر عينه يحدث، بدرجةٍ أو بأخرى، في المؤسّسة الدينيّة عند الكثير من المذاهب، فهناك من يعيش ـ من حيث شعر أو لم يشعر ـ ثقافة أنّ العلم والإنتاج والريادة الدينيّة لابدّ أن تكون في هذه المدينة أو تلك، أو في هذا البلد أو ذاك، أو لأبناء هذا الشعب أو هذه القوميّة

أو تلك، وعلى الآخرين أن يرضوا بقضاء الله وقدره في أن يكونوا هوامش وحواشٍ وأطرافاً ومستهلكين. هذه الفكرة أو الممارسة أو اللاوعي موجودة، يتمّ تطبيقها ـ بشكل نسبي ـ في هذا الصدد بقصدٍ أو من دون قصد.

بل الأغرب أن يُصبح العلم والريادة حكراً ـ في بعض المستويات والمساحات ـ على أُسر علميّة لها تاريخها الرائع والمشرّف، وكأنّ دخول شخصٍ من غير الأُسر العلميّة على الخطّ أشبه بالمستحيل، وربما عليه أن لا يفكّر أبداً في منافسة رجالات تلك الأُسر الذين ستتوفّر لهم بطبيعة الحال الكثير من الإمكانات والفرص والظروف المؤاتية، وربما يوفّرون لغيرهم مثلها، وقد لا يوفّرون ولا يفكّرون له في ذلك.

العلم والمعرفة ليستا حكراً لا على جغرافيا ولا قوميّة ولا بلدان ولا شعوب ولا أمم ولا حضارات ولا عوائل وأُسر، بل يتبع العلمُ العالمَ أينما كان، وأينما حلّ، وليس العكس، والعلم صنيعة الإنسان، كلّ إنسان، وليست هناك جينات لشعوب وقبائل وأُسر وبلدان تسمح لها بالعلم ولا تسمح لغيرها (وإن كانت هناك بعض الأفكار في هذا المجال عند بعض الباحثين)، فلنُعِد بناء الثقة في نفوسنا.

فكرتي هي: **تعالوا لنحترم علماء ومفكّري مناطقنا وبلداننا وشعوبنا، كما نحترم علماء سائر البلدان، وتعالوا لنحترم الإنتاج عندنا**

ولا نظلّ في فضاء الاستهلاك لما يُنتجه الآخرون من معرفةٍ دينيّة، وتعالوا لنحترم علماء الأطراف ونقدّرهم وندرك حجمهم الحقيقي وإمكاناتهم الذاتيّة، كما نحترم علماء المراكز، فكم من عالمٍ في الأطراف أكثر علماً أو قدرةً من غيره ممن عاش في المركز، وكم هو العكس كثيرٌ أيضاً، فلا يغترّ أحدُنا بالماكينات الإعلاميّة التي تحاول صُنع كبار، فُرصتهم في بلدك أنّك لم تحتكّ بهم، بل كانوا بعيدين، والبُعد مع الصيت يخلقان صوراً ورسومات أسطوريّة عندما تكون هناك ماكينات إعلاميّة. رهاننا هنا على المتعلّمين والمثقّفين القادرين إن شاء الله على وعي هذه الأمور.

ولا نقصد بهذا أبداً ممارسة تنافس سلبي مع الآخرين أو الحطّ من قدرهم والعياذ بالله، ولا عيش عقدة مأساويّة في هذا الأمر، فهذا خطير جداً، وقد يشتغل عليه خصوم العالم الإسلامي، ونحن مطالبون بالوعي التام على هذا الصعيد، **بل الغرض هو التعاون والمشاركة والثقة في إنتاج العلم والمعرفة، وفي الحقوق والواجبات.**

قال تعالى ـ والقياس هنا مع الفارق الكبير ـ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ۝٣٢﴾[سورة الزخرف، الآيتان: ٣١ـ ٣٢].

لست لوحدك في هذا العالم

٢٢ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

يتصرّف كثيرون في هذا العالم على أنّهم يعيشون لوحدهم، وينسون أنّهم جزء من جسم أكبر منهم، قد تؤثر مواقفهم وتصرّفاتهم في الجسم كلّه، وحريّتك قد تخضع لمساءلة عندما تتصادم مع حقوق الآخرين.

عندما يصدر منك تصرّف ويؤدّي إلى إلحاق الضرر بجارك أو أخيك أو صديقك، ولو لم تكن أنت الفاعل المباشر للضرر، فعليك أن تحسب حساباً أكبر للموضوع، وتوازن أكثر بين المصالح والمفاسد، لتصل إلى النتيجة النهائيّة، فأنت كمن يسير في سفينة وسط البحار ويملك سهماً فيها، ويريد أن يرمي بما يملك من حصّته في هذه السفينة في الماء، بما يؤدّي إلى غرقها وموت كلّ من فيها.

في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي يوجد شيء اسمه السبب والمباشر، فقد يقوم زيد ـ وهو مجنون ـ بقتل شخصٍ ما، فنسمّيه

المباشر، فيما نجد بعد المتابعة القضائيّة أنّ زيداً هذا إنّما أقدم على هذا الفعل، نتيجة تحريك قويّ مارسه عليه عمرو العاقل مستغلاً جنونه، فعمرو هنا يكون سبباً، وكثيراً ما يتحدّث الفقهاء عن أنّ السبب قد يكون أقوى من المباشر، فيتحمّل ما قد لا يتحمّله المباشر من عقوبات أو ضمانات في بعض الحالات.

عندما تقول أنت كلمةً أو يصدر منك سلوك يفضي ـ ضمن سياق الوضع القائم ـ إلى قتل الآخرين أو سفك دمائهم أو هتك أعراضهم بغير وجه حقّ، فعليك أن ترصد الحسابات بين أهميّة سلوكك وموقفك، وبين حجم الضرر الذي لحق المحيطين بك، والقضيّة لا تُحسب فرديّاً وبشكل انفصالي انعزالي، بل تحسب مجتمعيّاً وبشكلٍ اندماجي أيضاً.

لا أعني بذلك سلب حريّتك دائماً فيما تقول أو تفعل، بل ضرورة إجراء حساب دقيق للمصالح والمفاسد، لتقديم تفسير وتبرير معقول للقضيّة، وهذا معنى أنّ المسلمين ـ مثلاً ـ جسم واحد، فلا يحقّ لأحد أعضاء هذا الجسم أن يُلحق الضرر بعضوٍ آخر؛ لأنّه يريد أن يتصرّف على طريقته، بل لابد له من التأمّل ورصد درجات الضرورة والمصلحة، بل بعض الأمور تبلغ درجةً عالية من الحساسيّة يصبح معها اتخاذ موقف فيها حقّ الجميع ووظيفتهم معاً، ومن ثمّ فمن حقّ الآخرين الذين لحقهم الضرر هنا المساءلة والمحاسبة، وعليك تقديم تبرير، وإلا كنت مُداناً في بعض الحالات على الأقلّ؛ **لأنّ القضية**

ليست مسألة وجهة نظر لا مانع من اختلاف الناس فيما بينهم فيها، ويعذر من يختار وجهة النظر هذه أو تلك، بل لها تأثير ميداني قهري على حياة الآخرين وحقوقهم ووجودهم دون رضاهم.

أعتقد أنّ هذه المسألة يمكن دراستها من زاوية فقهيّة وحقوقيّة وفلسفيّة معمّقة، ولها تفاصيل شيّقة، وهي بالفعل تحتاج إلى ذلك، وتتصل بما بحثتُه في كتابي المتواضع (بحوث في فقه الحج: ٢١٥ ـ ٢٣٢)، تحت عنوان (نظريّة الترابط بين الأفعال).

عذراً شيخنا الوائلي!

٢٤ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

اطّلعتُ مؤخّراً على مقطع مصوَّر يلعنُ فيه بعضُ الناس علناً العلامةَ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله) في مظاهرة دينيّة! ويبدو أنّ جُرمه ـ إذا كان هذا المقطع المصوّر صحيحاً ـ هو موقفه من بعض ما يسمّى بـ (الشعائر).

ليس عندي كلام كثير، لكنّني:

أ. أتحفّظ على أسلوب الشيخ الوائلي الذي استخدمه في معالجة هذا الموضوع، وأختلف معه فيه، فالتوصيفات التي استخدمها لا أجدها موفقةً في معالجة موضوع له حساسيته العاطفية وخصوصيّته، ومع أنّني أعذر الشيخ فيما بينه وبين ربّه، كما قد أعذر غيره من المختلفين معه، لكنّني كنت أفضّل له أن يتجنّب بعض التعابير التي تمّ

استخدامها وفقاً للمقاطع الصوتيّة المنشورة له[1].

واختلافي مع الشيخ الوائلي في هذه القضيّة يشابهه اختلافي مع غيره من الرافضين لبعض الطقوس أو المفاهيم، ممّن يستخدمون هذه الطريقة أيضاً عبر بعض القنوات الفضائيّة أو من على المنابر أو وسائل التواصل الاجتماعي، بتوهين المختلفين معهم في الرأي بطريقة حادّة، والأخطر بطريقة شخصيّة، قد تصل إلى مقربة من التفسيق والتجهيل والتكفير.

ب. أعبّر عن الرفض والإدانة للتعامل بهذه الطريقة مع رموز كبار خدموا الدين لعقود طويلة وتربّت على أيديهم أجيال من الناس ومن العلماء والخطباء والمنبريّين.. وأضمّ صوتي لكلّ الأصوات الطيّبة التي طالبت بشجب هذا الأسلوب المخجل، خاصّةً صدور هذا الرفض من طرف المرجعيّات الدينيّة وكبرى المؤسّسات الحوزويّة. نحن ـ من آحاد الناس ـ نطالب الجميع بشجب هذه الأساليب، واتخاذ موقفٍ منها، والعمل على منعها قدر الإمكان، والحيلولة دون وقوعها أيضاً، من أيّ فريقٍ صدرت. وقد

(١) فهم بعض الإخوة أنني أعتذر من الشيخ الوائلي لأنني أريد أن أنتقده، والصحيح أنني أعتذر منه على ما يتعرض له من إهانة، وحقه في رقبتنا، فنعتذر منه على صنيع بعضهم به، ونسأل الله أن يعيننا على أداء حق أمثاله على هذه الأمة وعلينا جميعًا، رحمه الله وأعلى مقامه.

سبق أن تحدّثتُ عن ميثاق شرف في هذا المجال، لكن يبدو أنّه سيظلّ أمنيةً ربما نراها في الأحلام!

ج. رغم تكرّر الكثير من مثل هذه الحوادث في العقود الأخيرة، إلا أنّنا لا نرى بعض المتحمّسين المدافعين عن الحوزات والمرجعيّة والفقاهة والعمامة يُبدي موقفاً ـ ولو بنحو تأسيس ثقافة رفض عامّة دون انحياز ـ تجاه هذا النوع من التعاطي داخل الدائرة الإسلاميّة والمذهبيّة، ففي مثل هذه المواضع لا نسمع منهم شيئاً، ولا نرى علامات غضب، وصدّقوني لن تسمعوا منهم شيئاً؛ لأنّهم ليسوا ضدّ الأسلوب، فبعض هؤلاء ينظّرون لمنهاج لعن الناس وسبّها وشتمها والتعامل بهذه اللغة معها، ويؤسّسون علناً لفكرة أنّ القرآن يشيّد بناء السبّ وثقافة الشتم، لكن أن تشتمهم أو تسبّهم أو حتى تنتقد بأسلوبٍ منفعلٍ بعض الشيء في حالةٍ ما هنا أو هناك، فهي الكارثة، هم ليسوا ضدّ هذا الأسلوب، هم فقط ضدّ أن يمارس هذا الأسلوب عليهم.

أقول لهم بكلّ محبّة: أيّها الإخوة الطيّبون، الذين تدينون الله بإهانة رموز الآخرين أو تنظّرون لذلك فتخلقون بيئةً ثقافية حاضنة لهذا النوع من الإهانات، كتلك التي تعرّض لها الشيخ الوائلي.. أيّها الإخوة، مع الأسف الشديد، أخشى أن تكون الأمور قد خرجت من أيديكم، ووصلت ألسنة النار التي أوقدها بعضكم إلى بيوتكم، وصدّقوا هذا

الصغير الحقير، سيكون الآتي أعظم بكثير، ما سيأتي لا نحبّه ولا نرضاه وانتقدناه مراراً وتكراراً، لكنّ الواقع لا يسير برغباتنا، بل يسير بقوانينه. أخشى أن تكونوا قد جهّزتم بأساليبكم هذه طوائف من اللعّانين لكم ولرموزكم، وجيوشاً من السبّابين لكلّ مقدّساتكم، فانتظروا وبكلّ أسف، وإنّ غداً لناظره قريب.

صدّقوني، أخشى أنّكم لم تحسنوا لرموزكم عندما أسّستم للتعامل العنفي مع رموز غيركم، فربما أوّل من يجب أن يُدان على إهانة رموزكم هو أنتم، فقد نهانا الله عن سبّ رموز غيرنا حتى نحمي قُدس الله من الإهانة والعدوان، فإذا سببنا تلك الرموز، ثم اعتُدي على قُدس الله، فنحن المعتدون على الله بشكلٍ من الأشكال، ولا أحبّ لنفسي ولا لكم أن تكونوا هكذا. حاولوا أنْ تجلسوا وتُجروا مراجعة لأساليبكم وتكون لكم قراءة مستقبليّة للأوضاع، تُرشدكم إلى أنّ بعض أساليبكم قد ترجع عليكم بالخسارة في العصر الراهن، بل قد بدأ ذلك بالفعل، ولعلّ هذه المراجعة تساهم في إنتاج واقعيّ لقواعد جديدة من الاختلاف فيما بين المؤمنين إن شاء الله.

د ـ أدعو إلى لجنة حكماء تفضّ الاشتباكات في المناطق، وتنفّس الاحتقانات، وتتوصّل إلى صيغ تحفظ حقوق الجميع وتراعي في الوقت عينه مشاعر الجميع، دون مبالغة في الحساسية من أيّ فريق، حتى لا يصبح النقد العلمي الهادئ موصوفاً بصفة الإهانة والعدوان على المشاعر، كما يريد بعض الناس؛ لأنّه لم يعتد على نقد الكبار!

وأدعو أيضاً إلى لجنة حكماء على مستوى الأمّة، لوضع رؤية في هذا الإطار، تمنع استغلال الدين في تشييد وترويج ونشر هذا النوع من التعامل فيما بيننا، فالمرحلة حسّاسة جداً، وحال أمّتنا ليس بالشكل الذي يسمح لها أن تصرف جهداً من طاقاتها بهذه الأمور.

إذا أردتَ أن تدمّر أمّةً وحضارة، فهشّم في نفوس أبنائها كلّ القدوات ومزّق كلّ الرموز والكبار، أو حوّلهم إلى أصنامٍ تصادر العقول وتُعبد من دون الله، فستصل إلى مبتغاك على الخطّين معاً.

توضيح:

يبدو أن بعض الأحبة فهم كلامي أعلاه بطريقة غير صحيحة، لهذا كان لابدّ لي من هذا التوضيح:

١. إنّني في المقطع الأوّل أبديت ملاحظتي المتواضعة على طريقة سماحة الشيخ الوائلي (رحمه الله) في تعاطيه مع الموضوع على مستوى بعض التعابير التي استخدمها، انطلاقاً من قناعتي الشخصيّة في إدارة القضيّة، مع احترامي الكامل لسماحته.

٢. إنّ الفقرة (ب) التي انتقدت فيها ما أسميته الأسلوب المخجل، كنت أعني بها الأسلوب الذي مارسه هؤلاء المتظاهرون ضد الشيخ الوائلي (رحمه الله)، وطالبت بشجب هذا الأسلوب غير المناسب في التعامل مع سماحته، وطالبت هناك أيضًا

بضرورة أن تتصدى المرجعيات والحوزات لإدانة مثل هذا العمل الذي يتعرض بالإساءة لرمز كبير وهو الشيخ الوائلي الذي ربى الخطباء والمنبريين والأجيال.

٣. في الفقرة (ج) تعرّضت لأولئك الذين لطالما وجدناهم يهبون للدفاع عن المرجعيات والحوزات عندما تتعرّض لسوء، لكنّنا لم نجدهم هنا عندما تعرض الشيخ الوائلي لمثل هذا التصرف المشين، لم نجدهم يبدون رأياً، ولهذا قلت بأن هؤلاء المدافعين عن المرجعيات والحوزات مطالبون بالدفاع هنا عن مثل عمامة الشيخ الوائلي التي هي رمز حوزوي كبير.

ومن هنا تعرضت بالنقد لهم حتى نهاية منشوري، وكيف أنهم هم الذين يروّجون للسب والشتم ضد غيرهم من أمثال الشيخ الوائلي والسيد فضل الله.. لكنّهم ينتفضون لو أنّ أحداً أراد أن يثأر للشيخ الوائلي وغيره فيهاجم رموزهم وبعض مرجعيّاتهم بنفس أسلوبهم هم.

٤. يفهم بعض الإخوة من كلامي دومًا أنني عندما أتعرض لمثل هؤلاء المختلفين معنا في الرأي من الشعائريين والمذهبيين أنّني أقصد تياراً خاصّاً معروفاً في الساحة، والحقيقة إنني لا أقصد ذلك أبداً، بل أقصد كلّ هذا الفريق المتشدّد الذي قد ينتمي بعض أفراده لهذا التيار أو ذاك.

عندما يكون المضمون غير العنوان
(أزمة في الكتابة والتأليف)

٢٥ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

كثيراً ما يشاهد الإنسان رسائل ماجستير أو أُطروحات دكتوراه أو مقالات وبحوثاً أو كتباً ومصنّفات، جميلة العناوين، لكنّ مضمونها لا يتصل بعنوانها إلا بدرجة يسيرة.

فأنت تطلب من شخص مثلاً أن يكتب لك عن ملابسات مقتل الشيخ الجبعي العاملي الشهيد الثاني (٩٦٥هـ)، فإذا بك تجد بحثاً من خمسين صفحة، تقرأ فيه خمسة وأربعين صفحة عن تاريخ جبل عامل منذ الفينيقيين، وخمس صفحات عن موضوعنا الأصلي! أو تجد رسالة ماجستير حول العلاقة بين التشيّع والتصوّف، وإذا به يعقد لك أربعة أخماس الرسالة في إثبات الإمامة، وأنّ الأئمّة اثنا عشر!

عندما يواجه الإنسان بحثاً من هذا النوع، يكاد يشعر بأنّ صاحب البحث اختار العنوان وهو لا يدري شيئاً عنه، فلما شرع فيه تورّط،

ليكتشف أنّه لا يملك ما يوفّر له أن يمارس بحثاً فيه، فاستعان بكلّ شاردة وواردة في القضيّة، وهناك أسباب أخرى لهذه الظاهرة أيضاً.

تطوير أعمالنا البحثية يحتاج إلى الدخول مباشرةً في صلب الموضوع وجوهر المشكلة التي تريد حلّها ببحثك، ومعرفة واعية مسبقة بالقضيّة قبل اختيار العنوان، وإذا كان من مقدّمات فلابدّ أن تكون متصلةً بشكلٍ فاعل بالموضوع نفسه، بما يكشف داخل البحث عن جهات الاتصال هذه.

ليس المهم أن تصدر لنا رسائل جامعيّة أو حوزويّة أو غير ذلك، وتكون كثيرة ووافرة، بل المهم أن نتمكّن من طرح هذه الرسائل في المحافل العلميّة بشكل يُنتج معرفةً حقيقيّة أو يؤسّس لحراك فاعل وناضج. والطموح أن نصل إلى مرحلة نتمكّن فيها من إصدار الكثير من البحوث والرسائل وطرحها في الأسواق، إن شاء الله.

من نظريّة تعدّد القراءات إلى نظريّة وحدتها، وفاة الإصلاح الديني

٢٦ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

قبل مدّة من الزمن كان التيار النقدي للفكر الديني عندما يقدّم التيار الإسلامي (بالمعنى الأعم من السياسي وغيره) رؤيته في قضيّة دينيّة، كان الناقدون يؤكّدون الفكرة التالية: لا توجد قراءة واحدة للإسلام، فهناك إسلامات، ومن ثمّ فلا يمكن الحكم على إسلام نتيجة توصيف يتصل بإسلام آخر، فهناك إسلام سنّي وإسلام شيعي، وهناك إسلام عربي وإسلام غير عربي، و.. والحال نفسها في التسنّن والتشيّع، فلا يوجد تسنّن واحد ولا قراءة واحدة للتشيّع، ولطالما اتجه أنصار الإصلاح الديني لفكرة من هذا النوع.

اليوم تتجه بعض الكتابات ومنذ مدّة، للحديث عن تعطيل إمكانية توظيف مفهوم تعدّد القراءات (الإسلامات)، ومن ثمّ إعلان وفاة الإصلاح الديني واستحالته، وهو ما نجده ـ على سبيل المثال ـ في

بعض ما كتبه الباحث اللبناني علي حرب والباحث الإيراني محمد رضا نيكفر، وغيرهما، حيث الحديث عن أنّه لا فرق بين إسلام التنظيمات الإرهابيّة اليوم وبين كلّ ما يُسمّى بإسلامات أُخر، فالجوهر واحد والأقنعة مختلفة، خاصّة بين الإسلام التجديدي المعاصر والإسلام التقليدي، ومن ثمّ فمن حقّنا اتخاذ موقف موحّد من الجميع.

يعزّز هؤلاء ـ وفريق آخر معهم ـ الفكرة بأنّ جوهر ما تقوم به هذه التنظيمات الإرهابيّة موجود في بطون كتب مدارس الفقه الإسلامي الأخرى، على تنوّعها المذهبي، ومن ثمّ فلا يمكن للشيعي ـ على سبيل المثال ـ أن يتحدّث عن شريعة مختلفة في التطبيق عن شريعة بعض التنظيمات السنّيّة المتهمة بالإرهاب اليوم، فالرجم والحرق والرمي من شاهق وإلى آخر القائمة موجود عند الجميع، وليس قديماً، بل في كتبهم الفقهيّة اليوم.

بالنسبة لي ـ ومع غضّ النظر من الموقف من القضايا التي تصنّف اليوم على أنّها قاسية وعنفيّة وغير إنسانيّة في الإسلام ـ لا أوافق على التمييز المطلق بين المدارس الفقهيّة السائدة انطلاقاً من العنصر المذهبي؛ لأنّ فكرة حرب ونيكفر تبدو قريبة نسبيّاً على بعض الصعد هنا.

إلا أنّني أودّ التأكيد على أنّ كلّ هذه المقاربات هي مقاربات لإسلامٍ

واحد بمعنى من المعاني، وهو الإسلام الكلامي والفقهي، بل الإسلام الفقهي والكلامي المدرسي، فيما نملك رؤى كثيرة تمثل الإسلام العرفاني الصوفي، والإسلام القيمي التاريخاني، وإسلام (الفقه بالحدّ الأدنى)، وإسلام القراءة التاريخيّة الفقهيّة، وغيرها من الإسلامات التي بات لها تياراتها وأنصارها ولو لم تكن مهيمنةً على المنبر الرسمي للمذاهب.. الأمر يحتاج لرصد معمّق في تحوّلات الفكر الإسلامي الحديث، فكيف أتجاهل كلّ هذه الإسلامات والفوارق بينها عميقة للغاية، ثم أُصدر حكماً عامّاً يتصل بالتشابه بل يكاد يكون هو التماهي بينها جميعاً؟!

ثمّ ما هو المبرّر المنطقي الذي يسمح لنا بأن نصدر حكماً بتّياً حتميّاً بأنّ كلّ تفسير للإسلام فهو مشابه تماماً للتجربة المأساويّة الحالية عند بعض التنظيمات الإرهابيّة؟ هل هي مقاربة منطقيّة حصريّة؟ وكيف؟ هل هو استقراء كامل يفرض شيئاً من هذا القبيل؟ هل هو الإحباط الذي لحق تيار التجديد الديني فأوصله إلى قناعة الاستحالة؟ أو أنّ القضيّة أنّني تتبّعت كلّ القراءات الحاليّة ـ إذا حصل شيء من هذا ـ ولم أجد فيها ما يغيّر الحال، وهذا ينتج حكماً على القراءات الحالية للفقه الإسلامي، ولا يُنتج حكما كليّاً على كلّ قراءة للإسلام.. قل: القراءات الحاليّة للإسلام لا تقنعني بأنّها مغايرة لقراءة العنف والإرهاب، ولا تقل: لا يوجد قراءة، ولن توجد قراءة غير ذلك، ومن

ثمّ الحلّ الوحيد هو التخلّي عن القراءات الإسلاميّة برمّتها، وإعلان (استحالة) التجديد والإصلاح الديني!

الموضوع طويل، أخذت منه جانباً واحداً من المقاربات المثارة، وأحببت فقط أن أُثير فكرةً فيه للتفكير والتأمّل. وللعلم فقط فهناك حوارات حوله تجري الآن في زاوية من المشهد الثقافي الإيراني.

اسبينوزا وثلاثيّة: المشيئة، والحتمية الطبيعيّة، والتدخّل الإلهي

٢٧ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

نفهم جميعاً أنّ الله له سُنّة في الوجود، وأنّه في بعض الأحيان يتدخّل استثنائيّاً لأجلنا، كما في حالات استجابة الدعاء، وأنّه يُعين الضعفاء والمظلومين، ويقف إلى جانبهم. الفكرة في الثقافة الدينية واضحة معلومة.

يقدّم الفيلسوف الهولندي الشهير باروخ اسبينوزا (١٦٧٧م) تفسيره لهذه الظاهرة، مستخدماً في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة)، عدّة مفردات يريد من خلالها تفسير النصوص الدينية في هذا الموضوع، وأبرزها:

١. حكم الله، وهو القوانين الطبيعيّة الثابتة ونظام الطبيعة الراسخ، والشجرة الهرميّة لسلسلة الموجودات وعلاقاتها

الحتميّة فيما بينها.

٢. مشيئة الله واختياره، ويعني أنّ الله يختار شيئاً من خلال نظام الطبيعة السابق، أي من خلال حكمه، فحكمه ومشيئته أبديّان مقرّران في نفس وضعه للنظام الصارم في الطبيعة، وليس أنّ هناك مشيئات تتعاقب في الزمان.

٣. عون الله، وهو ما تقدّمة الطبيعة التي خلقها الله ضمن نظامها، ما تقدّمه للإنسان دون جهدٍ منه، فكلّ ما نسمّيه في الأدبيّات القرآنيّة (من حيث لا نحتسب) ويأتينا من حيث لا نجهد ولا نتوقّع، فهو العون الإلهيّ في الوجود.

ويبدو لي أنّ التمييز بين الحكم الإلهي والعون الإلهي عند اسبينوزا هو تمييز يتصل بمعرفة الإنسان بنتائج معطيات الطبيعة، فإذا خُيّل إليه أنّه لن يكون هناك شفاء لمرضه طبيعيّاً، فإنّ عون الله له واستجابته لدعائه، تعني أنّ الطبيعة قد قرّرت سلفاً ـ وقرارها هو حكم الله ـ بأن تُعينه هنا، كلّ ما في الأمر أنّه لم يكن يدري بذلك.

ويبدو لي أنّ كلام اسبينوزا قد ينتج عنه أنّه لا توجد هناك سببيّة معيّنة وعلاقة خاصّة بين الدعاء والاستجابة، فيفسّر الأمر بهذه الطريقة، مع أنّ بإمكاننا أن نفرض أنّ حكم الله هو وجود نوع من العلاقة بين التجربة الروحيّة والباطنيّة للإنسان (المسماة بالدعاء)

وبين النتيجة الماديّة، فنفي فرض من هذا النوع يبدو أيضاً غير مقدور، والاعتقاد به لا يسلب البُعد الحتمي في الطبيعة، شرط تقديم تفسير معقول للعلاقة بين الحتميّة في حكم الله وبين عنصر الاختيار في فعل الإنسان، وهذا بحث آخر.

فكرةٌ للتأمّل.

السيد تقي القمّي في ذمّة اللّٰه

٢٨ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

تشرّفت قبل حوالي العشرين عاماً بالحضور في درس بحث الخارج الذي كان يُلقيه السيد تقي الطباطبائي القمّي (رحمه الله)، على طلابه في حيّ الصفائيّة في مدينة قم، وكان درساً يحضره عددٌ قليل من الطلاب، وإذا لم تخنّي ذاكرتي فقد كان في فقه الإجارة في الشريعة الإسلاميّة. لم أوفّق للحضور أكثر من يومين أو ثلاثة، حيث تركتُ الدرس عنده ولم أستمرّ معه، كما هي الطريقة الحرّة في الدراسة العليا في الحوزة العلميّة، والتي يحاول الطالب فيها أن يختار الأُستاذ الذي يجد نفسه منسجماً أكثر مع فكره أو مع مضمون طرحه أو مع أسلوبه أو غير ذلك من العناصر التي تختلف من طالبٍ إلى طالب آخر، دون أن تضرّ بالضرورة بقيمة الأُستاذ أبداً؛ لأنّ الأمزجة تختلف وتتخلّف كما يقولون.

يُعدّ السيد تقي الطباطبائي القمّي (رحمه الله) من التلامذة

المعروفين للمرجع الديني الراحل السيد الخوئي (١٤١٣هـ)، وكان من الناهجين في الاجتهاد الفقهيّ على نهجه متأثراً به كثيراً. ولهذا لمّا نطالع كتابَه (مباني منهاج الصالحين) المؤلّف من عشرة مجلّدات في طبعته الثانية التي صدرت عام ١٤٢٩هـ، فنحن نلاحظ فيه الكثير من المناقشات للمشهور الفقهي والاختلاف معهم، بصرف النظر عمّا إذا كانت هذه المناقشات ستُفضي به إلى فتاوى مختلفة في مرحلة الإفتاء أو لا، وقد حاول في نهايات عمره ـ كما سمعت ـ أن يوسّع ويجدّد في هذا الكتاب المشهور، ولم يتسنّ لي الاطّلاع على التعديلات الجديدة التي كتبها في بعض المجلّدات على الأقلّ، ولعلّه عدّل أو غيّر.

لكنّ السيّد القمي يعدّ متحفّظاً جداً على مشاريع النقد والتجديد الديني، ولديه توجّه مذهبي صارم تجاه المختلفين معه في المذهب أو حتى داخل المذهب، ومواقفه من بعض الرموز التي أُثير حولها جدل في التسعينيّات من القرن الماضي متشدّدة جداً، وكانت له تحفّظاته أيضاً على المشروع السياسي الإسلامي عموماً، وهو في هذا كلّه يصدر عن وجهة نظر، ويستند إلى رؤية تمثل اجتهاداً من الاجتهادات.

ولأنّني حضرت عنده هذه الأيّام القليلة جداً، أحببت أن أفِيَ له فيما تعلّمته فيها، وأن أفِيَ له فيما استفدته منه في كتابه الفقهي الكبير، الذي كان يُحيلنا عليه أُستاذنا السيد محمود الهاشمي (حفظه الله) في بعض الأحيان في إطار عملنا في موسوعة الفقه الإسلامي، ولا أعرف تقويمه النهائي له..

هذا كلّه، رغم أنّني أتحفّظ كثيراً على منهج السيد القمّي في الاختلاف، وعلى رؤيته للعلاقات داخل المذهب الواحد وبين المذاهب الإسلاميّة، وأجد نفسي بعيداً غاية البعد عن طريقته في التفكير في القضايا التي من هذا النوع، وفي قضايا التجديد الديني والرؤية الواسعة للدين.

رحمه الله، وتغمّده بواسع رحمته، وحشره مع من يحبّ ويتولّى من الأنبياء والأولياء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً.

قصّة أولاد آدم، الأخلاق والحقيقة والفهم الخاطئ

٢٩ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

يظنّ بعض الناس أنّه إذا لم يمارس الآخرون معه أسلوبَه غير الأخلاقي معهم، فهذا يعني أنّه متفق على حرمته ومكانته، فإذا لم يشكّك الآخرون بعلمه ـ مثلاً ـ فيما شكّك هو بعلم الآخرين، تصوّر أنّ علمَه متفقٌ عليه، وعلمُ غيرِه غير ثابت!

ليست القضيّة كذلك دائماً، بل قد يكون السبب في بعض الأحيان هو قلّة أدبك وأخلاقك مع غيرك وحُسن أخلاق الآخرين معك، فالآخرون غير عاجزين عن التشكيك في علمك أو في هذه الصفة أو تلك فيك، بل لديهم القدرة على كشف الكثير من العيوب وإعطاء الأمور حجمها، لكنّ الأخلاق تمنعهم عن سلوك هذا السبيل، وتقول لهم: ليس كلّ ما يُعرف يُقال، أمّا أنت فقد تخطّيت الأخلاق، بل ربما تكون قد شرعنت سوء الأدب.

أحياناً، إذا لم يشكّك الآخرون فيك ويكشفوا عيوبك وعثراتك،

فلأنّهم على خُلُق، لا لأنّك منزّه أو غير مشكَّك به، فلا يغرَّنّك سكوت المؤمن الصالح؛ فإنّما يحجُزُه إيمانه.

وفي الرواية عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أنّه قال: «والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر. ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كلّ غدرة فجرة، وكلّ فجرة كفرة. ولكلّ غادر لواء يُعرف به يوم القيامة..»[1].

ربما يكون رهانك أن تُسقط الآخرين أخلاقيّاً كما سقطت أنت من قَبل، وإن برّرت لنفسك، لكنّ الصالحين لن يجعلوك تهزمهم أخلاقيّاً، حتى لو هزمتهم في الدنيا مادياً وآنيّاً، فسعادة الروح خير عندهم من كلّ شيء ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[سورة الزخرف، الآية: ٣٢].

هذه هي قصّة صراع الإنسان الصالح مع أخيه المفسد، لا يسمح الصالح للمفسد أن يُفسده، ولا يتقمّص نقيُّ النفس شخصيّةَ خصمه الملوَّثة، لكنّه في الوقت عينه يسعى لمواجهة فساده، وهنا تكمن المعادلة الصعبة.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾[سورة المائدة، الآيتان: ٢٧ـ٢٨].

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٨٠.

القرآن وتفاصيل الحياة الزوجيّة للنبيّ!
بازركان ووجهة نظر توحيديّة

٣٠ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

لطالما يُثار التساؤل حول سبب تعرّض القرآن الكريم لبعض القضايا التفصيلية في الحياة الزوجيّة والفردية اليوميّة للنبي محمّد ﷺ، ويقول بعضهم بأنّ هذا لا يتناسب مع خلود القرآن ورسالته العالميّة، بل يتناسب مع مواقف جزئيّة بالغة في لحظة زمنيّة محدّدة.

توجد وجهات نظر في هذا الموضوع، وكثير منها يحتوي قدراً من الحقيقة من وجهة نظري، ويمكن التركيب بين عدّة وجهات نظر هنا للوصول إلى جواب أفضل لهذا الموضوع، بمعنى أنّه أقرب في قوّته الاحتماليّة للواقع.

ومن وجهات النظر هذه، ما يطرحه بعض الباحثين المعاصرين مثل عبد العلي بازركان المهتمّ بالدراسات القرآنيّة وتفسير الكتاب الكريم، وهو نجل المفكّر الراحل مهدي بازركان (رحمه الله)، حيث يذهب

إلى أنّ السبب في ذلك هو أنّ القرآن يريد دائماً عرض شخصيّات الرموز الكبيرة في إطارها الطبيعي البشري، وعدم إخفاء شخصيّتها في حدود حياتها الخاصّة. ويعتقد بازركان بأنّ طريقة المتصوّفة تخلع على الشيخ قداسةً خاصّة عندما تشتغل على إخفاء حياته اليوميّة الفرديّة وتعثراتها ومشاكلها وهمومها، فتظهره على أنّه أشبه بالرجل المعلّق في الفضاء، **بينما القرآن يكرّس فكرة التواصل مع الأنبياء على أنّهم بشرٌ، لديهم قضاياهم الزوجيّة واليومية التي تواجه الهموم والمشكلات الشخصيّة**، ولا يقتصر القرآن فقط على الجانب العام لشخصيّة الأنبياء، الذي يخفي طبيعتهم الفرديّة الخاصّة وممارساتهم اليوميّة بوصفهم بشراً.

والمنطلق في هذا كلّه، هو الرؤية التوحيديّة، فالقرآن الكريم لا يريد خلق شخصيّات متعالية عن الطبيعة البشريّة، حتى يُبعد وعيَ أتباعه عن أيّ شكل من أشكال المماهاة أو المقاربة مع ساحة الألوهيّة المقدّسة؛ ضماناً لتحصيل توحيدٍ من الدرجة العالية، فإخفاء شخصيّات الكبار اليومية يصنع لهم في المخيّلة صورةً أكبر من حجم الصورة التي نصنعها لهم عندما نأخذ مختلف قضاياهم البشريّة العامة والخاصّة بعين الاعتبار.

وجهة نظر تستدعي تأمّلها وتقويمها، وهي تبرّر أيضاً تعرّض القرآن ـ حامل الرسالة الخالدة ـ لمثل هذه القصص، ولا مانع من ضمّها إلى وجهات نظر احتماليّة أخرى لتكوين صورة أوسع.

الكفر والحياد الإيجابي والبحث عن الحقيقة

٣١ ـ ١٠ ـ ٢٠١٦م

يؤمن كثير من الناس بمعتقداتهم وأفكارهم في المجالات المختلفة من غير بحث ونظر واستدلال حقيقي، فالمسلم لأنّه ولد في بيئة إسلاميّة فهو مسلم، والمسيحي لأنّه ولد في بيئة مسيحيّة فهو مسيحي، ولو وضعت هذا مكان ذاك فلن تجد الأوّل إلا مسيحيّاً والثاني إلا مسلماً.

كيف أعرف أنّني أقلّد آبائي أو اتّبع الدليل والحجّة والمنطق؟ كيف أعرف أنّني لو ولدت في أسرة مسيحيّة أو يهوديّة سأصبح مسلماً؛ لأنّني تابعٌ للدليل، والمفروض أنّ الدليل يوصل للإسلام؟ والعكس كذلك.

واحدة من الطرق المساعدة هنا أن تنظر في أدائك، ثم تفترض نفسك غير مسلم، ثم تطبّق نفس أدائك هذا وأنت مسيحي، ماذا تتوقّع؟ هل تتوقّع أن تكتشف الحقيقة التي هي ـ حسب الفرض ـ الإسلام أو لا؟ مثلاً لو كان نظام تفكيري وطريقتي هما: علمائي كبار محقّقون

لا يعقل أن يكذبوا ولا يعقل أن يشتبهوا ولا يعقل أن.. وعلماء غيري خبيثون جاهلون.. لو كنت مسيحياً وطبّقت نفس الطريقة مع علماء المسيحيّة وغيرهم، فهل سأصل إلى الإسلام أو لا؟ هل أنا أصلاً بحثت في نزاهة علمائي وعلماء غيري بشكل جادّ؟ هل أصلاً كنت أتجرّأ أن أبحث بجدّ في نزاهة علمائي أم هذا شيء شربته منذ نعومة أظفاري؟!

أعتقد بأنّني لن أصل، والسبب بسيط، وهو أنّني انطلقت من فكرةٍ (تقويمي لعلماء المسلمين والمسيحيين) هي في الأصل منتمية إلى الفضاء الإسلامي الذي يفترض أن يكون هو محلّ البحث، ولا يجوز أن يكون مصادرة مسبقة على البحث.

بعض الناس يبدأ رحلته في البحث عن الحقيقة من مذهبه ليُنهيها بصحّة مذهبه.

معنى هذا أنّه يجب أن تكون هناك نقطة بداية للانطلاق، ويجب أن يكون هناك حكم أو محكمة خارج إطار اعتقادي كي أحاكم عقائدي وفقاً لها وعندها. وهذا معنى الحياد الإيجابي للباحث، فإذا لم تكن أثناء البحث محايداً حقيقيّاً وغير منتمٍ أبداً ـ وليس شكليّاً أو لفظيّاً فقط ـ لأيّ فريق من الفريقين اللذين تبحث عن الحقّ عندهما، فهذا يعني أنّك منحاز سلفاً، وقاضٍ غير عادل. فما الفرق بينك وبين قاضٍ جاءه متخاصمان فحكم لأحدهما دون الآخر، دون أن يستند إلى دليل من

خارج ادّعائهما نفسه؟!

إذا أردت أن تبحث في صحّة الإسلام والمسيحيّة (وهذا مجرّد مثال)، فأخرج عقلك لحظة البحث من أيّ انتماء، واجهد في ذلك، وإلا فقد لا تفترق كثيراً عن قريش وأمثالها عندما تحدّث عنهم القرآن الكريم قائلاً: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴿٢٤﴾﴾[سورةالزخرف، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤].

نعم هذا هو الكفر السلوكي كما قال القرآن؛ لأنّ الحياد الإيجابي بيئةُ تسليمٍ للحقيقة، وعدمُه بيئةُ كفرٍ بها، والكفر في اللغة سترٌ وتغطية، وأنت هنا قد تستر الحقيقة بهذه العقليّة التي تحملها وتحجب بها رؤية الحقّ عنك.

وهنا قد تُطرح فكرةٌ أُثيرها بوصفها احتمالاً، وهي أن يعيد الفقه الإسلامي النظر بجديّةٍ بمسألة الحياد الإيجابي للإنسان عند بحثه في الإسلام في عصر الشكوك والتساؤلات الكبرى، وأن يقرّ بصواب حياده الحقيقي هذا لحظة البحث المخلص صواباً أخلاقيّاً، وعدم ترتيب أيّ أثر قانوني سلبي ضدّه، بل تشجيعه على ذلك وترشيد عمله بمقتضى التوجيه القرآني العام في إدارة آليات البحث عن الحقيقة

الدينيّة. وفي الفقه الإسلامي وجهات نظر، بل ونصوص حديثيّة كما يرى بعضٌ، تتقبّل مثل هذا، مثل بعض الروايات التي تحاول أن تُخرج الشاكّ لحظة الشكّ من إطار الارتداد والكفر.

وأخيراً أشير إلى أنّني لا أقصد أنّ البحث والدليل يوصلان دوماً إلى الحقيقة، فقد يقع الخطأ؛ لأنّ أسباب الخطأ متعدّدة، لكنّني **أتحدّث هنا عن تأمين بيئة روحيّة ونفسيّة سويّة تسمح للعقل بالوصول إلى الحقيقة بنسبة احتماليّة أكبر**، وبتعبير علماء الأصول والفلسفة: ما أرومه هو سدّ باب الخطأ من هذه النواحي النفسيّة والسلوكيّة فقط. وهذا مصداق من مصاديق أخلاق المعرفة، ولعلّ مجاهدة النفس في ميولها الخفيّة للانحياز السلبي مصداقٌ ـ وفق بعض التفاسير ـ من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[سورة العنكبوت، الآية: ٦٩].

هل يحقّ للشاك في قضيّة دينيّة أن يُبدي شكّه وتردّده؟

١ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

يتحدّث بعضُ الناس عن حظر أو رفض إبداء الشاكّ في أيّ قضيّةٍ دينيّة لشكّه، خاصّة في العقديات، ويرون أنّ هذا الأمر يُثير القلق والبلبلة والتشكيك بين الناس في هذه القضيّة أو تلك، وهو مضرّ بالمصلحة الدينية والاجتماعيّة، ومن ثمّ لا يصحّ إبداء موقفٍ إلا إذا كنت قد اخترتَ قولاً من الأقوال وحسمت رأيك فيه، وقدّمت أدلّتك عليه.

وجهة النظر المحترمة هذه، يمكن مقاربتها من زاوية حالات الشكّ، فنحن أمام نوعين من الشك إذا صحّ التعبير:

النوع الأوّل: الشك القَبلي، وهو الشك الذي يكون قبل بداية دراسة الإنسان لهذا الموضوع الذي يُبدي الشكَّ فيه، فأنت لم تبحث هذا الموضوع بالشكل الكافي، فحتى الآن لست متأكّداً من شيء، وتريد أن تبرز عدم تأكّدك وأنّ كلّ الآراء غير مؤكّدة.

في هذه الحال، ربما يُفترض عدم إبداء الشكّ بوصفه وجهة نظر؛

لأنّ المفروض أنّه لا يعبّر عن رؤية في الأدلّة والمواقف، بل يعبّر عن انعدام الرؤية والمعرفة والاطّلاع. وإذا كان ذلك ناتجاً من شخص غير متخصّص إطلاقاً في موضوع البحث يكون الأمر أوضح.

النوع الثاني: الشكّ البَعدي، وهو الشكّ الذي يأتي بعد دراسة القضيّة وملابساتها، فيتردّد الأمر عندك ولا تستطيع ترجيح وجهة نظرٍ على أخرى، فالموضوع عندك من العويصات العالقة كما يقولون.

وفي هذه الحال، لماذا نرفض إبداء هذا الشاكّ لشكّه، وطرحه لشكّه بوصفه وجهةَ نظر في الساحة الثقافيّة والفكريّة والدينيّة؟ **إنّ الشك هنا هو بنفسه تعبير عن وجهة نظرٍ تقول بأنّ أدلّة الفريقين غير مقنعة، وأنّ الأمر وفقاً لأدلّتهما لا يُفضي إلى نتيجة حاسمة.** أليست هذه وجهة نظر؟ لماذا يُمنع على صاحبها أن يبديها ويعطي رأيه في طبيعة الأدلّة المتنافسة في القضيّة؟

بل إنّ تاريخ البحث العلمي يؤكّد أنّ الكثير من العلماء في مختلف البحوث الدينيّة وغيرها كانوا يتوقّفون في بعض القضايا، ولهذا تجد أنّهم عندما يرصدون الآراء في مسألة معيّنة، يذكرون منها القول بالتوقّف، ويكون المراد به في بعض الأحيان أنّ صاحب هذا القول مرجع كلامه إلى عدم ترجيح أيّ قولٍ من الأقوال، وأنّ القضية متوقّفٌ فيها عنده، فسنّة البحث العلمي تقوم على هذا أيضاً.

إذن، لماذا لا يحقّ لمن بحث في قضيّةٍ، وحصل له ـ بعدَ النظرِ ـ الشكُّ في جميع الآراء وعدم ترجيح واحدٍ منها على الآخر، لماذا لا

يحقّ له أن يُبدي رؤيته لطبيعة الموضوع وتحفّظه على جميع المواقف وتردّده في الحسم؟ أليس شكّه هذا ناتجاً عن وعي، وهو مختلف عن الشكّ الآتي من عدم الخبرة؟ أليس من حقّه أن يقول للناس بأنّه رأى أنّ أدلّة الفريقين ضعيفة وغير حاسمة؟ **فلماذا يحقّ لك أن تعبّر عن رأيك في ترجيح فريقٍ على آخر ولا يحقّ له التعبير عن رأيه في عدم الترجيح؟!** لماذا يجب عليه أن يخضع لوجهة نظرك ولا يُسمح له أن يخضع لرؤيته لطبيعة المواقف في الموضوع؟ وكيف يحقّ لك أن تحاسبه من موقعك دون موقعه ورؤيته؟

نعم، إذا كان هناك دليلٌ ديني أو عقلي يقول بأنّه في هذه الحالة أو تلك من حالات الشكّ يجب عليك الاحتياط من جميع الجهات، فلا بأس، لكن في القضايا الفكريّة والثقافية والعقديّة والتاريخيّة وكثير من غيرها، أين هو هذا الدليل سوى حُسن الاحتياط لو كان الأمر مورداً للاحتياط أصلاً، لا وجوبه عقلاً ولا نقلاً؟

وللمثال فقط، هناك من الفقهاء من يقول بأنّ الأعلم إذا احتاط وجوباً في مسألة، ونشأ احتياطه الوجوبي من رفضه لكلّ الأدلّة المختلفة في القضيّة، فإنّه لا يصحّ الرجوع في هذا الاحتياط الوجوبي إلى الأعلم بعده؛ لأنّ المفروض أنّ الأعلم قد حكم بخطأ ما توصّل إليه الأعلم بعده، فكيف نرجع إلى الأعلم بعده رغم حكم الأعلم بخطئه وبطلانه. وهذا معناه أنّ عدم الترجيح موقفٌ قد تترتّب عليه آثار، فلاحظ وانتبه.

الدهشة والوعي الاجتماعي و..

٤ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

كثيراً ما نصاب بالدهشة والصدمة نتيجة تصرّفٍ صدر من شخص لم نكن نتوقّع صدوره منه، فشخصٌ كنّا نأمل منه شيئاً، لكنّه صدمنا وأدهشنا بأنّه أقدم على خطوةٍ غير متوقّعة منه، وهذا أمرٌ كثيراً ما يحصل في حياتنا اليوميّة وعلاقاتنا الشخصيّة، وفي رؤيتنا الاجتماعية و.. للكثير من الناس.

هذه الدهشة يمكن تبريرها في بعض الحالات دون بعض، فإذا لم يكن هذا الفعل أو تلك الخطوة من هذا الصديق أو هذا الشخص متوقّعاً منه حقّاً، بحيث لم يكن منسجماً مع تاريخه وتجاربه السابقة معنا أو مع غيرنا، ففي هذه الحال يمكن تفسير هذه الدهشة وتبرير هذه الصدمة التي نحسّ بها.

أمّا إذا كنّا نرى هذا الشخص يتكرّر منه صدور مثل هذه الأفعال مع غيرنا على الأقلّ، فكلّما تكرّر منه ذلك لزم علينا أن نتوقّع منه هذا

التصرّف مرّةً جديدة حتى معنا، ومن ثمّ فإنّ هذه الدهشة تصبح بلا معنى، بل قد تعبّر عن ضعفٍ في وعينا الاجتماعي وخبرتنا الحياتيّة، وتوقّعاتنا المستقبليّة لتصرّفات الآخرين.

كثيراً ما يُصاب بالدهشة الخاطئة أولئك الأشخاص المثاليّون في حياتهم أو أولئك الذين ينظرون للآخرين بمثاليّة عالية، فيتوقّعون منهم أكثر مما يُتوقّع حقيقةً. إنّ الآخرين يعيشون في إطار المصالح والتوازنات في حياتهم، وعلينا أن نعي أنّ مصالحهم سيقدّمونها ـ عادةً ـ على أيّ شيء، وليس المهم هنا وجود تبرير أخلاقي عندك لهذا التصرّف منهم أو عدم وجود تبرير أخلاقي كذلك؛ بل المهم أنّه من المتوقّع صدور هذا الفعل منهم أو لا؛ لأنّ التبرير الأخلاقي ليس مسألةً عصيّة عندما يريد الإنسان أن يخلعه على تصرّفاته نتيجة العناوين الثانوية والمصالح العليا والضرورات القاهرة وغيرها، فليس كلّ فعلٍ غير أخلاقي عندك، هو كذلك في نظر صاحبه.

وينتج عن هذا كلّه، أنّه عندما نعي الآخرين جيّداً ونفهمهم داخل سياقهم، وندرك شبكة العلائق والمصالح المبرّرة أخلاقيّاً عندنا أو غير المبرّرة كذلك، فسوف نعي جيّداً أنّ فلاناً ما كان يفترض من الأصل الرهان عليه، حتى لا نخسر هذا الرهان، فالوعي الاجتماعي يدلّنا على أنّ هذا الرهان أفضل من ذاك، وأنّ رهاننا على فلان أو فلانة هو رهان خاطئ وناتج عن قلّة معرفة أو قلّة وعي بمسيرته الزمنيّة وأولويّاته وشبكة مصالحه وعلاقاته ونمط قراءته للأمور.

إذا أردت أن تسير في حياتك بخطواتٍ ثابتة قدر المستطاع، فلا تجعل رهانك على حصانٍ خاسر، لم تجده في لحظات الشدّة السابقة، بل كان يخذلك على الدوام، وعليك أن تعي الآخرين جيّداً في فضاءاتهم، وتتخلّى عن المثاليّة المفرطة في توقّعاتك منهم، ومن ثمّ عليك أن تتحرّر مسبقاً من كلّ حصانٍ تكون هذه حاله.

التنمّر في الحياة الدينيّة

٥ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

التنمّر أو الاستئساد ظاهرةٌ شائعة في الحياة الاجتماعيّة، يعاني منها التلامذة في المدارس والجامعات، كما يعاني منها الموظّفون في العمل، ويعاني منها أكثر من فرد من أفراد الأسرة. وهناك كتابات كثيرة حول هذا الموضوع بهدف دراسة أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها.

يبدو لي أنّ التنمّر ظاهرة موجودة أيضاً في الحياة الدينيّة، واليوم نحن نشاهدها بوضوح في أكثر من مرفق ومكان. أشخاصٌ ـ من رجال دين أو نافذين دينيين أو غيرهم ـ يتلذّذون بالقمع والتنكيل والإزعاج، وفرض الرهبة والتدخّل في كلّ شيء، والتحكّم في أعصاب الآخرين، وممارسة مختلف أشكال التهديد والوعيد، واستخدام الصياح والنبرات العاليّة في الخطاب، واللغة النقديّة الجارحة والساخرة، والرغبة في تدمير الآخرين وتحقيرهم، والكشف دوماً عن مواطن

ضعف شخصيّة فيهم، واقتحام أماكن نشاطهم لتشكيك الآخرين بهم، وممارسة إقصاء متعمّد ضدّهم بمحاولة عدم استقدامهم للحياة العامّة والدينيّة، والعمل دوماً على تخفيف وهج منجزات الآخرين بهدف تقديمها للرأي العام على أنّها سطحيّة أو غير مهمّة، ولا تحمل قيمةً أبداً، وأنّ ما يقوله المتنمّر هو حقيقة واضحة لا لُبس فيها ولا شكّ، وأنّها مما لا يختلف فيه اثنان ولا يتناطح فيه عَنزان، وغير ذلك مما يمارسه المتنمّرون في الحياة العامّة.

يقبع خلف التنمّر في كثير من الأحيان شعورٌ عميق بأزمة نفسيّة عند المتنمّر نفسه، فإما هو خائف قلق يهرب للأمام أو هو يفتقد إلى الإحساس بقوّته فيتكلّف لممارستها ضدّ الآخرين الذين يبدون مسالمين أو غير عنيفين، ولهذا يحبّ المتنمّر الاستفراد بضحاياه الضعفاء الذين يشعر بأنّهم ينكمشون بمجرّد ممارسته لأساليبه في التنمّر ضدّهم.

من الضروري اتخاذ مجموعة من الخطوات لمواجهة التنمّر في الحياة الدينيّة منها:

١. الدفع بالمتنمّر لينفذ أقصى ما يمكنه من تهديد، قل له: افعل ما تشاء ونفّذ كلّ تهديداتك، فإنني لا أخشاك، وهذا لكي نثبت له أنّ كلّ تهديداته عاصفة في فنجان، والجهد لإظهار كلّ ما توعّد به على أنّه أمرٌ غير مؤثّر فينا. بل قد يكون مفخرة

لنا. وبعبارة أخرى: يجب إيصال المتنمّر إلى مرحلة يشعر فيها بأنّنا نقوى ـ ولو داخل جماعاتنا ـ نتيجة تنمّره، وأنّه عاجز عن إخافتنا، وأنّنا نتقبّل بكلّ رحابة صدر التضحية ببعض الأمور ولحوق الخسارة بنا على بعض الصعد، وأنّ هذا شيء نتوقّعه ولا نتألّم منه.

٢. الإعلان بصراحة أنّنا نعارضه ونستنكر فعله، ونرفضه ولن نرضخ له، لكن التعبير السجالي والعنيف عن هذه القضية يمكنه أن يقدّم للمتنمّرين مادّةً دسمة؛ لأنّ الكثير منهم يعتاش على توافه الأمور وعلى المساجلات والمناقشات الطويلة التي لا طائل من ورائها، ويراهنون على وقوعنا في أخطاء أخلاقيّة على المستوى الشعبي العام.

٣. أكبر تهديد يواجهه المتنمّر ويُشعره بالإحباط أن تتقدّم أنت في عملك ونشاطك رغم كلّ تنمّره، فلا توقف أيّ مشروع يدرّ عليك الخير والربح والنفع، ولا تأبه لكلّ تنمّره، فعندما يراك تتقدّم بهدوء رغم كلّ التنمّر يزداد إحباطاً. أمّا إذا انشغلت به فقط فهذا قد يكون من دواعي سروره، فأظهر له أنّك أكبر منه، وأنّ رياحه العاتية لا تؤثر في استمراريّة عملك ومشاريعك.

٤. من الضروري للغاية أن نظهر للمتنمّر دوماً أنّ كلامه مشكوكٌ

فيه، وأنّه ليس أمراً مسلّماً، وأنّ مسلّماته التي يريد فرضها علينا غير مسلّمة، وأنّ عليه هو أن يدافع عنها، وليس علينا أن ندافع عن شكوكنا تجاهها، لا تسمح للمتنمّر في الحياة الدينيّة أن يسائلك أنت فقط، بل اجعله هو يخضع للمساءلة ويقدّم الأدلّة على دعاويه، هذا موضوع مهمّ جداً، ولكنّه يحتاج لحنكة عالية في إدارة الأزمة. **دائماً اجعل المتنمّر مشغولاً بالدفاع عن مسلّماته التي يتنمّر بها، فأطلق أنت نقطة المركز واجعله يدور حولك، فأنت الحدث وليس هو**، ولا تسمح له بأن يكون هو المركز وأنت تدور حوله، وهذا أمرٌ ممكن في بعض الأحيان لا في جميع الأحيان.

أكتفي بهذا القدر، وأؤكّد على أنّ حديثي عن التنمّر الذي هو نوع من العدوان، وليس عن مطلق الاختلاف في وجهات النظر، وفي الختام، اعلم أنّ الكثير من المتنمّرين لا يعبّرون سوى عن نمور من ورق.

الابتسامة ونشر المحبّة والطمأنينة

٦ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

الابتسامة تعبيرٌ رفيع عن رغبة الفرد في نشر المحبّة والطمأنينة، وإرسال رسائل مودّة للآخرين، وقد جاء في الرواية عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «تبسّمك في وجه أخيك صدقة»[(١)]، وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرف القذى عنه حسنة، وما عُبد الله بشيء أحبّ إلى الله من إدخال السرور على المؤمن»[(٢)].

إنّ التبسّم صدقة يتقدّم بها الأخ لأخيه؛ لأنّها تحوي عطاءً ومودّةً ورسائل مليئة بالطاقة الإيجابيّة التي ترسلها للطرف الآخر. نحن بحاجة اليوم إلى المتديّن المبتسم، إذا رأيتَه في البيت فهو يرسل ابتساماته لأفراد الأسرة، وليس قائداً حربيّاً في بيته يُلحق بهم الخوف والرعب ليُثبت ذكوريّته، وإذا رأيته في الطريق أو في العمل

(١) ميزان الحكمة ٢: ١٥٩٧؛ وصحيح ابن حبان ٢: ٢٢١.
(٢) الكافي ٢: ١٨٨؛ وانظر: الشيخ الصدوق، مصادقة الإخوان: ٥٢.

أو في الجامعة أو المدرسة أو المعهد أو المسجد أو مواضع العبادة والطقوس.. تجده مبتسماً في وجوه الآخرين، يمنحهم طمأنينته، وكأنّه يقول لهم بابتسامته: إنّني صديق لكم، ومحبّ، ومرحِّب بكم، ونحن إخوة. إنّه يعلن علاقة السلام مع غيره، كما يعلنها عندما يقول لهم: السلام عليكم.

بعضُ الناس اليوم يظنّ أنّ التديّن عبوسٌ وتقطيب حاجبين وصمت ووجه مكفهر، وأنّ هذه هي الجديّة والتقوى والرزانة والوقار.. أبداً، فهذا بخلٌ على الآخرين بالابتسامة.. تفضّلْ عليهم بشيءٍ من شدّ عضلات وجهك، فإنّ الأمر لا يكلّفك شيئاً، ولن يُسقط من قيمتك وهيبتك ومكانتك، بل سيجلب لك المحبّة والرسائل الإيجابيّة من الآخرين، فلا تقمع الآخرين بعبوسك أو تفرض نفسك عليهم بتصنّعك، فالعبوس له أماكنه الاستثنائيّة، وعلاقة المؤمن بالمؤمن، وعلاقة أبناء البلد الواحد، والأسرة الواحدة، وزملاء العمل، والأستاذ والتلميذ، والمدير والموظفين، ومن جمعهم سفر واحد وطريق واحد.. هي علاقة أخوّة وصداقة.

إذا لم يكن في جيبك مالٌ لتتصدّق به على الآخرين، فإنّ ابتسامتك هذه صدقة، وكلّ معروف صدقة كما جاء في الحديث الصحيح[1].

---

(١) الكافي ٤: ٢٦، ٢٧؛ ودعائم الإسلام ٢: ٣٢٠؛ والخصال: ١٣٤؛ وكتاب من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٥؛ وتحف العقول: ٣٨٠؛ والاختصاص: ٢٤٠؛ والأمالي: ٤٥٨ و...

ما أحوجنا إلى التديّن المبتسم المحبّ الذي ينشر ثقافة الألفة والقرب بدل ثقافة الفرقة والبعد، فقد جاء في الحديث النبوي: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وتوطأ رحالهم»[1].

(١) الكافي ٢: ١٠٢؛ والطبراني، المعجم الأوسط ١: ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

البدعة اعتبار.. أو ظاهرة اجتماعيّة دينيّة

٧ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

يبدو أنّ بين العلماء المسلمين قدراً من الاختلاف في فهم معنى البدعة ثبوتاً، وسوف أتحدّث عن نمطين من الفهم. والقضيّة فيها الكثير من التفصيل والتحليل، لكن سأقتصر على هذين النمطين:

النمط الأوّل: البدعة لها صلة بنوع من الاعتبار النفسي الداخلي في الإنسان، أو الاعتبار المعلَن، وليست لها صلة بالسلوك الخارجي العملي، فأنت تبتدع عندما تنسب في نفسك للدين شيئاً ليس من الدين أو عندما تنسب علناً للدين شيئاً ليس هو منه في عقيدتك ومعرفتك، فتقول: إنّ الله أمر بهذه الصلاة أو تلك، فتعتبر ذلك من الدين رغم أنّه ليس من الدين في شيء، مع علمك بأنّه ليس من الدين في شيء.

فالاعتبار النفسي المخالف للواقع من وجهة نظر صاحبه، والكشف عن هذا الاعتبار، هو ابتداع في الدين، أمّا إذا مارست أيّ فعل ولكن لم تكن تعتقد أنّه من الدين ولم تقل بأنّه من الدين، فهذا

ليس ابتداعاً.

النمط الثاني: البدعة ليست على علاقة بما تعتقد أنتَ به، ولا صلة لها بكونك تنسب إلى الدين نفسه شيئاً ليس منه، سواء كنت تعتقد أنّه ليس منه أم لم تكن تعتقد ذلك، فهذا ليس بدعة، بل هو تشريع محرّم. أمّا البدعة فهي أن تقوم أنت بخلق ظاهرة اجتماعيّة دينيّة يتلقّاها الناس على أنّها أمر ديني، ويفهمها الشخص البعيد الخارج من هذا الدين على أنّها جزء من دين المسلمين، سواء كنت تعتقد أنت بأنّها من الدين أو لا، وسواء كنت تنويها بقصد كونها من الدين أو بقصد رجاء المطلوبيّة أو لا، فليس المهم ماذا أقصد، وماذا يجول في داخلي عندما أدعو لهذه البدعة أو أمارسها، بل المهم الواقع العملي الناتج عن الدعوة إليها أو ممارستها.

وفقاً للنمط الأوّل من تفسير البدعة فإنّ الفرار من الابتداع يكون بتغيير النيّة، وبتغيير بيانك للبدعة من كونها جزءاً من الدين إلى كونها ليست كذلك، **أمّا وفقاً للنمط الثاني من تفسير البدعة، فإنّ الفرار من الابتداع يكون بتغيير الواقع الاجتماعي، إمّا بإلغاء هذه الظاهرة الاجتماعيّة أو بإعادة إنتاجها اجتماعيّاً بطريقة لا تنتسب معها للدين في الرأي العام.**

وبين هذين النوعين من التفسير الكثيرُ من الفرق والبون الشاسع، أحببت هنا فقط أن أقدّم إضاءة على هذا الفرق في الفهم. وقد سبق

لي أن تعرّضت لبعض ما يتصل بالبدعة في بعض مقالاتي المتواضعة، وكذلك في كتابي: (فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٤١١ ـ ٤٣١)، وآمل أن نوفّق جميعاً لدراسات جادّة، أكثر سعةً وعمقاً وشموليّة لفكرة البدعة في الدين، تبتعد عن الإفراط والتفريط في الفهم.

ابن إدريس الحلّي: إيّاك والتقليد، والجلوس تحت منبر شخص واحد

٨ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

يحبّ الكثير منّا أُستاذاً أو مفكّراً أو خطيباً أو معلّماً أو واعظاً أو.. فيدمن الاستماع له أو قراءة كتبه أو الاستزادة من علمه، وهذا شيء طبيعي يبشّر بخير، **لكنّ المشكلة تقع عندما يكون هذا الإدمان موجباً لدخول صاحبه في شرنقة، بحيث يمنعه ذلك من الاطّلاع على ما عند سائر الكتّاب والأساتذة والخطباء وغيرهم**، فتأسره شخصيّة رجل واحد، ويدخل في الصندوق والتقليد السلبي دون أن ينتبه.

إنّ تفرّغ الطالب للدرس عند أستاذ واحد لسنواتٍ، وعدم مطالعته أو كسبه المعرفة سوى من قناة أستاذ واحد أو رمزٍ فكريّ واحد، هو ـ عادةً ـ ضررٌ عظيم بالغ، بإمكانه أن يحرمه من الكثير من الفوائد والأفكار التي تكون عند سائر الأساتذة والعلماء، وفي الوقت عينه من الممكن أن يُعمي بصره عن رؤية أخطاء هذا الأستاذ.

يقول الشيخ محمّد بن إدريس الحلي (٥٩٨هـ)، وهو يُدوّن

الصفحات الأخيرة من كتابه المعروف مستطرفات السرائر، وأنقل النصّ بحرفيّته كما هو؛ لأهميّته؛ لأنّ ابن إدريس معروف بنزعته النقديّة التي هوجم عليها، رغم أنّه اليوم **مقدّسٌ كبير!** ومعروفٌ بتذمّره من التقليد السلبي الذي بات اليوم مخدِّراً نُدمنه مع الأسف، وأعتقد أنّ هذا النصّ وأمثاله لابدّ أن يوضع على أبواب الحوزات العلميّة والجامعات العصريّة ليراه الطالب ويعيه.

يقول ابن إدريس الحلّي: (إلى هيهنا يحسن الانقطاع، ويذعن بالتوبة والإقلاع من زلل إن كان فيه، أو خلل، ونقسم بالله تعالى على من تأمّله أن لا يقلّدنا في شيء منه، بل ينظر في كلّ شيء منه نظر المستفتح المبتدي، مطرحاً للأهواء المزينة للباطل بزينة الحقّ، وحبّ المنشي والتقليد، فداؤهما لا يحسن علاجه جالينوس، وتعظيم الكبراء وتقليد الأسلاف والأنس بما لا يَعرف الإنسان غيرَه يحتاج إلى علاج شديد، وقد قال الخليل بن أحمد العروضي (رحمه الله): الإنسان لا يعرف خطأ معلِّمه حتى يجالس غيره، فالعاقل يكون غرضه الوصول إلى الحقّ من طريقه، والظفر به من وجهه وتحقيقه، ولا يكون غرضه نصرة الرجال، فإنّ الذي (الذين) ينحون هذا النحو، قد خسروا ما ربحه المقلّد من الراحة والدعة، ولم يسلموا من هجنة التقليد، وفقد الثقة بهم، فهم لذلك أسوء حالاً من المصرّح بالتقليد، وبئست الحال حال من أهمل دينه، وشغل معظم دهره في نصرة غيره، لا في طلب الحقّ ومعرفته)[١].

(١) مستطرفات السرائر: ٦٥١ ـ ٦٥٢.

جاهل فأفكاره خاطئة، أو أفكاره واهية فهو جاهل؟

١٠ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

يستعين بعض الناس لمواجهة خصومهم في الساحة الفكريّة والثقافيّة والاجتماعية بالتعرّض لهم قبل التعرّض لأفكارهم، فهم لا يواجهون الفكرة ويناقشونها في البداية، بل يركّزون أوّلاً على مواجهة صاحب الفكرة؛ لتجريده من الإمكانات الشخصيّة التي تسمح له بطرح فكرةٍ من هذا القبيل، ثم بعد ذلك قد يناقشون الفكرة وقد لا يناقشونها أصلاً، معتمدين في توهينها على توهين صاحبها.

هذا المنهج من قواعد علم مواجهة التغيير والتجديد في عصرنا الحاضر، وتجده في فضاءات ثقافيّة متعددّة أيضاً خارج هذا الإطار الديني.

أوّل شيء يقوله هؤلاء للناس هو: من هو المتكلّم؟ هل يحقّ له الكلام أو لا؟ ما هي صفاته الأخلاقيّة؟ وما هي مكانته العلميّة؟ وعندما نأتي إلى مكانته العلميّة نقول: هل اعترف به أحد؟ وطبعاً

هذا (الأحد) هو خصومه المختلفون معه في الفكر مسبقاً! هل لديه شهادات؟ هل.. هل.. هل..؟ ولا يقولون: هل فكرته صحيحة؟ هل عنده دليل؟ أيّها الناس انظروا في دليله وناقشوا دليله..

تتكرّر ممارسة هذه العمليّة عشرات المرات وبحقّ عشرات الأشخاص في مختلف الفضاءات الدينية الثقافيّة وفقاً لمتابعاتي المحدودة، ولا تقتصر على فريق دون فريق، بل وجدتها موجودة عند فرقاء متعدّدين، وإن كان أكثر من يستخدمها هم الذين يقفون في موقع السلطة الدينية القائمة والمحيطون بها والمدافعون عنها.

يُدمن هؤلاء الناس إضعاف الخصم الثقافي بشخصه مقدّمةً لتحييد فكره، ثم يتعاملون مع فكره من موقع أنّه فكرُ شخصٍ ضعيف هزيل لا خبرة له ولا معرفة، وهم يُقنعون الناس بهذه الطريقة، ومن ثمّ يوحون لهم بأنّ رموزهم هم لا يمكن النقاش في إثبات أصل خبرويّتهم، لكن نفس رموزهم لو أحبّ أحدٌ منهم في يوم من الأيام أن ينشقّ عن الطريق وينتهج نهجاً معارضاً أو تغييريّاً فسوف نجدهم وبسرعة يعيدون حساب الأمور، ليشكّكوا في أصل علمه أيضاً، وفي خبرويّته، وفي تاريخه الثقافي والمعرفي، وفي الشهادات التي يملكها!

أنا لا أتكلّم عن خيال، بل عن تجارب عشناها مكرّرةً في أكثر من موقع، وعلى أكثر من مستوى، وبإمكان أيّ شخص أن يراجع

أرشيف السجالات الفكريّة خلال العقود الأخيرة، بل خلال قرون، ليتأكّد ممّا نقول.

إنّ بعض خلفيّات هذه الطريقة التي يستخدمها هؤلاء في أوّل مواجهة لهم مع أيّ آخر مختلف معهم، سواء أحسّوا بهذه الخلفيات أم لا، هو:

أ. ليس المهم البحث في الأفكار، ولا نريد للناس أن تنظر في فكرنا وفكر الطرف الآخر لتقوم هي بنفسها بالتقويم، بل الأفضل حجب النقاش عنهم حتى الإمكان والتركيز على التخويف من الرجال أنفسهم.

ب. إنّهم يرون أنّ الناس أميّون، ولهذا لا ينبغي إقحامهم في الموضوع، وعلينا أن نجنّبهم أصل الاتصال والتحاثّ بهؤلاء الأشخاص، فهذه أفضل طريق لخلق مناعة في عقولهم من سماع أفكار الآخرين.

ج. إنّنا أشبه بالأوصياء على عقول الخلق، وهذه الوصاية تخوّلنا أن نحجب عنهم ما نريد ونسمح لهم بما نريد، فالخلق كلّهم جهّال إلا نحن، ولهذا يجب منعهم من النقاش معنا ـ نحن نخبة النخبة ـ فإنّ الرادّ علينا كالرادّ على الله، مع تفسير أيّ نقاش أو مداخلة أو حوار أو سؤال نقدي على أنّه ردٌّ على الله! نحن في الحقيقة الله عينه في عالم التشريع والتفكير! وكلّ من يريد أن يناقشنا

فليعلَم بأنّه يناقش الله تعالى في عرشه! توظيفٌ موسّع لمفهوم بسيط هو في أصله صحيح. إنّها سياسة تخويف تجعل عقول الناس البسطاء أنقياء النفوس مرتعشةً من أن تفكّر في إمكانيّة خطئهم في كلّ رؤية يرونها أو كلمةٍ يتلفّظون بها.

د. لا يتكلّم في القضايا التخصصيّة إلا المتخصّص، وهذه كلمة حقّ يتمّ استخدامها أحياناً من قبل بعضهم في غير موضعها، فقد تناقش طبيباً في قضيّة لا علاقة لها بالطب، فهل يقول لك بأنّك تناقشني في تخصّصي؟ فلماذا لا يحقّ لي أن أناقش هؤلاء في غير الجوانب التخصّصيّة، كأن أناقشهم في أسلوبهم، أو في طريقة تعبيرهم، أو في موقفٍ سياسي أو اجتماعيّ ميدانيّ، أو قضيّة تتصل بإدارتهم لهذا التفصيل أو ذاك، فهل هذه تُدرس في الفقه والأصول؟ هلّا أرشدونا أين تُدرس تفاصيل هذه الأمور في أصول الفقه: هل في مباحث الألفاظ أو الحجج أو الأصول العمليّة أو التعارض؟

فلنحترم عقول الناس، ولندخل في حوار مع عقولهم، لإقناعهم بما نراه صواباً، بدل أن نسعى بأيّ طريقة في عقم العقول وحرمانها من ممارسة دورها في التفكير. اليوم باتت الحرب مع عقول الناس خاسرة، إلا إذا فرّغتهم من عقولهم بسياسة التجهيل! وأجد نفسي

متأكّداً بأنّ تيارات كبيرة في العقل الديني ما تزال غير مدركة لهذه الحقيقة أو أنّها تسعى ـ مع الأسف ـ مفتخرةً لممارسة سياسة التجهيل، والنتيجة لن تكون سوى أحد أمرين: إمّا تديّن مفرّغ من كلّ وعي أو لادينيّة مفرطة.

تورّم علم أصول الفقه وزوائده، معركة رأي

١١ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

تجري في هذه الفترة معركة رأي في أروقة الحوزة العلميّة (الإيرانيّة) في مدينة قم، حول موضوع (زوائد علم أصول الفقه)، حيث طرح بعض فضلاء الحوزة العلميّة سلسلة من اللقاءات والمناقشات التي تتصل بهذا الموضوع، الأمر الذي أثار ردود أفعال ما تزال تتتالى أصداؤها إلى اليوم.

يطلق القائلون بالتضخّم السلبي لعلم أصول الفقه مصطلح: زوائد علم الأصول، وهو ما كان يعبّر عنه العلامة محمد مهدي شمس الدين بظاهرة تورّم علم الأصول، إذ يوحي لك التورّم أنّ البدن ممتلئ وتظنّه سميناً وفي حالة من العافية، لكنّه تعاظمٌ مَرَضِيٌّ وغير صحّي.

ما أُريد أن أعلّق به هنا شيء مختصر؛ لأنّ المجال لا يسع للكلام، وسبق أن تحدثنا في مواضع أُخر عن هذا الأمر في كتابَيّ المتواضعين: (دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر، وإضاءات في

الفكر والدين والاجتماع):

١. تتكرّر الوقائع كلّ مرّة، لكنّها هذه المرّة تبعث على شيء من الاستغراب، وذلك أنّ بعض المعترضين على طرح فكرة زوائد علم الأصول، يُعتبرون وجوهاً في التجديد الحوزويّ، وممّن تناولوا العديد من الموضوعات الجديدة بروحيّة ممتازة، لكن مع ذلك وجدنا هذا الفريق الذي يُتوقّع منه أن يتناول هذه القضيّة بروح نقاشية هادئة، يشنّ هجوماً عنيفاً، ويتهم القائلين بزوائد علم الأصول بالجهل وعدم الدراية بهذا العلم، إلى سلسلة من التوصيفات المؤسفة التي نكرّرها كلّ مرة في حواراتنا وخلافاتنا.

إنّ موضوع زوائد علم الأصول مطروحٌ منذ أكثر من قرن من الزمان، وتحدّث عنه أو أشار إليه الكثيرون كالإمام الخميني، والعلامة الطباطبائي، والسيد محسن الأمين، والشيخ إبراهيم الجنّاتي، والسيّد محمد حسين فضل الله، والسيد علي الخامنئي، والشيخ محمّد مهدي شمس الدين، والشيخ محمد إسحاق الفياض، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي، والشيخ محمد جواد مغنيّة، والسيد عبد الأعلى السبزواري، وغيرهم كثير، فلماذا هذه الطريقة في تناول موضوع خلافي لا يُشكّل خطراً لا على الهويّة الإسلاميّة ولا العقديّة ولا المذهبية ولا الوطنيّة ولا غير ذلك؟! إذا كانت عندنا مشكلة تراكميّة مع أصحاب الطرح، فلا يُستحسن بنا أن نظلم الطرح نفسه ونجهضه نتيجة ذلك.

٢. لست مصرّاً على توصيف زوائد علم الأصول أو تورّم هذا العلم، ولنفرض أنّ ما يُسمّى بزوائد علم الأصول له ثمرة عمليّة معيّنة في مكانٍ ما، لكن توجد خاصية لعلم الأصول، وهو أنّه علم منهج البحث في الاجتهاد الشرعي، وهذا يعني أنّ قضاياه لو كانت تتصل بحالات مورديّة محدودة ـ أي كانت قليلة الثمرة بالتعبير الشائع ـ لكان يفترض أن تُبحث في طيّ التعرّض لتلك الموارد المحدودة، حفظاً للموضوع وللوقت معاً، فلماذا نضطرّ لاستجلاب موضوعٍ يتمّ توظيفه في مسألتين أو ثلاث مسائل في الفقه، إلى أروقة علمٍ منهجي يفترض أن يدرسه كلّ الطلاب والأساتذة بالتفصيل وبشكلٍ متواصل ومتكرّر؟

أعتقد أنّ هذا المقدار لوحده كافٍ في ضرورة حذف هذه الأبحاث من علم الأصول، وإن لم تُحذف من الدرس الديني عموماً.

مثلاً: لنفرض أنّ الاستصحاب التعليقي أو مسألة المشتقّ أو قضيّة المعنى الحرفي، لها ثمرة في موضعين أو ثلاثة من علم الفقه، هل يجب أن أجعلها قضيّة كلّية عامة يجري تكرار البحث فيها عشرات المرات، أو يفترض أن أتركها لتلك الموارد الجزئيّة؟ فمن يريد أن يبحث تلك الموارد لا بأس عليه أن يتعرّض ـ ولو استطراداً ـ لهذه القاعدة، وأيّ خلل في هذا وفقاً لمنطق الترجيح والأولويّات؟ فمحذور الاستطراد أخفّ من محذور التكرار، بحيث نُلزم جميع الطلاب والأساتذة

ببحث موضوع قد لا يدخل في نطاق اهتماماتهم التخصصيّة، وليس كلّ الحوزويّين معنيين بأن يصبحوا مراجع تقليد لكي يُفتوا في كلّ الأمور.

٣. دعونا لا نتكلّم فقط عن زوائد علم الأصول، بل نتكلّم عن نواقص هذا العلم، ثم نجري محاسبات في منطق الأولويّات، فأيّهما أولى بالبحث اليوم: الفهم التاريخي لنصوص القرآن والسنّة ـ وهو موضوع مُثار اليوم بقوّة في الساحة الإسلاميّة والحوزويّة معاً ـ أو مسألة المشتقّ؟ فلماذا يتمّ تجاهل بحث واسع ومنهجي مثل تاريخية النصّ وتأثيرات قواعد التاريخية على عشرات بل مئات النتائج الفقهيّة، فيما نشغل أنفسنا بمسألة حقيقة الوضع والواضع في اللغة، ومسألة الوضع العام والموضوع له الخاصّ أو العكس في مباحث الألفاظ؟ لنفرض أنّ هذه المسألة لها ثمرة، لكن أيّهما أولى اليوم بإعطائه المزيد من الوقت: مسألة الوضع أو مسألة تاريخيّة تفسير النصوص؟ وأيّهما أكثر ثمرةً؟ بل أيّهما أولى: نظريّة المصلحة أو نظريّات مثل: المقاصد والعُرف والثابت والمتغيّر وغيرها مما يُطرح اليوم أو قضيّة مثل بحث الشرط المتأخّر؟! لا أعني تبنّي هذه النظريّات، بل أقصد دراستها واتخاذ موقف علمي في حقّها.

إذن، فلست أمام زوائد علم الأصول فقط، بل أنا أمام موازنة

في الأولويّات الزمنيّة للدرس الأصولي، ابحثوا في مسألة الوضع للمركّبات، لكن أعطوها ما تستحقّه من الوقت، وأعطوا في مقابلها ما يستحقّه موضوع مثل نقد المناهج الهرمنوطيقيّة المعاصرة التي تنسف الكثير من البنيات التحتيّة لمباحث الألفاظ في علم أصول الفقه. إنّ هذه الموضوعات لا تبحث مستقلّةً عن الدرس الأصولي العام، بحيث يكتب فيها كاتبٌ هنا أو هناك، بل المرجوّ هو أن نبحثها داخل علم الأصول وفي مختلف أبحاث الخارج، وأن تدخل في المتون والكتب الدراسيّة لمرحلة السطوح العليا أيضاً؛ لكي تنمو ونتخذ منها مواقف ناضجة جداً إن شاء الله تعالى.

ختاماً، نسأل الله تعالى لهذا الحوار القائم اليوم أن يثري ساحتنا الإسلاميّة بالكثير من الأفكار الجديدة، ويفتح عيون طلاب الحوزات العلميّة على أفقٍ أكثر سعة ورحابة، وعلى وعيٍ أكبر بقضايا العصر والفكر والثقافة، وأن لا يُلْحِقَ مثلُ هذا الحوار الضررَ بعلاقاتنا الأخويّة والإيمانيّة فيما بيننا. وأتمنّى ـ بوصفي طالباً من طلاب العلوم الدينيّة ـ على الإخوة في سلسلة لقاءات زوائد علم الأصول أن يواصلوا طرحهم لهذا الموضوع، ساعين دوماً لتقديم الأفكار بطريقة معمّقة ومتعالية وغير مستفزّة للآخرين، وأعتقد بأنّ أيّ إيحاء بأنّ علم الأصول هو علم سنّي سيكون مستفزّاً في هذه الفترة الطائفيّة الحسّاسة التي نعيشها، كما أنّ وضع هذا الحوار في سياق صراع إخباري ـ أصولي، سيؤدي إلى ضرر واستفزاز أيضاً، من وجهة نظري المتواضعة.

المرأة الأرملة وقانون السجن المؤبّد!

١٢ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

ما زالت مناطق عدّة من العالم الإسلامي تتعامل مع المرأة المتوفّى زوجها على أنّها بضاعة ما تزال مسجّلة في حسابات زوجها المتوفّى، فمن الصعب عليها أن تتزوّج غيره، ويجب عليها أن تبقى رهينةً لتلك الزيجة التي عقدتها في حياتها، حتى تنتقل إلى قبرها وتذهب إلى آخرتها.

لا يوجد شيء في الشرع والقانون من هذا النوع، لكنّها الأعراف التي تفرض وضعاً من هذا القبيل، وتحاول أن تسمّيه وفاءً وإخلاصاً، بل وقد تتعامل مع هذه المرأة إذا فكّرت في الزواج بنظرةٍ سلبيّة، دون أن تأبه هذه الأعراف لحاجات هذه المرأة الجسديّة والنفسيّة والروحيّة، خاصّةً لو رحل زوجها وهي في مقتبل العمر والشباب.

قلّما تسمع أحداً يحارب هذه العادة أو الثقافة أو العرف في الأماكن التي تهيمن فيها هذه الأعراف على الناس، وقد تراجعت

هذه الأعراف كثيراً في العقود الأخيرة، لكن لم يكن سبب تراجعها هو الوعي الديني عند الناس، ولا أظنّ أنّ سببه سعي الخطاب الديني لمواجهة الظواهر الاجتماعيّة غير الصالحة، رغم أنّ الفقه الإسلامي لا يؤمن بهذا الإجحاف أبداً، إنّما حصل ذلك نتيجة الحركة النسويّة ـ الواعية أو العفويّة ـ التي تنتشر في العالم الإسلامي، بتأثيرٍ من الثقافة الغربيّة المعاصرة.

إذا امتنعت هذه المرأة عن الارتباط بأيّ رجل آخر بعد زوجها الراحل، حبّاً لزوجها وتعبيراً عن الوفاء له، فهذا حقّها وشأنها، وهو ما نحترمها عليه ونقدّره فيها، لكن المهم أن لا يكون سبب امتناعها هو الحظر الاجتماعي الضاغط، ويصبح من واجبنا جميعاً ـ في سياق نشر الوعي العام ـ أن نعينها على مواجهة هذا الحظر الاجتماعي؛ لأنّ هذا قد يصدق عليه عنوان معونة الآخرين ومساعدتهم، ورفع الظلم والحيف والجور عنهم، وهو عنوان مطلوب في الشرع ومرغوب إليه في الأخلاق والقيم.

في ظلّ نهر الدم الجاري اليوم في العالم الإسلامي، تصبح ظاهرة الأرامل واليتامى أشبه بالقنابل الموقوتة التي قد تنفجر في أيّ وقت، لتشكّل أزمةً اجتماعيّة وأخلاقيّة وأمنيّة حادّة، بل قد حصل ذلك في غير مكان. **ومن يريد أن يحصّن المجتمعات من الانفجارات الاجتماعيّة والانهيارات الأخلاقيّة والتوتر الأمني نتيجة ارتفاع معدّلات الجرائم، لا يكفيه أن يقدّم الأموال للأرامل واليتامى؛ لأنّ هؤلاء ليسوا مجرّد**

أجساد تحتاج للأكل والشرب والملبس والمسكن فقط، بل أرواح لها حاجاتها النفسيّة والروحيّة والاجتماعيّة والعلائقيّة التي علينا المساعدة لتأمينها في سياق نشر ثقافة وعي صالحة وصحيّة.

عندما تتحدّث النصوص الدينيّة عن الترغيب في المسح على رأس اليتيم، فهذا يعني أنّ اليتيم لا يحتاج إلى المال فقط، بل يحتاج للعطف والحنان أيضاً، فله حاجات نفسيّة يجب الاستجابة لها، حتى لا يتحوّل نتيجة الجوع العاطفي إلى خطر يُحدق بالمجتمع عندما يكبر، أو مجرم يريد الانتقام والثأر مما فقده في صغره.

لا يقلّ هذا الموضوع أهميّةً عن مسألة غلاء المهور التي تعيق الكثير من الزيجات اليوم، وتعقّد إمكانيّة بناء الأسرة، وتخلّف أزماتٍ حادّة عند الانفصال، فكلّ الأعراف والثقافات التي تعيق حصول هذه الزيجات، تساهم ـ من حيث شعرت أو لم تشعر ـ في نشر التوتر في المجتمع، ولا تعمل على نشر الاستقرار فيه.

في الذكرى السنويّة لرحيل العلامة الطباطبائي، أين نحن؟

١٤ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

يصادف هذا اليوم الذكرى الخامسة والثلاثين لرحيل المفسّر القدير والفيلسوف الكبير العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمه الله). يومٌ يستحقّ التوقّف عنده ونحن على أعتاب اليوم العالمي للفلسفة.

لن أتوقّف عند الإثراء والتبجيل على جهود العلامة الطباطبائي، فهي أشهر من نار على علم، لكن أُريد اغتنام الفرصة للإشارة إلى بعض النقاط السريعة:

١. مع الأسف الشديد، وإلى اليوم، لم يتم ـ في حدود معلوماتي ـ تحقيق وإعادة طباعة المجموعة الكاملة من أعمال العلامة الطباطبائي على غرار ما فُعل مع علماء آخرين، وهذا تقصير كبير من قبلنا في حقّ هذا الأستاذ العيلم.

٢. أخبرني ـ منذ سنوات ـ بعض العلماء الذين كُلّفوا مدّةً بمتابعة تراث العلامة الطباطبائي، ومنهم سماحة الشيخ الدكتور محمد علي مهدوي راد، أنّ هناك مجموعة غير قليلة من أعمال العلامة الطباطبائي لم ترَ النورَ بعد، وأنّ هناك نسخة من تفسير الميزان أجرى عليها الطباطبائي قبل وفاته الكثير من التعديلات والتغييرات والحذف والزيادة خاصّة في المجلّدات الأخيرة، ولكنّها مع الأسف يبدو لم ترَ النور بعد، بل أخبرني بعض الأعزّة عن بعض تلامذة الطباطبائي أنّ تعليقات الطباطبائي المنشورة على بحار الأنوار ليست كاملة، فهناك تعليقات أخرى أيضاً ليست قليلة لم ينشرها (رحمه الله) إثر الضجّة التي تسبّبت بها تعليقاته التي نشرها في حينه، وأنّ هذه التعليقات غير المنشورة موجودةٌ اليوم عند أحد تلامذته على ما قيل، وهذا كلّه يضاعف المسؤوليّة علينا جميعاً للتعاضد في خدمة هذا التراث الكبير، وإخراجه إلى النور ـ وبأكثر من لغة ـ بأفضل حلّة وبكلّ الوسائل المتاحة.

٣. يبدو أنّ تبجيل الطباطبائي والتعريف به قد دخل في حالة من المبالغة في بعض الأوساط، حتى كأنّه لا يوجد مفسّر للقرآن غيره، ولم تعرف الفلسفة الإسلاميّة المعاصرة عَلَماً مثله، وقد كُتبت الكثير من الرسائل الحوزوية والجامعية حوله بما

فاق الحدّ ودخل في سياق التكرار، ولهذا فنحن بحاجة أيضاً إلى دراسات من نوعٍ آخر تتعلّق بالطباطبائي، مثل الدراسات المقارنة الجادّة، للكشف عن ميزاته ونقاط قوّته وضعفه، فالمقارنة بين تفسير الميزان وتفسير المنار مهمّة جداً وستوضح للقرّاء الكثير من الحقائق عن هذين التفسيرين معاً، وكذلك الكشف عن طبيعة ومستوى دقّة الطباطبائي في معلوماته عن الفلسفة الغربيّة، وهل حقّاً كان خبيراً بها أو لا؟ وإلى أيّ حد؟ هل حقّاً طبّق الطباطبائي نظريّة تفسير القرآن بالقرآن في تفسير الميزان أو أنّه تأثر كثيراً بالروايات في ممارسة تفسير النصوص القرآنيّة مما ورّطته في تأويلات غير مستساغة لها؟ إلى غير ذلك من الموضوعات الكثيرة.

هناك العشرات من هذه الموضوعات التي تحتاج إلى دراسات محايدة ولا تهدف التبجيل فقط، بل تريد اكتشاف الحقيقة التاريخيّة في تطوّر معرفتنا وعلومنا في العصر الحديث. نتمنّى أن يُصار إلى قراءة الطباطبائي بعيون مقارنة من جهة، وبعيون نقديّة إيجابيّة من جهة ثانية، إضافة إلى العيون المؤيّدة والشارحة والمناصرة التي لا نريد حذفها من حلبة التنافس، بل هي صحيحة في نفسها أيضاً.

لا نريد ممارسة قراءات نقديّة للعلامة الطباطبائي من منطلق الخصومة، كما يفعل بعض الإخباريّين المعاصرين وبعض التفكيكيّين الخراسانيّين اليوم، بل نريد النقد من موقع المراكمة المعرفيّة

والاستجابة الطبيعيّة للنموّ العلمي.

٤. حدّثني بعض من أشرت إليهم أعلاه، أنّ هناك صندوقاً مليئاً بالرسائل كان موجوداً عند العلامة الطباطبائي، وهو الآن متوفّر في يد أحد مراجع التقليد، وربما يكون قد انتقل من يده، ويتضمّن هذا الصندوق فيما يتضمّن مجموعةً من الرسائل التي وجّهت للطباطبائي من قبل خصومه في تلك الفترة، وقد اشتملت ـ كما قيل ـ على تعابير قاسية وعنيفة وقليلة الأدب ومُهينة ضدّه (رحمه الله).

بالنسبة لشخصٍ مثلي، أدعو إلى نشر هذه الرسائل لو صحّ هذا الخبر، لتكون وثائق مهمّة في سياق دراسة مرحلة تاريخيّة حسّاسة من عمر الأمّة والحوزات والمؤسّسة الدينيّة، وعدم كتم أو طمر هذه الوثائق الثمينة، **فإلى اليوم قليلون هم أولئك الذين يعرفون مظلوميّة الطباطبائي في حياته، وكيف أنّه كان يتمّ التعامل معه بروحيّة سلبيّة من قبل بعضهم، وأنّه اليوم وبعد وفاته غدا علامةً جليلاً، لكنّه عانى من ثقافة النقد السلبي الكثير الكثير.**

رحمه الله، وأثابه على صبره وجهده وخدماته أجزلَ ثواب الصالحين، ووفقنا جميعاً لخدمة تراثه الثرّ الثمين.

حديث الثقلين بين مرجعيّتَي: القرآن والحديث، من أين نبدأ؟

١٥ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

يؤكّد حديث الثقلين، في صيغته المشهورة بين المسلمين، أنّ بين الكتاب والعترة ملازمة وعدم مفارقة، فإنّهما لن يفترقا، وهذه الفكرة يمكن ممارسة تطبيقها عبر آليّتين مختلفتين تماماً:

الآليّة الأولى: (العترة معبرٌ للكتاب)، إنّ الكتاب والعترة لا يفترقان، وعليه فكلّ ما في العترة هو في الكتاب، فعليك الأخذ بما قالته العترة، لتكون آخذاً بالكتاب. وهذا ما يُنتج مرجعيّة العترة وحديثها، بل مرجعيّة الحديث في فهم القرآن نفسه، وهو ما يشكّل أحد أكبر الأسس لتشييد تفسير القرآن على أساس الحديث.

الآليّة الثانية: (الكتاب معبرٌ للعترة)، إنّ الكتاب والعترة لا يفترقان، وعليه فكلّما نظرنا في الكتاب، وهو القطعيّ الصدور المفروغ عن ثبوت نسبته، فرأينا فيه شيئاً ينفي ما ورد في الحديث عن أهل البيت عليهم السلام،

نكتشف أنّه ليس من أهل البيت؛ لأنّ المعادلة تقول:

١. الكتاب والعترة لا يفترقان.

٢. الكتاب قال: ألف.

٣. إذن، لا يمكن أن تقول العترة نقيض ألف؛ لأنّ هذه مفارقة بين الكتاب والعترة، والحال أنّهما لن يفترقا.

٤. فكلّ رواية تحمل نقيض ألف، فهي ليست من العترة.

وهذا ما يُنتج مرجعيّة الكتاب الكريم حتى في تقويم وفهم نصوص العترة، الأمر الذي يجعل حديث الثقلين من أقوى الأدلّة على قاعدة طرح ما خالف الكتاب.

نهجان في فهم هذا الحديث وآليّات ترتيبه لسلّم المرجعيّات المعرفيّة الدينيّة، وشخصيّاً أتبنّى النهج الثاني من حيث نتائجه، وللكلام تفاصيل كثيرة، استعرضتُ بعضَها في كتابي المتواضع (حجيّة الحديث: ٢١٣ ـ ٢٧٩)، وبعضاً آخر منها في كتابي الآخر: (حجيّة السنّة في الفكر الإسلامي: ٥٧١ ـ ٥٩٧).

يقول العلامة الطباطبائي في نصٍّ مثير: (ولعلّ المتراءى من أمر الأمّة لغيرهم من الباحثين كما ذكره بعضهم: أنّ أهل السنّة أخذوا بالكتاب وتركوا العترة، فآل ذلك إلى ترك الكتاب؛ لقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم: إنّهما لن يفترقا. وأنّ الشيعة أخذوا بالعترة وتركوا

الكتاب، فآل ذلك منهم إلى ترك العترة؛ لقوله ﷺ: إنّهما لن يفترقا؛ فقد تركت الأمّة القرآن والعترة (الكتاب والسنّة) معاً. وهذه الطريقة المسلوكة في الحديث أحد العوامل التي عملت في انقطاع رابطة العلوم الإسلاميّة.. وذلك أنّك إن تبصّرت في أمرِ هذه العلوم وجدت أنّها نظّمت تنظيماً لا حاجة لها إلى القرآن أصلاً، حتى أنّه يمكن لمتعلّم أن يتعلّمها جميعاً: الصرف والنحو والبيان واللغة والحديث والرجال والدراية والفقه والأصول فيأتي آخرها، ثم يتضلّع بها، ثم يجتهد ويتمهّر فيها، وهو لم يقرأ القرآن، ولم يمسّ مصحفاً قطّ، فلم يبقَ للقرآن بحسب الحقيقة إلا التلاوة لكسب الثواب أو اتخاذه تميمة للأولاد تحفظهم عن طوارق الحدثان! فاعتبر إن كنت من أهله)[1].

(١) الميزان في تفسير القرآن ٥: ٢٧٦.

هويّة الحوزات والجامعات الدينيّة

٢٠ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

واحدٌ من أكثر الأسئلة إلحاحاً اليوم، هو: ما هي هويّة الحوزات؟ ما هي هويّة الجامعات الدينيّة؟ ما هي هويّة المعاهد الدينيّة؟

لا شكّ في أنّ الهويّة (التعليميّة البحثيّة) سمة واضحة في هذا الإطار، فالحوزات مراكز تعليميّة، كما أنّها مراكز بحثيّة، إلا أنّ الأمر يدور بين هويّتين:

الهويّة الأولى: وهي الهويّة العلميّة، ونعني بها أنّ هذه الحوزات والمعاهد هي مراكز للعلم، فهدفها دراسة الموضوعات الدينيّة.

الهويّة الثانية: وهي الهويّة الدينية الانتمائيّة، ونعني بها أنّ هذه الحوزات والمعاهد هي مراكز للدفاع عن الدين، والتصدّي لكلّ المغرضين والناقدين وأمثالهم، والذود عن حياض الشريعة.

(يهمّني جداً أن أُقرّ بأنّني لا أقصد سلب صفة العلم عن الديني،

بل استخدمت هذا التعبير من باب ضيق الخناق كما يقولون، فاقتضى التوضيح).

بين الهويّتين مشتركات كثيرة ومتعدّدة، لكن بينهما نقاط افتراق جوهريّة لا يُستهان بها، وتترك أثراً من اليوم الأوّل على البُنية النفسيّة للمنتسبين لهذه المؤسّسة، **ومن أبرز نقاط الافتراق أنّك إذا اعتبرت الهويّة المركزيّة هي الهويّة العلميّة، عنى ذلك أنّ المنتمي لهذه المؤسّسات العلميّة يمكنه أن يخرج بخلاف ما ينتمي إليه السائد في هذه المؤسّسات نفسها؛ لأنّ معيار انتسابه لها هو موضوع البحث، وهو الدين، وليس نتيجة البحث أو غايته، وهما الانتصار للدين**، وهذا بخلاف ما لو قلنا بالهويّة الدينية الانتمائيّة، إذ لن يكون المعيار الوحيد هو موضوع البحث بل سيغدو غاية البحث ومآلاته، وهي غاية تتحدّد بالآتي: الدفاع عن الدين والمذهب ونحو ذلك، بما قد يمتدّ أحياناً للدفاع عن المشهور والمجمَع عليه والسائد.

ربما يقال: كلّما تغلّبت الهويّة الدينية الانتمائية على الهويّة العلميّة، فرض ذلك تقلّصاً في مساحة الحريّات الفكرية والبحثيّة، والعكس صحيح، وكلّما تغلّبت الهويّة العلميّة على الهويّة الدينية فتح ذلك المجال لاختراق الدفاعات الدينيّة. فهل هناك مانع من اعتماد الهويّة العلميّة التي يكون موضوعها الدين وليس غايتها الدين أو أنّ ذلك يعدّ تمزيقا للهويّة التاريخيّة الوجوديّة لهذه المؤسّسات،

فيصبح الأمر وكأنّه ضربٌ من المستحيل؟ هل يمكن التوصّل إلى صيغة جمع بين الهويّتين أو أنّ ذلك عبثٌ من القول والسعي؟

هل يمكن اختيار واحدة من الهويّتين والسعي لتفادي خسران التخلّي عن الهويّة الثانية أو أنّ ذلك أمرٌ خيالي لا واقعيّة ممكنة له؟ هل يمكن الحديث عن مؤسّستين منفصلتين: واحدة علميّة بالمعنى المتقدّم، والثانية دينيّة بالمعنى السابق أو أنّ هذا هراء وتخريف أو أنّه حقيقة بدأت بالتشكّل اليوم ـ شئنا أم أبينا ـ في ظلّ تناول القضايا الدينية من قبل غير المنتمين للدين بالمعنى التديّني الالتزامي الدفاعي؟

موضوع الهويّة مهم للغاية ويحتاج لتفكير كثير، وفي ظنّي أنّه مسؤول عن الكثير مما نراه اليوم، وأدعو للتفكير الجادّ فيه.

المرجع السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي في ذمّة اللّٰه

٢٣ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

هناك ـ بتقسيمٍ ما ـ ثلاثة أصناف من العلماء المشتغلين بالفقه الإسلامي:

الصنف الأوّل: علماء لا يبدو أنّهم يولون ـ في سياق ممارساتهم البحثيّة الاجتهاديّة ـ بالاً أو عنايةً خاصّة بالملفّات الفقهيّة التي تتصل بقضايا المجتمع عامّة، وبإدارة المجتمعات وتنظيم العلاقات، وبالقضايا الجديدة النازلة خاصّة، ولا يُبدون اهتماماً متميّزاً في هذه القضيّة، بل لو تناولوا موضوعاً من هذه الموضوعات ـ مثل مباحث البيع والخيارات ـ لوجدنا أنّ دافعهم في الغالب هو أنّ هذا الموضوع فيه كلام فقهيّ كثير، لا أنّ هذا الموضوع توجد حاجة عظيمة لتناوله اليوم برؤية متجدّدة.

الصنف الثاني: علماء يُبدون اهتماماً واضحاً بالملفّات الفقهيّة

العامّة التي تحتاج لبحثٍ اليوم، ولإعادة نظر ولتجديد رؤية، وكثيراً ما يشيرون في كلماتهم إلى ضرورة ذلك وأهميّته، لكنّ نتاجهم الفقهيّ المكتوب والمسموع لا يظهر منه أنّهم يساهمون كثيراً في هذا الأمر.

الصنف الثالث: علماء يُبدون أولويّة واهتماماً بهذه القضايا في دعواتهم العامّة، وفي توجيههم للباحثين، وفي ممارساتهم ونتاجاتهم أيضاً.

ومن الصنف الثالث، أستطيع أن اعتبر المرجع الديني الراحل السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي الذي توفّي اليوم عن عمرٍ يقارب التسعين عاماً، فالسيّد الأردبيلي واحدٌ من العلماء الناشطين على أرض الواقع، فهو مؤسّس ورئيس جامعة المفيد، التي تعدّ من أبرز الجامعات في مدينة قم، والتي احتضنت نخبةً من رموز الباحثين في إيران، وهو أيضاً الرئيس الأسبق للسلطة القضائيّة في إيران، قبل وفاة الإمام الخميني، وكان من أبرز الذين اشتغلوا على سنّ قوانين العقوبات الجزائيّة والجنائيّة، وكذلك الأحوال الشخصيّة، بما يوافق بينها وبين الشريعة الإسلاميّة.

الشيء اللافت في أعمال السيد الأردبيلي أيضاً أنّه بعد عودته إلى قم عقب وفاة الإمام الخميني، اشتغل على تقديم إنتاج فقهي يتصل بالهموم التي كانت تشغله على مستوى الإدارة المجتمعيّة والقانونيّة، فكتب سلسلةً من الأعمال الفقهيّة التي نشر أغلبها، والتي يظهر من

عناوينها مدى اهتمامه بالأداء البحثي الفقهيّ في ملفّات صارت لها ضروراتها اليوم، فمن كتبه:

١. كتاب الحدود والتعزيرات، في أربعة مجلدات.

٢. كتاب القضاء في مجلّدين.

٣. فقه الديات.

٤. فقه القصاص.

٥. فقه الشركة والتأمين.

٦. فقه المضاربة.

٧. فقه الشهادات.

٨. الرسائل الفقهيّة (وفيه بحث مجموعة موضوعات مثل التلقيح الصناعي، والربا، وذبائح أهل الكتاب وغير ذلك).

٩. أربع مجلّدات في الاقتصاد الإسلامي.

١٠. كتاب في الردّ على البهائيّة.

هذا كلّه، إضافة إلى حاشيته على الخيارات، ورسالته العمليّة بأكثر من لغة، وتقريراته الفقهيّة والأصوليّة لأبحاث أساتذته كالسيديّن الحكيم والخوئي وغيرهما، وتدوينه لدورة أصوليّة. وغير ذلك.

يُصنّف السيد الأردبيلي على أنّه من فقهاء ما يُعرف بالتيار

الإصلاحي في إيران، وكانت له رؤيته السياسيّة والاجتماعيّة، وكانت له آراؤه الفقهيّة المختلفة، ولعلّ من أبرزها اجتهاده في قضيّة الارتداد، وهو لا يرى فيها الفهم الإطلاقي السائد في الفقه الإسلامي.

رحمه الله، وتغمّده بواسع رحمته، وأسكنه الفسيح من جنّاته، وحشره مع من يحبّ ويتولّى من الأنبياء والأولياء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً.

فهم مسارات اللاهوت المسيحي مقدّمة لدراسة فلسفة الدين والكلام الجديد

٢٤ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

دائماً كان الحديث يُتداول عن أهميّة رصد الفضاءات التاريخيّة والسياقيّة لظهور الأفكار ونموّها، فالوعي التاريخي بالسياقات والأنساق ضروريٌّ للغاية في فهم الأفكار نفسها؛ لأنّ هذا الوعي يكشف لنا سبب ولادة الفكرة، والمأزق الذي أنتجها، والحاجات التي فرضتها، والمُخرَجات التي نتجت عنها، وغير ذلك.

ومن الواضح أنّ دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد شهدت ظهوراً واسعاً في الأوساط الإسلاميّة خلال العقود الأخيرة، ورغم أنّ هذا الظهور لم يبلغ بعدُ المستوى المنشود، إلا أنّه لا يُستهان به أبداً.

وقد فُتحت العديد من الفروع البحثيّة والدراسيّة في المعاهد والجامعات الدينية والإنسانيّة التي تتناول القضايا المتصلة بفلسفة

الدين والكلام الجديد، وما تزال الكثير من هذه الملفّات موضوعةً على نار حامية أو هادئة.

الشيء الذي أودّ الإشارة إليه هنا هو أنّ الفهم المعمّق لمقولات فلسفة الدين والكلام الجديد، يمرّ ـ في جزءٍ لا يُستهان به منه ـ باللاهوت المسيحي والتجربة المسيحيّة عموماً، ففي تلك التجربة وفضاءاتها الإيجابيّة والسلبيّة، ظهرت الأسئلة الملحّة، واشتغلت الأدمغة لوضع الحلول المخرجة من المآزق، وتنوّعت المخرَجات واختلفت التكييفات للوصول إلى حلول.

مُقترحي المتواضع هو أنّ أيّ دراسة لفلسفة الدين والكلام الجديد، من الضروري جداً أن ترافقها دراسة لتحوّلات السؤال اللاهوتي في المسيحيّة خلال القرون السابقة وإلى يومنا هذا، ودرجة وعي الباحث أو الدارس لكلّ قضيّة من قضايا فلسفة الدين والكلام الجديد سوف ترتفع تلقائيّاً تبعاً لمديات اطّلاعه ومعرفته بفضاء التحوّلات اللاهوتيّة والمنجزات المسيحيّة في هذا السياق.

إنّ فهم العقل اللاهوتي السيّال والمتحرّك في المسيحيّة بمدارسها المتنوّعة، يُسعف الباحثين المسلمين، ليس في إجراء مقارنات بين الأديان فحسب، بل في تكوين وعي جديد بالقضايا الإسلاميّة من زاوية فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد.

هل تتوقّف العناوين الثانوية عندما تمسّ الأسرة أو تكون لمصلحة المرأة؟

٢٦ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

نقرأ في كتب الفقه الإسلامي كلمات كثيرة حول صلاحية الفقيه أو وليّ الأمر ـ حتى بصرف النظر عن نظريّة الولاية العامّة للفقيه ـ بالمنع عن أشياء أو الإلزام بها، مثل التزاوج بين اثنين قد يؤدّي التزاوج بينهما إلى ضررٍ بدني أو جيني معيّن على المجتمع والأجيال اللاحقة، أو أنّ وليّ الأمر له المنع من إحياء الأراضي الموات أو تحجيرها، إذا رأى أنّ فتح المجال لكلّ من أراد إحياء أرضٍ أن يضع يده عليها، سوف يؤدّي إلى خللٍ في النظام العام، فله أن يتدخّل بالعنوان الثانوي.

كثيراً ما نجد مثل هذه الكلمات في الكتب الفقهيّة عند المسلمين، وينطلق كثيراً من قوانين التزاحم والأولويّات والمصالح والمضارّ ضمن منظومة رؤيةٍ مجتمعيّة غير فرديّة، إلا أنّ هذا المنطق نشعر بعض الشيء أنّه يصاب بالشلل أو ضعفٍ في السرعة عندما يصل إلى

بعض الأمور مثل بعض قضايا المرأة، فإطلاق يد الرجل في الطلاق ساعة يشاء ولو من دون مبرّرٍ معقول، لا يُسمح معه بالعنوان الثانوي أن يتدخّل الحاكم كي يوقفه ـ ولو مؤقّتاً، أو في بعض الحالات على الأقلّ ـ لإفضائه إلى مشاكل اجتماعيّة وأزمات أسريّة، ومنع النساء اللواتي يتعرّضن لضغوط كبيرة في الحياة الزوجيّة من المطالبة المنْتِجَةِ للطلاق، لا يقال فيه كثيراً: إنّ بيد الحاكم أن يتدخّل، ولو قيل فتطبيقه يغدو من المستحيلات العمليّة، حتى أنّهم يقولون بأنّ فلاناً المرجع طبّق الطلاق القضائي مرّةً في حياته، أو مرتين، مما يشير إلى مدى ندرة هذه الظاهرة، ومن ثمّ فهناك الآلاف ـ وربما أكثر ـ من النساء يعشن أوضاعاً صعبة للغاية في ظلّ إطلاقيّة مثل هذه الأحكام في بعض الأزمنة، إلى غير ذلك من الأمثلة.

أعتقد بأنّ أحد أسباب هذا الأمر هو الأعراف الاجتماعيّة الصارمة إزاء ما يتعلّق بالمرأة والأسرة، وكأنّ الفقيه أو من يملك سلطة القضاء يخشى دوماً من المساس بقضايا الأسرة والأعراض، مما قد يسبّب له مشاكل في ظلّ بعض الأعراف، ولهذا نجد أنّ بعض المجتمعات التي تخفّ فيها مثل هذه الأعراف يتمكّن الحاكم من الحركة فيها بشكل مريح أكثر، كما رأينا ذلك بالفعل في بعض المجتمعات الإسلاميّة غير العربيّة.

ولكي لا أبدو أنّني أحصر الموضوع بالمرأة، أُشير إلى مثال عكسي وهو ظاهرة ارتفاع المهور بشكل خيالي أو غير متوالم مع الأوضاع

الاقتصاديّة العامّة للشباب، بحيث يتحوّل ذلك إلى عرف اجتماعي ضاغط على الشباب، مما يفضي ـ كما في إيران ـ إلى زجّ أعداد هائلة من الأزواج في السجون نتيجة إعطاء الحقّ للمرأة بالمطالبة بالمهر في أيّ ساعة، مع كون المهر باهظاً!

من هنا نقول: **الأعراف الفاسدة تجب مواجهتها، ولا يجوز الاكتفاء بالخوف منها، سواء نشأ فسادها من التأثر بثقافات وافدة أم من داخلها ومن رحمها، لا فرق في ذلك، فمحاربة الفساد مفهوم مطلق يتخطّى قضايا الهويّة، وعلينا التعاون ووضع خطط للخروج من هذه المشاكل.**

وأشير ختاماً إلى أنّني لا أتحدّث عن الموقف الفقهي الأوّلي من هذه الأمور، فلهذا مجال آخر، إنّما أفرضها مسلّمةً، وأتحدّث عن مجال تدخّل الفقهاء الكبار لسنّ بعض القوانين بالعناوين الثانويّة، تلافياً لأزمات اجتماعيّة حادّة تأخذ بالتفاقم المطّرد، أو رفعاً لقدر من الظلم والقهر الاجتماعي عن إنسانٍ هنا أو هناك، خاصّة عندما يصبح الأمر متعلّقاً بظواهر اجتماعيّة واسعة، بحيث صار بعض المسلمين يتوقون أحياناً للقوانين المدنيّة بغية الخلاص من مشاكلهم، عندما لا يرون استجابة لحاجاتهم ورفعاً لمظلوميّاتهم في القوانين الفقهيّة السائدة، بسبب عدم اجتراح الحلول ولو المؤقّتة للمشاكل الزمنيّة الحادثة، مما يوحي بجمود المعطيات الفقهيّة القانونيّة في هذا السياق.

بعض الناس تريد مواقف عنيفة لتزيدها إلى رصيدها!

٢٧ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

كان أحد الأصدقاء بالأمس ينقل لي عن بعض الشخصيات أنّني لم أحسم موقفي في كتاب (حجيّة الحديث)! رغم أنّني من أوّله إلى آخره قد ملأته نقداً وتعليقاً على تراث المتكلّمين والأصوليّين والمحدّثين المسلمين في هذه القضيّة، وخرجت في آخره بنتيجة واضحة، وهي عدم حجيّة الظنّ الصدوري في معرفة الدين مطلقاً، ولو كان السند صحيحاً.

كثيراً ما لا يُعجب بعض المتحمّسين منّا أن تتناول موضوعاً بهدوء؛ لأنّ الهدوء في حساباتهم ليس موقفاً؛ لأنّ الموقف في تجربتهم هو صراخ وعنف؛ لأنّ العنف بات هويّة أفكارنا ومواقفنا وشخصيّاتنا، وهو عنوان عنفواننا وبطولاتنا ورجولتنا!

يثيرني هذا النوع من التصنيف ضمن دائرة القضايا الفكريّة والثقافيّة، عنيت أنّ المواقف الفكريّة تحتاج لعنف؛ فالعنف في اللغة والأسلوب

والمضمون، هو معيار الرجولة والموقف في ثقافتنا؛ لأنّ العنف بات معيار كلّ شيء، والمتسامحون لا حياة لهم بيننا، والتعدّديون الحقيقيون يصنَّفون أنّهم لا يملكون مواقف! فلا يكفي عند هؤلاء أن تقول: لم يثبت عندي حجيّة خبر الواحد، ولا أراه يُحتجّ به في الدين، بل لابدّ ـ لكي تكون عندهم صاحب رأي ـ أن تقول: حجيّة خبر الواحد خرافة ومهزلة وجهالة قطعاً ويقيناً وجزماً، إنّها مصيبة لحقت العالم الإسلامي، لعن الله من أسّس لها! هكذا حال الكثير من العرب والمسلمين اليوم يحبّون المفرقعات والتصريحات الناريّة، ولا يهمهم أحياناً أن يقف خلفها عمقٌ بحثي جادّ أو رصيد معرفي تحليلي معمّق؛ لأنّ الظاهرة الصوتية تستهوينا كثيراً، والظواهر العلميّة والعمليّة لا تُغرينا (وأنا أتفهّم مبرّرات وصولنا إلى هذه الحال)، وكلامي في ساحة الفكر والثقافة والبحث، لا في مجال السياسة وتهييج الجماهير لدخول حرب أو نحو ذلك.

لا شكّ في أنّ بعض القضايا قد تحتاج ـ في لحظةٍ زمنيّة ما ـ إلى قوّة وحدّة في اللغة والموقف والأسلوب، لكن أن يصنّف الموقف بلغته فهو أمرٌ غير صحيح، فبعض الناس لا يحتاج منك شيئاً إلا أن تعطي نتيجة وفتوى عنيفة في أمرٍ ما؛ ليضيفوا كلامك إلى رصيدهم، ويستخدموه في المواجهة العنفيّة مع الآخر، هم ليسوا بحاجة إلى إضاءة معيّنة، ولا إلى تعدّد في الاحتمالات والرؤى، ولا إلى نقد الآخر مع اعتباره ـ في الوقت عينه ـ وجهة نظر محترمة؛ لأنّ هؤلاء

وإن أبدوا لك أنّهم متجدّدو الفكر والعقل، لكنّهم في بُنيتهم العميقة ليسوا سوى تقليديّين يقيّمون كل شيء وفق ثلاثيّة: الكليّة (مقابل الجزئية أو الغلبة) ـ والثبات والدوام (مقابل الحركة والتحوّل) ـ والإطلاق (مقابل النسبيّة)، فالموقف هو القضيّة التي تختارها وتنتمي في مضمونها وفي لغتها وأسلوبها إلى أن تكون كليّةً دائمةً ثابتة مطلقة قاطعة مدوّيةً نافية لغيرها.

لا تُدار حركة المعرفة والعلم بهذا الأسلوب العنفي الجزمي دائماً، لا يمكن أن تصنّفني بأنّني لا أؤمن بالعلمانيّة إلا إذا سببتها، ولا أؤمن بالإسلام السياسي إلا إذا هجوته، هناك ملفّات تحتاج لنمط آخر من التعاطي.

الفهم قبل الحكم، والوعي قبل الدفاع
(مثال من تجربة د. سروش)

٢٩ ـ ١١ ـ ٢٠١٦م

حدّثني بعض الإخوة الأعزّة مشكوراً، حول منشوري قبل أيّام تحت عنوان (فهم مسارات اللاهوت المسيحي مقدّمة لدراسة فلسفة الدين والكلام الجديد) بأنّ المطلوب منّا اليوم هو أن ندافع عن الدين ضدّ (الشبهات)، وضدّ الإلحاد واللادينية وغير ذلك، أمّا الاشتغال على وعي المسيحيّة في سياق تعاملها مع قضايا فلسفة الدين والكلام الجديد، فإن لم يكن موضوعاً مضرّاً وقد تتسرّب إلينا منه أفكار مقلقة، فلا أقلّ من أنّه لا أولويّة له الآن.

أختلفُ تماماً مع هذه الرؤية، بل أراها أحد أسباب أدائنا غير السويّ في بعض الأحيان، فلا يمكنك أن تحكم على شيء قبل أن تفهمه جيداً، ولا يمكنك أن تدافع عن شيء إلا أن تفهمه وتفهم الخصم وهجومه ونقده جيّداً، **فالفهم قبل الحكم، والوعي قبل الدفاع**، ولهذا كثيراً ما

دافعنا بطريقة خاطئة أوجبت في بعض الأحيان سخرية الطرف الآخر وضحكه، لا لشيء إلا لأنّنا استعجلنا الدفاع قبل الفهم.

في نهاية الثمانينيّات ومطلع التسعينيّات من القرن الماضي، نشر الدكتور عبد الكريم سروش مقالاته الفلسفيّة المعروفة حول نظريّة القبض والبسط وتكامل المعرفة الدينيّة، وسرعان ما هبّ بعض العلماء مشكوراً للنقد في حينه، وكتب ما يعدّ من أوائل المصنّفات النقديّة على نظريّة سروش هذه، كان سروش يقول بأنّ المعرفة الدينية مستهلِكة، ومن ثم فهي متغيّرة، فأجابه ذلك العالم الجليل المسكون بالعقل الفلسفي المدرسي: إنّ المعرفة وجود ذهني، والوجود الذهني مجرّد وليس مادياً، والمجرّد ثابت فلا يتغيّر، كما ثبت في الفلسفة.

ليست المشكلة فيما قاله ذلك العالم عن الوجود الذهني، فهذه نظريّة معمّقة في الدراسات الفلسفيّة، لكن المشكلة أنّ صاحبنا لم يعرف ماذا يريد سروش من تغيّر المعرفة، فظنّه يتكلّم ضمن سياقات الفلسفة المدرسيّة العقليّة، ولم ينتبه إلى أنّ سروش يتكلّم من فضاءات كارل بوبر، وقبله عمانوئيل كانط، ولأنّه لم يفهمه جيّداً قدّم نقداً أقلّ ما قيل فيه إنّه مخجل، حتى أنّ بعض كبار ناقدي سروش علّق عليه.

من هنا يُنقل عن سروش شخصيّاً أنّه يفضّل انتقادات الشيخ صادق لاريجاني على غيره؛ لأنّ لاريجاني كان أكثر خبرةً ووعياً بالفلسفة الغربيّة وبفضاء نظرية سروش من مصادرها، مما مكّنه أكثر من التعامل

معها بذهنيّة ممتازة، بصرف النظر الآن عن الموقف من نظريّة سروش والانتقادات عليها.

ما أردتُه هو أنّ الفهم أهم بكثير من الدفاع، والحماسة الدفاعية هي مقتلنا الأيديولوجي عندما تجرّنا للعجلة في تناول الأمور، قبل طيّ مراحل تكوين الوعي التام بما نتعامل معه من قضايا وأفكار، وهي التي تدفعنا أيضاً للخوف من التعرّف على الآخر بمعزلٍ عن نقده، بوصف ذلك مرحلةً أولى للتعامل معه فيما بعد، وتعتبر ذلك جناية، وترويجاً للباطل، وإضعافاً للحقّ.

أحترم وجهة نظر الناقد العزيز، لكنّني أختلف معه فيها تماماً وإلى أبعد الحدود؛ لأنّه ـ شعر أو لم يشعر ـ يكرّس لمنطق خطأ الآخر قبل معرفته، وتقديم النتائج على المناهج، وحكومة النتيجة على المقدّمات وليس العكس، وهذا كلّه قلبٌ حقيقي لقواعد التفكير المنطقي.

أصالة مجاهدة النفس داخل التجربة، ومبدأ المكابدة والتغلّب

٣ ـ ١٢ ـ ٢٠١٦م

يبدو من مراجعة الكثير من التراث الأخلاقي الديني، أنّ مفهوم مجاهدة النفس والتغلّب عليها، كأنّه غرضٌ في حدّ نفسه أيضاً، وليس مجرّد وسيلة فقط، فالمطلوب من الإنسان أن يخوض صراعاً مع نفسه بحيث يصبح متحكّماً بها، وليس المطلوب منه أن يحول دون هذا الصراع، ويصل للنتيجة نفسها فقط.

معنى هذا الكلام أنّني لو واجهت سلوكاً غير أخلاقي في حياتي، فإنّ أمامي سبيلين لتفادي التورّط به:

السبيل الأوّل: أن أغيّر مساري، وأسير في الطريق الآخر منذ البداية، وبهذه الطريقة أتفادى التصادم.

السبيل الثاني: أن أُكمل مسيري، فأواجه هذه الفتنة الأخلاقيّة، ثم أنتصر عليها مجاهداً نفسي ومكابداً لها، فأمنعها في ذروة الموقف من الوقوع في الرذيلة الأخلاقيّة.

تتجه بعض الأنشطة التربويّة اليوم نحو اعتماد السبيل الأوّل، وهو أمر صحيح ولا غبار عليه في نفسه، لكن **المهم في التربية الدينيّة ليس تجنيب النفس التورّط أساساً في الوحل الأخلاقي فحسب، بل تحصينها أيضاً بنحوٍ لو تورّطت لقدرت على مقاومة الميول والرغبات غير الأخلاقيّة**. بمعنى أنّ عدم الخسارة في الملاكمة لا يكفي فيه أن لا تشارك فيها من الأوّل، بل يلزم أيضاً أن تكون قادراً على الانتصار فيها لو شاركت أو لو فَرَضَت عليك الظروفُ أن تشارك.

لا يكفي أن تتجنّب الغِيبة وأنت معتزل الناس في صومعةٍ أو جبل، ولا يكفي أن تتجنّب الحسد الواقع بين العلماء مثلاً عبر عدم الإقدام أساساً على طلب العلم، ولا يكفي لكي تتجنّب صفة البخل أن تكون فقيراً، بل يلزمك أن تكون ذا مال ثم تواجه هذه الصفة في نفسك.

مبدأ المواجهة مع الذات ليس منبوذاً في الثقافة الدينيّة الأخلاقيّة، بل يبدو أنّه مطلوب، بهدف إحكام قدرة الإنسان على تملّك نفسه والتصرّف فيها من جهة، وبغية رفع مستوى المناعة الذاتية تجاه ميولها غير السويّة من جهة ثانية.

لا يعني ذلك رفض مبدأ احترام النفس ومنحها الثقة والاعتزاز بها كما يقول النفسيّون والتربويّون اليوم، بل يعني أنّ منحها هذه الثقة والقوّة ليس سوى وجه لعملةٍ، وجهها الثاني هو لومها ومعاقبتها في لحظات التقصير أو العدوان، والمطلوب هو التعامل مع الوجهين معاً

باعتدال دون إفراط أو تفريط.

يبدو لي أنّ الثقافة التربويّة والأخلاقيّة الدينية لا تميل دوماً لفكرة التبرير الذي نستخدمه أحياناً في تفسير الظواهر الأخلاقيّة السلبيّة على المستوى الفردي، بل هي ترى أنّ علينا أن نقرّ بأنّ هناك جزءاً من النفس الإنسانيّة عاصٍ، وهو عدواني مُخْلِدٌ إلى الأرض متبعٌ هواه، ولابد لنا من التعامل مع هذا الوجه في بعض الأحيان بالحزم والشدّة واللوم والتأنيب.

ليس معيار سلامة التربية الأخلاقية في الثقافة الدينية هو أن يتقدّم الإنسان أخلاقيّاً دون مكابدة، بل المكابدة جزء من عمليّة التربية نفسها، ووجعُها ليس ألماً، بل هو مسيرة وجود وتكامل، يقع ـ دينيّاً ـ في سياق فلسفة الحياة الدنيويّة الامتحانية والاختباريّة. إنّ المكابدة بنفسها نشاط وحيويّة وفعالية روحيّة في التعامل (الأنفسي) الذاتي.

أظنّ أنّ هذه الفكرة لها تأثير كبير على رؤيتنا لتربية ذواتنا، ولتربية الأطفال أيضاً في الأسرة والمدرسة وغيرهما.

إدارة تكنوقراط أو ولاءات وتوازنات؟!

٤ ـ ١٢ ـ ٢٠١٦م

كثيراً ما نعاني في الحياة الاجتماعيّة والسياسية والإداريّة وغيرها، من الرجل الموضوع في المكان غير المناسب، رجلٌ قد يمتاز بصفاتٍ جيّدة، لكنّ مكانه ليس هنا، بل يفترض أن يكون هناك، والعكس صحيح؛ لأنّ منشط الإنسان يجب أن يتناسب مع إمكاناته وخبراته وطاقاته والتوقّعات المنطقيّة منه.

ليس المهم أن أنتج طاقاتٍ مُبدعة في الأمّة، **بل المهم أيضاً أن أضع هذه الطاقات في مواضعها الطبيعيّة التي تحرّك عجلة الإنتاج،** وإلا فسيكون حالي كمستثمرٍ وضع رأس ماله في إنتاج الماء الصافي، ليبيعه على أهل قريةٍ تقع على نبعِ ماءٍ زلال في أعالي الجبال النقيّة البعيدة. ولهذا تصبح جيوش المتعلّمين المتخرّجين من الجامعات عبئاً على المجتمع والدولة، عندما لا نفكّر إلا بتعليمهم، ولا نكمل مسيرتنا بتأمين فرص العمل لهم، فيضطرّ الطبيب أن يعمل سبّاكاً،

ويُجبر المحامي أن يشتغل نجّاراً.

بجولةٍ في واقعنا المحيط، كثيراً ما نواجه هذه الحال، وسببُها إمّا الولاءات التي تُقدّم زيداً على عمرو، أو المصالح العليا، أو التوازنات، أو الإهمال، أو سوء الإدارة، أو غير ذلك.

فأنت على سبيل المثال ـ وهذه مجرّد أمثلة لتقريب الفكرة، وإن كان بعضها واقعيّاً ـ تضع أستاذاً ليعلّم مادّة الحديث الشريف، وهو لا يفقهه لكنّه خبير بعلم الفلسفة! وتضع مديراً على مؤسّسة لم يدرس الإدارة يوماً، بل لم يخض ـ على الأقلّ ـ تجربتها في حياته ليرتقي بالتجربة وترتقي به، فتؤهّله لهذا المنصب! وتضع رئيساً لجمعيّة وظيفتها التقريب بين الأديان أو المذاهب أو التيّارات، وهو من رأسه إلى أخمص قدميه معجونٌ بثقافة الإقصاء والنفي والأحادية وإلغاء الآخر! وتضع معلّماً للناس يهديهم لدينهم؛ لأنّ فيه سمة الصوت الحسن، وهو لا يفقه من الدين سوى بعض القصص والحكايا! وتضع مديراً للجماعة، ليس لشيء، إلا لأنّ القدر اختاره من بين الناس ليكون من أقرباء زعيم الجماعة! وتضع رجل العسكر في السياسة والتفاوض، ورجل السياسة في العسكر، وغير ذلك كثير.

كلّ شخص تضعه في المكان غير المناسب فأنت عمليّاً تحرم في مقابله الشخص المناسب من هذا المكان، الأمر الذي يجعله طاقةً مهملة، أو يضعه في مكانٍ غير مناسب له بدوره، وبهذا تكون قد

ارتكبتَ جُرمين، فتتحرّك عجلة الحياة وكأنّ العصيّ مزروعة فيها.

إنّنا نعيش ـ ليس في السياسة فحسب، بل في كلّ شيء تقريباً ـ بـ (حكوماتٍ) سياسية، وحكومات أقطاب، وحكومات وفاق وطني، وحكومات قوى أو أحزاب، لكنّنا قلّما نعتمد على حكومات تكنوقراط وإدارات مثلها! واختيار قرار بحكومات غير خبيرة يحتاج مسبقاً لفرض بُنيتك الإدارية مؤسّساتيّةً بامتياز، تستطيع أن تجبر ضعف الرئيس بنظام العمل المؤسّساتي الصارم القائم على فرق عمل متكاملة، وليس على فرد أو أفراد، تماماً كما يحصل في بعض الدول الغربيّة.

قصّة تثير الانتباه، تتخطّى شعارات التقريب بين المذاهب

٥ ـ ١٢ ـ ٢٠١٦م

كنتُ في حديثٍ مع صديقنا العزيز الفاضل الشيخ السلماسي (حفظه الله)، وكان يحدّث عن حياة أهل منطقتهم (سلماس)، وهي المدينة الآذريّة التي تقع في أقصى الشمال الغربي الإيراني قريباً من الحدود مع تركيا. أثارني في حديثه قصّة معبّرة، قال بأنّ علاقات أبناء المذاهب مع بعضهم في تلك المنطقة تعدّ متميّزة، ولست أدري ما إذا كانت الأوضاع الرائعة التي يذكُرها ما تزال قائمةً إلى اليوم بعد أن أطلّت الفتنةُ الطائفيّة بقرنيها في بلاد الشرق، وانتشر دعاة الفتنة ـ من بعض الشيوخ والسياسيّين وغيرهم ـ في البلدان، يزرعون فيها التشظّي والحقد، ويجعلون عِزّة أهلها ذِلّةً، وكذلك دوماً يفعلون.

يقول صديقُنا السلماسي: كنتُ في بيت والدي في مدينتنا الشديدة البرد قبل سنوات، نُجري حديثاً عائليّاً، فطرق الباب طارقٌ، فقام والدي ليرى ما الأمر، فإذا به جارنا (السنّي المذهب)، يتحدّث مع

والدي على الباب، وبعد دقائق قليلة، عاد والدي وجلس حيث كان.

سألتُه ـ والكلام للشيخ السلماسي ـ: ماذا كان يريد منك جارُنا (السنّي المذهب)؟ قال: كان يقول لي بأنّ خاطباً تقدّم لابنته بهدف الزواج، وأنّ أسرة جارنا وافقوا عليه، فجاء يريد أن يستأذنني في أن يزوّج ابنته من خاطبها، ويطمئنّ إلى أنّه ليس عندي مانع من ذلك! (انتهت قصّة شيخنا السلماسي العزيز).

ماذا تعني هذه القصّة؟! وأظنّ بأنّ مثلها وقع في بلاد العالم الإسلامي في لبنان والعراق وسوريا وغيرها.

إنّها بنظري تعني أنّ مستوى العلاقات الاجتماعيّة الاندماجيّة بلغت حدّاً أنّ ربّ الأسرة السنّي المذهب، يؤمن بمفهوم الأخ والجار والصديق إيماناً عميقاً، إلى حدّ أنّه يرى جاره الشيعي المذهب أحد كبار أفراد أُسرته، فيستأذنه تأدّباً وتخلّقاً في تزويج ابنته من خاطبها، ولم يكن ذاك ليحصل لولا أنّ أخلاق جاره (الشيعي المذهب) كانت هي الأخرى ممتازة معه.. إنّه مستوى من التلاحم الاجتماعي الممتاز الذي لا يرى في الاختلاف المذهبي أيّ موجب لرفع جدران القطيعة عاليةً بين الأُسر والعوائل والإخوة والأصدقاء والجيران والزملاء، فكلّهم أُسرة واحدة، وكبارهم كبار الأُسر كلّها.

هذا هو معنى ما تحدّثنا عنه أكثر من مرّة، من أنّ **إحدى بوّابات التقريب الأساسيّة هي البوّابة الاجتماعيّة، والاندماج الاجتماعي الطبيعي تحت مفهوم أبناء المدينة الواحدة، وأبناء القرية الواحدة،**

وأبناء البلد الواحد، وأبناء الدين الواحد، وأبناء اللغة الواحدة و..

الاندماج الاجتماعي مقصدٌ أساس هنا، عبر التزاور، والتصادق، والتجاور، والتزاوج، والمشاركة الاقتصاديّة، والتعاون والتكافل الاقتصادي، والمشاركة في المناسبات الدينية والاجتماعيّة المتبادلة، وحمل الهموم المتبادلة، والوقوف جنباً إلى جنب في القضايا المشتركة سياسيّاً واجتماعياً ووطنيّاً وإنسانيّاً، والتعامل كوحدة واحدة، وفي الوقت عينه يحترم كلّ فريق عقائد الآخر ووجهات نظره، ولا يعتدي على مقدّساته ولا يجرح مشاعره.

هل ستُشرق شمس هذا الاندماج يوماً على بلاد المسلمين أو أنّها غربت إلى غير رجعة، إلا قُبيل قيام الساعة أو في آخر الزمان، حيث جاء في الرواية أنّ الشمس تُشرق من مغربها؟ وكأنّ ما غرُب وذهب من الصالحات في حياة المسلمين، سوف يعود آنذاك من حيث ذهب.

جاء في الحديث الشريف: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[١].

أملنا بالله كبير، وبجهود كلّ المخلصين للعمل، وعدم اليأس؛ للوصول إلى الحدّ الأدنى من المنشود والمأمول، والله وليّ التوفيق.

---

(١) صحيح مسلم ٨: ٢٠؛ وانظر: النوري، مستدرك الوسائل ١٢: ٤٢٤.

لعبة اللغة في حوار جميل بين الآخوند الخراساني والآغا رضا الهمداني

١٨ ـ ٧ ـ ٢٠١٧م

جاء في كتاب (جرعه اى از دريا ج ١، ص ٥٢٥) ـ بالفارسيّة ـ للمرجع الديني المعاصر السيد موسى الشبيري الزنجاني (حفظه الله)، قصّةٌ طريفة، في حوار جرى بين الآخوند الخراساني صاحب كتاب (كفاية الأصول) الشهير، والآغا رضا الهمداني صاحب كتاب (مصباح الفقيه) الشهير، وحاصل القصّة على الشكل التالي:

التقى الطرفان، فقال الخراساني للهمداني: أنت محترف بارع؛ حيث تنقل الموضوعات والبحوث المعقّدة ذات التخصّص العالي للآخرين بلغةٍ مفهومةٍ ميسورة، بحيث يستطيع الآخرون فهمها.

فأجابه الشيخ الهمداني: إنّ فنّك واحترافك وخبرتك أكثر منّي؛ لأنّك تأتي بموضوعاتٍ من المستوى العادي، لتصوغها بعبارات معقّدة، فترفعها عالياً، حتى لا يكاد يفهمها أحد. انتهت القصّة.

لا تهمّني الأسماء ولا صدقيّة القصّة ومديات دقّتها، بقدر ما يهمّني **أن لا نكون ضحايا لغة الكُتّاب والإعلام، والتي تقوم بتغريرنا بعمقٍ أو جدارة فكرةٍ ما، فكثيراً ما تكون الفكرة عاديّةً، لكنّ اللغة أو المؤثرات الحافّة تأسرك حتى تدفعك إلى تقويم غير دقيق، والعكس صحيح،** إنّها ـ لو سمحتم لي أن أستعير استعارةً ما تعبيرَ الفيلسوف النمساوي لودفيغ فتغنشتاين (١٩٥١م) ـ (لعبة اللغة أو الألفاظ)، والتي تصبح هنا أقوى من لعبة المعاني.

في موضوعنا: **القويُّ هو من يقدر على التحرّر من اللعبة اللفظيّة أو الإعلاميّة بشكل عام، ليلامس المعنى عارياً هذه المرّة، فيدركه بحجمه الحقيقي.**

المرجع الديني الأستاذ السيد الهاشمي الشاهرودي في ذمّة اللّٰه

٢٥ ـ ١٢ ـ ٢٠١٨م

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

بلوعةٍ وأسى وحزن كبير، رحل عن هذه الدنيا الفانية أستاذنا الحبيب الغالي والفقيه المتضلّع المرجع الديني السيّد محمود الهاشمي الشاهرودي (رضوان الله تعالى عليه).. رحل تاركاً وراءه إرثاً من العلم والعمل، ومن النضال والمجاهدة، ومن التجربة والممارسة، رحل صابراً محتسباً راجياً رحمة ربّه.

يمثل السيد الهاشمي أحد أركان مدرسة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه)، كما يعتبر واحداً من أهمّ رجالات الخطّ الإسلامي، حيث التحق به منذ تفتّح زهرة شبابه، فقدّم التضحيّات ولاقى العذابات من النظام الجائر، وكان واضحاً دوماً في مواقفه من القضايا الكبرى في الأمّة، مهتمّاً بالوحدة والتكاتف، متطلّعاً ساعياً

لأن تكون هناك تجربة إسلاميّة أنموذجيّة في عصرنا الحديث قادرة على الاستجابة لمتطلّبات العصر، وتقف سدّاً منيعاً في مواجهة كلّ المؤامرات التي تحاك لأوطاننا وللأمّة كلّها.

لم يقف فقيدنا الغالي عند حدود الأماني، بل خاض تجربةً جديرة في المؤسّسات القانونيّة الأكثر أهميّةً في الجمهوريّة الإسلاميّة، وكان ـ كما سمعتُ منه أكثر من مرّة ـ يحمل الكثير من الهمّ لأجل النهوض القانوني الشرعي الأفضل بواقعنا. لقد كانت لديه العديد من الأفكار في هذا المجال، نجح في تحقيق بعضها، ولم تُسعفه الظروف لتحقيق ما تبقّى.

كان (رحمه الله) يتطلّع نحو إيجاد تطويرات في العلوم الشرعيّة وفقاً لمعاييره وقناعاته التي آمن بها، كانت هذه الرحلة أكثر حساسيةً وتحتاج للكثير من العمل والتفكير، ولم تكن مؤسّسة (دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام) سوى واحدة من خدماته للفقه والعلوم الشرعيّة، وما أنتجت هذه المؤسّسة المباركة من موسوعات ومعاجم ونشريّات تخصّصيّة تتصل بالفقه الإمامي من جهة، وبالفقه المقارن بين المذاهب الإسلاميّة من جهة ثانية.. لقد كان متحمّساً قبل بضع سنوات ـ وأنا أستمع إليه ـ لأن تُدوَّن معاجم وموسوعات فقهية قانونيّة مشتركة، تتداخل فيها مساهمات الفقه والقانون، ويصل فيها صوت الفقه للقانون الحديث وبالعكس، وكنت أسمعه في أكثر من مرّة يقول: من الضروري لنا فهم التجارب القانونيّة

في العالم؛ لا لكي نستفيد منها فحسب، بل لكي نفهم أنماط التفكير العقلائي في مجال تدبير الحياة أيضاً، بما يمكّننا من فهم النصوص الشرعيّة والتجربة القانونيّة الإسلاميّة نفسها.

أمّا في تجربتي الشخصيّة معه، تحت منبره وفي مؤسّسته العلميّة، والتي تمتدّ لعشرين عاماً تقريباً، فقد وجدته معي متفهّماً رحيماً حامياً حسن الظنّ، وأفضالُه عليّ لا يمكنني أن أنساها، فرحمك الله يا أُستاذي الغالي من أبٍ ومعلّم، وأسكنك فسيح جنّاته، وحشرك مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء، ومع من تحبّ وتتولّى محمد وآله الطاهرين عليهم أفضل الصلاة والسلام، وحسُن أولئك رفيقاً.

إنّنا إذ نعزّي الأمّة الإسلاميّة وعلماء المسلمين والحوزات العلميّة برحيل هذا العَلَم الخادم للإسلام، نتوجّه إلى أسرته الفاضلة الكريمة بأحرّ التعازي سائلين المولى عزّ وجلّ لهم جميعاً الصبر والسلوان، وأنّ يقرّ أعينهم بخَلَفه الصالح، إنّه ولي قريب.

شكر وتقدير

٢٩ ـ ٤ ـ ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد في الحديث الشريف: «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق».

أحبّ هنا ـ بمناسبة صدور القرص المدمج الجامع لأعمالي التأليفيّة المتواضعة ـ أن أتوجّه بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في إنجاز هذا الأمر.. وأخصّ بالذكر أخي العزيز وصديقي الطيب سماحة الشيخ مصطفى مهدوي (حفظه الله تعالى)، فقد تجشّم لأشهرٍ عدّة عناء المتابعة والتنسيق والاهتمام بمختلف المراحل الإجرائيّة التي احتاجها هذا العمل.. إنّني إذ أشكره من كلّ قلبي، أسأل الله له كلّ خير، وأن يوفّقه في أموره كلّها لما فيه صلاح الدنيا والآخرة، ولا يحرمني من إخوة وأصدقاء مخلصين مثله.. إنّه وليّ قدير وبالإجابة جدير.

العالم العامل السيّد علي رضا الحائري في ذمّة اللّه

١٨ ـ ٧ ـ ٢٠١٩م

إنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم

بلغنا بحزنٍ وأسف وتسليمٍ بقضاء الله تعالى، خبرُ وفاة سماحة السيّد علي رضا الحائري رضوان الله تعالى عليه، رئيس مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي وفقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، خلفاً للمرجع الديني الراحل السيد محمود الهاشمي الشاهرودي (رحمه الله).

لقد كان ـ رضوان الله عليه ـ من تلامذة الإمام الشهيد السيد محمّد باقر الصدر، وقد سعى لتربية جيل من التلامذة عبر عقود من الزمن لم يتوقّف فيها عن التربية والتعليم..

إنّنا إذ نعزّي الأمّة الإسلاميّة والحوزات الدينيّة وأسرة الفقيد برحيل هذا العالم العامل، نسأل الله تعالى له المغفرةَ والرضوان وعلوَّ الدرجة والمقام، وأن يحشره مع الأنبياء والصالحين، مع محمّد وأهل بيته الطاهرين. آمين.

المرجع الديني سماحة الشيخ محمّد آصف محسني في ذمّة اللّٰه

٦ ـ ٨ ـ ٢٠١٩م

إنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم

تلقّينا ببالغ الحزن والأسى نبأ رحيل المرجع الديني والفقيه المجاهد سماحة الشيخ محمّد آصف محسني (رضوان الله تعالى عليه)، وهو العالم المناضل الذي شارك شعبَه في النضال ضدّ الاحتلال والعدوان، وكان مثالاً للعالم العامل الذي عاش النصوص والواقع معاً.

لقد كان (رحمه الله) من تلامذة الإمام الخوئي المبرّزين في مجال علم الحديث والرجال، وكان شجاعاً فيما يَطرح، وله رؤيته الخاصّة وقراءاته المستقلّة للتراث الإسلامي.

كما كان (رحمه الله) من روّاد التقريب بين المذاهب، وكانت له طروحاته المتنوّعة وأعماله المختلفة التي تكرّس ثقافة التقريب

والوحدة بين المسلمين، وهو من ذاك الرعيل الذي عاش التحرّر من الجمود، والعمل على نهضة الأمّة المسلمة جمعاء.

لقد تشرّفتُ بلقائه لأكثر من مرّة، وأجريتُ معه حواراً أعتزّ به نشرتُه في ملحقات كتابي المتواضع (نظريّة السنّة في الفكر الإمامي الشيعي)، وقد لمستُ منه التواضع وبساطة التعامل وعفويّته.

يحقّ لبلاد الأفغان أن تفتخر بما خرّجَت من علماء ومجاهدين، فهي بلادٌ لطالما كانت عبر التاريخ خزّاناً للمفكّرين والعلماء والعاملين، بلادٌ نسأل الله تعالى أن يكشف عنها كلّ الكربات، ويعيد لها تاريخها وما هو أفضل إن شاء الله.

إنّنا إذ نعزّي الأمّة الإسلاميّة والحوزات الدينيّة وأسرة الفقيد برحيل هذا الفقيه الكبير، نسأل الله تعالى له المغفرة والرضوان، وأن يحشره مع الأنبياء والصالحين، مع محمّد وأهل بيته الطاهرين. آمين.

قراءة الرموز والشخصيّات في سياق المقارنات مع الفكر العالمي

٧ ـ ٧ ـ ٢٠٢٠م

في أجواء الذكرى السنويّة العاشرة لرحيل العلامة السيّد محمّد حسين فضل الله، أحببت أن أشارك بفكرة بسيطة، وليست جديدة.

شاركتُ مؤخّراً ـ بصفة أستاذ مناقِش ـ في جلسة مناقشة (تصميم) أطروحة دكتوراه، لأحد الطلاب الجامعيّين في جامعة الأديان والمذاهب، في اختصاص مقارنة الأديان، وكان موضوع ورقة التصميم البحثي: «حوار الأديان من منظور اللاهوت الثقافي، قراءة مقارنة تحليليّة وتقويميّة في ضوء أعمال كلّ من بول تيليش (١٩٦٥م) والعلامة فضل الله (٢٠١٠م)». لقد استفدت شخصيّاً من هذا اللقاء.

ما يلفت نظري هو أنّنا لم نشتغل بما فيه الكفاية على دراسة رموزنا الفكريّة والدينية من منظور المقارنة مع الفكر العالمي، وغالباً ما كانت المقارنات داخل مذهبيّة أو داخل إسلاميّة، أو فلنقل: محليّة، من

هنا أجد من الضروري **أن نقرأ فكرنا من خلال قراءة فكر رموزنا في سياق التحليل والمقارنة مع الفكر العالمي**؛ لأنّ ذلك سوف يساعدنا أكثر على فهمهم من جهة، وتحديد الإضافات النوعيّة الحقيقيّة التي قدّموها من جهة ثانية، وتخفيف لهجة المبالغة ـ على هذا المقلب أو ذاك ـ التي قد يستخدمها بعضنا أحياناً من جهة ثالثة، فتنوّع المقارنات يمكنه أن يرينا في الشخصيات وجوهاً وزوايا لم نكن نراها من قبل، فنقدّرهم أكثر ونعيهم بشكلٍ أصحّ، ونصنّفهم في سياق مسارات تطوّر الفكر البشري المعاصر بشكل أدقّ.

لهذا نصيحتي لنفسي وكلّ الإخوة والأخوات والأصدقاء، أن يهتمّوا في أعمالهم الجامعيّة والحوزويّة، عندما يريدون دراسة شخصيّات أو أفكار، بإجراء مقارنات تتخطّى دوائرنا المحلّيّة.

استحلاب النصوص والتاريخ

١٠ ـ ٢ ـ ٢٠٢١م

أعني بمشروع الاستحلاب ذلك المسار الذي يشتغل على استحلاب النصوص والوقائع بهدف أخذ أجوبة منها مهما كان الثمن. كلّنا يعرف الفكرة التي تقول بأنّ علينا استنطاق القرآن ـ على سبيل المثال ـ وتوجيه أسئلتنا له، لكنّ الخطأ في هذه الفكرة ـ أحياناً ـ هو وجود افتراض مسبق أنّ النص لابدّ أن يكون قد تكلّم عن هذه الفكرة، ومن ثم فعملي هو البحث عمّا تكلّم به، في الوقت الذي ربما لا يكون النص قد تكلّم عن هذه الفكرة أساساً، الأمر الذي يعرّض عمليّة التفسير والتأويل لمخاطر جمّة.

ليس كلّ ما يجري من حولنا أو نسمع من وقائع أو أفكار في مجال الفكر والعمل والسلوك وغير ذلك، يجب أن يكون هناك جواب عنه في النصوص والوقائع التاريخيّة للأديان (طبعاً هذا وفقاً لقناعتي التي قد يختلف معي فيها آخرون، وقد تعرّضت لها بالتفصيل في كتابي

المتواضع: شمول الشريعة). إنّ مصادرة ضرورة وجود جواب عنه وموقف تجاهه هي تماماً كمصادرة عدم وجود موقف أو جواب عنه في النصّ، كلاهما مصادرة غير مؤكّدة بعد. **والطريق الصحيح هو أن نذهب نحو النصوص حاملين معنا ـ فقط ـ احتمال أنّ لديها كلاماً في هذا الأمر، وهذا ما سوف يسهّل علينا عمليّة التفسير؛ لأنّه ـ من جهة أولى ـ لن يفرض علينا منذ البداية استبعاد النصوص، كما لن يدفعنا ـ من جهة ثانية ـ لاستخراج أمور من النصوص بالقهر والقوّة، فيما أسميتُه الاستحلاب.**

كثير من التفاسير العلميّة اليوم ومشاريع الحديث عن موقف الدين من آلاف القضايا الفكريّة والعلميّة والعمليّة وغير ذلك، لا يمارس ـ في تقديري ـ سوى استحلاباً للنصوص، لا يمكن فهمه إلا في ضوء نظريّة موت المؤلّف، وليس في ضوء نظريّة اكتشاف مراد المؤلف من كلامه أو فعله.

إنّ علينا التروّي كثيراً قبل الحديث عن استنتاج العلوم الإنسانيّة والطبيعيّة والطبّ وغير ذلك من النصوص والأفعال التاريخيّة، إنّها عمليّة تبدو بظاهرها رومانسية متعاطفة مع النصّ؛ لأنّها تريده أن يحافظ دوماً على سلطته، لكنّها قد تكون في واقعها أكبر عمليّة تشطير وتمزيق للنصوص عبر التاريخ.

قرأت ذات يوم كلاماً لشخصيّة معروفة تدعو لاستنطاق علم أصول

الفقه بهدف إنتاج مشروع العلوم الإنسانيّة الإسلاميّة. إنّ هذه الفكرة مبالغٌ بها برأيي المتواضع، وأكبر الأخطاء التي نقع فيها أن نطرح فكرة أو شعاراً لنؤسّس في ضوئه مشروعاً، قبل أن تكون الفكرة قد أُثبتت أصلاً، الأمر الذي يجرّ لعمليّة الاستحلاب المهولة هذه.

إنّ مشروع الاستحلاب لا يقف عند النصوص الدينية الأصليّة اللفظيّة، بل يمتدّ لوقائع التاريخ، فيتمّ استخراج التفاسير من واقعة تاريخيّة، ليس لأنّ الواقعة تحمل هذا التفسير في حقيقة الأمر، بل لأننا نحتاج لغطاء ديني لهذا التفسير الأمر الذي يمكن تأمينه من خلال استحلاب الواقعة إلى ما لا يتناهى، وفي كلّ زمان يولد تحدٍّ فكريّ جديد فتأخذ الواقعة نفسها تفسيراً آخر! إنّ تصرّفاً طبيعيّاً عادياً متوقّعاً وبسيطاً وقع من نبيّ أو وصي أو شخصيّة بارزة ذات قدسيّة قبل مئات السنين، تقدر عمليّةُ الاستحلاب هذه على خلع معانٍ كبيرة لا متناهية عليه قد لا تكون في بال الفاعل أصلاً، سلسلة طويلة من الاحتمالات التفسيريّة تتحوّل فجأة إلى تفاسير مؤكّدة! وهذا ما يؤدي الى تضخّم دراسات التاريخ والسيرة التحليليّين بطريقة متورّمة وليست صحيّة. بل حتى نصوص الباحثين والعلماء عبر التاريخ يتمّ استحلابها أيضاً، فإشارة سريعة من عالمٍ ما قبل قرون لها صلة بنظريّة حساب الاحتمالات يدفع لاستحلابٍ النصّ بهدف تأكيد أنّ منظومة حساب الاحتمالات تمّ اكتشافها من قَبل! في حين النصّ لا يشير سوى لأمر طبيعي بسيط ذي صلة بالفكرة.

لست هنا بصدد مقالة بحثيّة بقدر ما أجد نفسي بصدد التنبيه على ضرورة الرأفة بالنصوص والوقائع، ولزوم التفاعل العفوي والمنطقي معها، وتقديم تفاسير تملك تبريرها من داخلها، وإلا فلن تكون سوى تفاسير محتملة لا غير، ولست بصدد نفي احتمالها هنا، بقدر ما أنّني بصدد نفي تبنّيها بمجرّد قابليّتها الاحتماليّة المحضة.

دينُ الخروجِ من الدين

١٢ ـ ٢ ـ ٢٠٢١م

يُعرف المؤرّخ والفيلسوف الفرنسي المعاصر مارسيل غوشيه على أنّه صاحب نظريّة: «المسيحيّة هي دينُ الخروجِ من الدين». وليس يعنيني هنا سوى استعارة الجملة منه، لكي أنقل من خلالها فكرتي التي أريد توضيحها.

عندما أقول: دينُ الخروجِ من الدين، فإنّ هذه الجملة ـ بالنسبة لي، وبعيداً الآن عن غوشيه ـ يمكنني أن أضعها ضمن سياقين:

السياق الأوّل: أن ننتج ديناً ـ أي قراءة للدين ـ تدّعي أنّها تريد أن تحفظ الدين في العصر الحديث وتجعله قادراً على البقاء في ظلّ تمدّد مرجعيّة العلم بشقّيه: الطبيعي والإنساني، ولكنّ هذه النسخة من الدين تبلغ حدّاً في تركيبتها وبنيتها أن عندما تحضُر فإنّ مآلات ذلك ليس سوى تلاشي الدين من حياة الناس. إنّها أشبه شيء بورقة رقيقة للغاية لا تقدر على تحمّل أي مؤثر خارجي ولا أن تقوم بدور

فاعل، فتتمزّق وتنتهي إلى أن تُصبح رماداً تذروه الرياح.

هذا ما أفضّل أن نطلق عليه: الدين الرقيق أو الخفيف، الذي خسر نفسه بسبب رقّته وخفّته، فهو قد ألقى بحمولاتٍ كثيرة فيه حتى بات خفيفاً للغاية يتطاير في الهواء ولا يحمل في داخله مضموناً وازناً قادراً على المنافسة الحالية القائمة أو على سدّ فراغ حقيقي.

السياق الثاني: أن ننتج ديناً ـ أي قراءة للدين ـ تدّعي أنّها تريد حماية الدين من العصر الحديث، وليس كما في النسخة الأولى التي تريد حماية الدين في العصر الحديث، فالعصر الحديث بالنسبة للنسخة الثانية هو عدوّ ينبغي الوقوف في وجهه بالإصرار والعناد ما أمكن، ولا يمكن التفاوض معه، وأيّ تنازل في التفاوض سوف يجرّ إلى انهيار عقد السبحة؛ لهذا يجب إبقاء النسخة التراثيّة، بل والزيادة عليها ما أمكن، والسعي لتكبير حجم الدين وادّعاء تحدّثه فيما يخصّ مساحات واسعة من حياة البشر، ورفع مستوى الصوت بها كي نحمي الدينَ اليوم ونجعله قادراً على أن يقدّم بدائل في مقابل منافسه (العلم).

لكنّ هذه النسخة بطريقتها هذه وثقل مضمونها تغرق في مستنقعها الذي تنكره وتتنكّر له، ويزداد غرقها شدّةً بزيادة ثقلها؛ خاصّة وأنّها بكثرة مدّعياتها تفتح على نفسها عدداً أكبر من الجبهات.

هذا ما أفضّل أن نسمّيه: الدين الثقيل الذي خسر نفسه بثقله،

وبتنكّره للواقع المحيط به وبقدرات منافسه.

بهاتين الطريقتين نُولِد ديناً لا يفضي سوى للخروج من الدين، فنهايته هو انتهاء عصر حضور الدين في حياة الناس أو على الأقلّ تراجعه؛ لأنّ «انتهاء الدين من حياة الإنسان الحديث، وخاصّة الأديان التاريخيّة كالأديان الإبراهيميّة الثلاثة» مقولةٌ سبق وأن تراجع عنها العديد من علماء الاجتماع، خاصة لجهة وجود مجتمعات أكثر حداثة وأكثر تديّناً في الوقت عينه، مثل المجتمع الأمريكي.

ما أودّ استخلاصه ممّا تقدّم هو الآتي: أيّ شخص يريد اليوم أن يقدّم قراءة للدين، فإنّ أحد عناصر تقويم هذه القراءة هو:

أ. العنصر المنهجي الاجتهادي، وهو الذي نشتغل عليه عادةً في مقارباتنا الدينيّة على مستوى الأطراف كافّة، مستخدمين العُدد المعرفيّة من العقل والتاريخ واللغة وغيرها.

ب. لكنّ العنصر الآخر المهم من منظور اجتماعي وحضاري وأنثروبولوجي هذه المرّة، هو رصد مستوى صمود الدين ـ وفقاً لهذه القراءة أو تلك ـ أمام العصر الحديث، وهذا ما يجعلنا بحاجة لعصف ذهني متواصل يشارك فيه علماء نفس وسياسة واجتماع وتاريخ وغير ذلك لتقدير مستوى قدرة هذه القراءة أو تلك على البقاء حيّة اليوم. ومعنى البقاء حيّة ليس مدى قبول الناس أو انسجام هذه القراءة

مع رغباتهم، **بل مدى قدرة هذه القراءة على أن تُحافظ على بقاء الدين في ظلّ وجود منافِسين كبار مثل (العلم)**، وأن تقدّم في مقابلهم بدائل حقيقيّة وازنة ولو ضمن دائرة مهمّة ومحدّدة من حياة البشر.

متى ندرك أنّنا أحرار؟

١٤ ـ ٢ ـ ٢٠٢١م

هناك كلمة شهيرة منقولة عن المفكّرة الثوريّة الماركسيّة روزا لكسمبورغ (١٩١٩م)، تقول فيها: «إنّ أولئك الذين لا يتحرّكون، لا يمكنهم أن يدركوا أنّ أرجلهم مكبّلة بالسلاسل الحديديّة».

الفكرة الرئيسيّة هنا هي أنّه لا يمكنك أن تعرف مستوى الحريّة أو العبودية التي تعيش فيها إلا إذا حاولت أن تتحرّك وتكسر جدار السكون الذي يحيط بك.. في هذه اللحظة ستعرف الصورة الحقيقيّة للواقع.

هذا الكلام يمكن ترجمته على خطّين:

أ. **الخطّ المجتمعي العامّ**: إنّ قياس درجة الحريّة في مجتمعٍ ما أو في فضاء علمي معيّن، رهينٌ بدرجة إحساس المخالفين لهذا المجتمع في الرأي بالحريّة، وليس رهيناً لدرجة إحساس الموافقين بها. إنّ أولئك الموافقين

للسلطة يملكون حريّة عالية، فهم ليسوا معياراً لها، لأنّهم ـ بمعنى من المعاني ـ لا يتحرّكون، بل المعيار هم أولئك الذي يعارضونها، هل بإمكانهم أن يقولوا ما لا يروق لها أو لا؟ إنّ السلطة التي تدّعي أنّها تؤمن بحريّة التفكير أو بفتح باب الاجتهاد والنظر، عليها أن تراقب نفسها في نفوس من يخالفها في الرأي؛ فهل هم خائفون منها أو لا؟ هل يمارسون التقيّة معها أو لا؟ هل التملّق والازدواجية والنفاق والمصلحيّة هي الحاكمة في علاقاتهم معها أو لا؟ وقبل أن نعترض على فلان أو فلان أنّه حذرٌ في كلامه دائماً، علينا أن نسأل أنفسنا لماذا هو كذلك؟ ولماذا توجد ظاهرة من هذا النوع في المجتمع؟

هذا معيار مهمّ جداً لرصد مستوى قدرة السلطة السياسيّة أو الدينيّة أو الإعلاميّة أو غيرها على تأمين فضاء من الحريّة الفكريّة المسؤولة.

ب. **الخطّ الفردي الخاصّ**: إنّ الفرد نفسه لا يمكنه أن يدرك أنّه متحرّر إلا إذا نجح في أن يواجه سلطته الداخليّة، وليس المعيار في تحرّره أن يفكّر ويبحث ويتأمّل، فإنّ الفكر والبحث والتأمل نصيب الجميع، بينما التحرّر الفكري هو نصيب ذلك الشخص الذي قدر وأحسّ بمواجهته لفكره، فهل قدر أن يواجهه؟ وهل تمكّن يوماً أن يفكّر

خارج صندوقه أو أنّه في كلّ مرّة حاول ذلك خاطبته نفسه بما يوجب القلق والخوف والاضطراب أو أُصيب بنوبة هلع؟

قبل أن نحكم على أنفسنا وعلى الآخرين، علينا نحن أن نتحرّك؛ لنكتشف هل نحن مكبّلون بسلاسل حديديّة أو لا؟

كالعادة يجب عليّ أن أُشير أخيراً إلى أنّني لست بصدد الدفاع عن الحريّة المطلقة ولو غير المسؤولة، **لكنّني مهتمّ جدّاً بوضع تعاريف دقيقة للحريّة المسؤولة وغير المسؤولة، حتى لا تذهب الحرية الحقيقيّة ضحيّة شعار الحريّات غير المسؤولة!**

السياسة الخارجيّة للحوزة العلميّة

١٦ ـ ٢ ـ ٢٠٢١م

لا يكاد من السهل معرفة ما هي السياسة الخارجية التي تتبعها الحوزات العلميّة في العالم وفي الحواضر الكبرى، فليس هناك رؤية مدوّنة يمكن البناء عليها، بل الباحث الناظر عليه أن يدرس المسلكيّات ويحلّل الأداء ويجمع المواقف من الوقائع والأحداث، ليكتشف من ذلك السياسةَ الخارجيّة، فما هي أصول السياسة الخارجيّة المرسومة للعلاقة مع المذاهب الأخرى في العالم الإسلامي؟ وما هي معالم السياسة الخارجيّة في العلاقة مع الأديان الأخرى؟ مع الدول والحكومات الدينيّة وغير الدينيّة، المسلمة وغير المسلمة؟ مع الثورات والانقلابات؟ مع التيارات الفكرية الحادثة التي تتوسّع اليوم؟ مع القواعد الشعبيّة المؤمنة؟ مع التيارات والأحزاب السياسيّة الإسلاميّة وغير الإسلاميّة؟ ومع الاصطفافات المتنوّعة التي يشهدها العالم الإسلامي اليوم؟ إلى غير ذلك.

من هنا، أقترح على طلاب الحوزات والجامعات المهتمّين بمثل

هذه الموضوعات، أن يخصّصوا بعض رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه لدراسة هذا المشهد، وتعيين البنود غير المنصوصة لمعالم السياسة الخارجيّة في الحوزة العلمية، وهو ما يمكن دراسته أيضاً بشكل مصغّر.. مثلاً: الحوزة العلميّة في قم وأداء السياسة الخارجيّة، أو الحوزة العلميّة في النجف وأداؤها الخارجي.. وهكذا. بل يمكن إجراء مقارنات: هل كان أداء هذه الحوزة أو تلك على هذا الصعيد أفضل؟ وأين؟ على سبيل المثال ثمّة من يعتبر اليوم أن زيارة البابا فرانسيس المرتقبة للمرجع الديني الكبير السيد علي السيستاني، هي بمثابة إنجاز تاريخي لمرجعيّة النجف وقدراتها التواصليّة، على عكس حوزة قم التي تتجاذبها أطراف وأقطاب مختلفة لا تسمح لها بانفتاحات من هذا القبيل.. هذا مثال يمكن دراسته وتقويمه بتأنّ وموضوعيّة للخروج بنتائج مفيدة.

غالب الظنّ أن جيلاً من هذا النوع من الدراسات يمكنه أن يوضح الكثير من الصورة من جهة، ثم يسمح لنا في المرحلة التالية بإجراء تقويمات حول السياسة الخارجية وأنّها هل تحتاج لتعديل أو لا؟ وأين تكمن عناصر قوّتها وضعفها؟ وما هي متطلّبات المرحلة القادمة؟ وغير ذلك.

كلّنا أمل بجيل من الشباب الحوزوي والجامعي المنفتح في أعماله وكتاباته على موضوعات حيّة من هذا النوع، يمكنها أن تساعد في نضوج قراءتنا للأمور وتجويد الأداء.

من تفسير النصّ الديني إلى الاتصال الوجودي به

١٥ ـ ٢ ـ ٢٠٢١م

قرأت منذ مدّة دعوة وجّهها أحد الباحثين الإيرانيّين (غاب عنّي اسمه الآن) لما يمكن تسميته: نهاية عصر تفسير القرآن، نحو بداية عصر العلاقة مع القرآن أو المواجهة الوجوديّة معه.

الفكرة باختصار ـ كما أذكرها وأفهمها ـ تعني أو تتضمّن، وفقاً لتحليلي الشخصي، أنّ الاستغراق في مراكمة التفاسير عمليّةٌ لن تنتهي وسوف تدفعنا دوماً للمزيد من الرأي والرأي المضادّ وتزايد حجم التفاسير بما يشكّل طبقات حاجبة بمرور الزمن عن الوصول للنصّ وروحه ورسالته الأصليّة، مما يكرّس علاقتنا بالتفاسير السابقة أخذاً وردّاً أكثر من علاقتنا بالكتاب الكريم نفسه، وهو ما كان يُطلق عليه الدكتور محمّد أركون: الطبقات الجيولوجيّة للنصّ.

لست أُريد أن أنتصر لفكرة نهاية عصر تفسير القرآن، وأتركها لمناسبةٍ ثانية، لكنّني الآن أريد أن أنتصر للبديل الذي يتحدّث عنه

صاحب الاقتراح، وهو الاتصال الوجودي بالنصّ القرآني. إنّني أعتقد بأنّه ضروريٌّ جدّاً، وفي الوقت عينه ليس فكرةً جديدة بالكامل، بل تحدّث عنها بنحوٍ ما العرفاءُ والأخلاقيّون كثيراً.

حصيلة الفكرة أنّ المهم هو أن أُطلق أحاسيسي عند اتصالي بالنصّ القرآني قراءةً واستماعاً، ليس المهم أن أعرف تفاصيل التفاسير، بل المهم الإحساس المعنوي بالروح القرآنيّة، ولو ضمن الحدّ الأدنى للمعنى المأخوذ من النصّ، ولتذهب أحاسيسي حيث تريد دون أن تَنسِبَ نفسَها تفسيراً للنصّ، فمثلاً عندما أقرأ وقائع الآخرة ويوم الدينونة، فليس المهم أن أحدد هويّة الحور العين أو أن أعرف معنى «مدهامّتان»، بل المهم أكثر الآن أن أندمج عاطفيّاً وشعوريّاً مع الحدث، فأستشعر الخوف من الله والرغبة في رحمته. إنّ تفاصيل النصّ ومعناها ليس مهمّاً هنا، إنّما الوقع النفسي للنصّ على أرواحنا يغدو أكثر أهميّة في لحظة المطالعة.

تنبني هذه الفكرة أيضاً على خاصيّة الدفع والخلق في النصوص الدينيّة، فهذه النصوص لا تعطي معلومات فقط، بل فيها سمة عجيبة تخلق في قارئها المؤمن بها حالة نفسيّة ورهبة وعشق، إنّ الإيمان بهذه النصوص ليس كالإيمان بكتب الفلاسفة، بل هو شيء يجعلك أسيراً لها منفعلاً لوقعها الروحي، إنّها مليئة بفعل الخلاقيّة الخيالية والمؤثرات الصوتية والتصويريّة، لهذا فهي لا تترك عقلك الخالص يتحرّك لوحده بل تخاطب فيك مكاناً آخر أيضاً.. خذ مثالاً الموسيقى

الراقية قد لا يهمّني ماذا قصد المؤلّف بقدر ما أستخدمُها وسيلة للتسامي الروحي أو تفريغ الطاقة السلبيّة أو هيجان العاطفة أو الحزن أو غير ذلك.

إذا لم أكن موافقاً بشكل تامّ على فكرة نهاية عصر تفسير القرآن، لكنّني موافق بالتأكيد على أنّ المؤمنين ينبغي أن يتعاملوا مع النصّ الديني المقدّس لديهم ليس من وحي كونه مصدراً معرفيّاً فقط، بل هو ظاهرة وجوديّة يتبع الاحتكاك بها تأثيرات نفسيّة فريدة، ولعلّ هذا ما تختصره الفكرة القرآنية التي تكرّرت أكثر من مرّة من أنّ دور النبوّات هو «التعليم والتزكية» معاً، فهي لا تعلّمنا التزكية، بل تفعل فينا فعل التزكية عندما تتهيّأ نفوسنا لذلك ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢]، ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر الآية: ٢٣].

الجامعيّون أيضاً معنيّون بالدراسات الدينيّة!

٢٢ ـ ٢ ـ ٢٠٢١م

اعتدنا عندما نتحدّث عن دراسة الدين أن نتكلّم عن الحوزات العلميّة والمعاهد والجامعات الدينيّة، بوصفها الجهة المختصّة بالدراسات الدينيّة، ومن ثمّ فالدراسات الدينيّة هي وظيفة المنتسبين لهذه المؤسّسات والمدارس والجامعات.

هذا صحيح، لكن ما أريد أن أتحدّث عنه هنا هو أنّ هناك شريحة من الشباب المؤمن يمكن أن تدخل في دائرة الدراسات الدينيّة رغم عدم انتسابها لهذه المؤسّسات التعليميّة، وهي في الغالب الشريحة المعنيّة بدراسات العلوم الإنسانيّة، كعلوم النفس والاجتماع والانثروبولوجيا والسياسة والتاريخ والآثار والحفريات واللغة والأدب والفنّ والموسيقى والقانون والأديان المقارنة والإعلام والفلسفة بفروعها، فهذه العلوم بمقدورها اليوم أن تتناول القضايا الدينية من منظورها.

ما أعنيه هو أنّ جيلاً من الشباب الجامعي المؤمن يمكنه أن يقدّم

مساهماته في فهم الدين من هذه الزوايا التخصصيّة، محاولاً تحقيق هدفين:

أ. إثراء الساحة الدينيّة بدراسات حول الدين من زوايا لا تَعرف أغلبَها في العادةِ الحوزاتُ العلميّة؛ لأنّها خارج اهتماماتها الأوّليّة وفقاً لبرامجها الدراسيّة.

ب. محاولة تقديم قراءة للدين من زاوية هذه العلوم لا تسعى لتصفية حساب مع الدين أو تنطلق من مصادرة نفيه، بل تتعامل معه ـ في الحدّ الأدنى ـ بحياديّة. لا نريد فرض أيديولوجيا دينيّة على العلوم الإنسانيّة (خاصّة وأنّني شخصيّاً لا أؤمن بمشروع أسلمة العلوم بشكله المتطرّف الذي يطرح اليوم في غير مكان)، لكنّنا لا نقبل بفرض أيديولوجيا علمانيّة عليها، فلتُترك الأبواب مفتوحةً في هذه العلوم لمزيد من التطوير وتنوّع القراءات.

من هنا، دعوتي المتواضعة ـ بوصفي طالباً معنيّاً بالدراسة الدينيّة ـ هي لإخوتنا من طلاب الجامعات في العلوم الإنسانيّة من الذين يؤمنون برسالة الدين من حيث المبدأ، أن يقدّموا مساهماتهم ويختاروا العناوين التي تطوّر الوعي الديني وتقدّم قراءات بديلة للدين في وسط العلوم الإنسانيّة، فهم معنيّون بالدراسة الدينيّة من زاوية العلوم الإنسانيّة، وهذه في تخميني وظيفة إيمانيّة تجمع بين إيمانهم وعلمهم دون تحيّزات مغلوطة.

ولهذا السبب دعوتُ سابقاً طلاب الحوزات الدينيّة أن يلتحقوا بالجامعات أيضاً، ليس لأجل عُقدة كما يتصوّر بعضُنا، بل لأنّه لا يمكن اليوم تحقيق استمراريّة دراسة الدين دون وجود أجيال جامعيّة متخصّصة داخل الحوزات العلميّة، هذا كلّه شرط أن تكون الجامعات التي ينتسبون إليها جامعاتٍ منفصلة عن الحوزة، بمعنى أنّها ليست في جوهرها حوزات، فهذا لن يخدمنا؛ لأنّه ليس المهم لنا هو العناوين والمناصب (دكتور ـ بروفيسور..)، بل المحتوى الذي يعرّفني على العلوم الحديثة الإنسانيّة من مصدرها وجوهرها وداخلها وفضائها الفكري ومناخها الثقافي.

هل يتناقص عدد المنتسبين للحوزات الدينيّة في العالم؟!

٢ ـ ٣ ـ ٢٠٢١م

وفقاً لمعلومات دقيقة من جهات مطّلعة على الوضع الحوزوي الداخلي، فإنّ عدد الملتحقين سنويّاً بالحوزات العلميّة آخذٌ ـ منذ أكثر من عقد من الزمن ـ بالتناقص التدريجي، والأرقام في بعض الحوزات والمناطق تبدو مفاجئة على هذا الصعيد، وإن كانت مناطق أخرى يبدو الوضع فيها طبيعيّاً.

ثمّة أسباب عدّة لهذه الظاهرة في تقديري، ويمكن ذكر الآتي:

١. انتهاء عصر تأثير المدّ الإسلامي الإحيائي الصاعد في العالم الإسلامي منذ ستينيّات القرن الماضي وصولاً لبدايات القرن الواحد والعشرين، والذي رفع من مستوى الإقبال على المعرفة الدينيّة، الأمر الذي يُتوقّع معه تراجع هذا الإقبال عند استقرار الأمور.

٢. تراجع نسبة فرص العمل المنتِجة لما يسدّ حاجة الإنسان

ونفقات أهله وعياله، فإنّ الكثرة العددية في خرّيجي الحوزات من الطبيعي أن يصاحبها تناقص في فرص العمل المنتج اقتصاديّاً، عدا بعض فرص العمل التي تبدو متعبة، كالاستقرار في مناطق أو قرى نائية، خاصّة وأنّ بعضاً من موارد الأخماس والزكوات تشهد تراجعاً ـ ولو محدوداً ـ في مقابل مستحقات كثيرة فرضتها الأيّام. وكلّ المعلومات والإحصاءات تؤكّد أنّ نسبة الميسورين ماديّاً من طلاب الحوزات العلميّة هي ـ عموماً ـ لا تزيد عن العشرة في المائة، وأنّ الكثير من الطلاب يضطرون للعمل في مختلف أنواع العمل الممكنة بهدف سدّ نواقص حياتهم الماديّة، بما في ذلك أعمال لا تنتمي إلى مجال اختصاصهم.

في المقابل، تزايدت فرص العمل وأنواع الاختصاصات الجامعيّة خلال العقود الثلاثة الأخيرة بدرجة عالية جداً، الأمر الذي عزّز المنافسة على هذا الصعيد.

٣. ما يصنّف سبباً مناطقيّاً، وهو تراجع النموّ السكّاني في إيران بالخصوص، الأمر الذي أدّى إلى تراجع نسبة الشباب، ومن ثمّ تراجع عدد المنتسبين للحوزات والجامعات معاً، علماً أنّ إيران لوحدها تحتوي ما يقارب المائتي ألف حوزوي في مختلف المناطق.

٤. فرض بعض الحوزات مزيداً من الشروط والمؤهلات اللازمة في الطلاب المنتسبين إليها، الأمر الذي قلّص فرص الالتحاق بالنسبة لبعض الناس.

٥. شعور العديد من الطلاب الذين التحقوا بالحوزات بأنّها لم تلبِّ ما كانوا ينشدونه من علوم للنهوض بمجتمعاتهم دينيّاً، خاصّة الطلاب الذين أتوا من القارات الأوروبيّة والأمريكيّة والإفريقيّة.

٦. حصول تغيّرات في الصورة النمطية المقدّسة لعالم الدين في المجتمعات الإسلاميّة المختلفة، الأمر الذي خلق إحساساً بأنّ مثل هذا الأمر ربما يجعل الإنسان ـ في بعض المجتمعات على الأقلّ ـ غير مرغوب فيه، أو أنّه فقد بعض جذّابيّته التي كان يملكها. مثل هذا الأمر، وكذلك رقم ٢ السالفة الإشارة إليه، يوجب فقدان الأمل بالمستقبل عند الأفراد الذين يودّون الالتحاق أو يريدون الاستمرار في الدراسة الدينيّة؛ لأنّ صورة عالم الدين قد تهشّمت بفعل بعض الأخطاء من جهة أولى، والتشويه المتعمّد من قبل التيارات المعارضة لرجال الدين من جهة ثانية.

إلى غير ذلك من الأسباب العديدة.

السؤال بالنسبة لي: هل تراجع الأرقام هنا هو مؤشر جيّد أو لا؟ وما

هي تأثيراته السلبيّة والإيجابيّة على حالة الحوزة العلميّة عموماً خلال العقود الثلاثة القادمة؟ هل كان النموّ العددي المفاجئ والسريع بمثابة حمل ثقيل لم تتمكّن الحوزة من الاستجابة له أو لا؟ هل ستفرض هذه الأرقام على المسؤولين والمشرفين على الحوزات الكبرى والصغرى في العالم التفكير بحلول والتأمّل في الوقائع؟

أسئلة كثيرة تستحقّ التفكير والدراسة، من زوايا: دينيّة، وعلم ـ اجتماعيّة، وسياسيّة، واقتصاديّة، وغير ذلك.. نسأل الله التوفيق لكلّ العاملين في هذا المضمار.

آفة الحسد بين الأفراد والجماعات!

٥ ـ ٣ ـ ٢٠٢١م

الحسدُ آفة عظيمة يعاني منها عموم الناس عادةً، وقد حذّرت منها النصوص الدينيّة والأخلاقيّة، وتحدّثت عن أسبابها ونتائجها.

ما أودّ أن أتحدّث عنه هنا هو الحسد الجماعي، وذلك أنّ الحسد يمكن أن يكون من شخصٍ لشخصٍ آخر محدَّدَين، فيحسده على ما آتاه الله من مالٍ أو جاه أو علم أو غير ذلك، ويمكن أن يكون أيضاً من جماعة لجماعة أخرى؛ لأنّ السلوك الأخلاقي السيّء أو الحَسَن يمكن أن يكون مجتمعيّاً ويمكن أن يكون فرديّاً ﴿..لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ..﴾[سورة الحجرات، الآية: ١١].

في الحسد الاجتماعي أو الجماعي، ما شئتَ فعبّر، تسري حالة الحسد في جميع أو أغلب أفراد جماعةٍ ما أو مجتمع معيّن أو فئة معيّنة؛ لأنّها ترى أنّ جماعةً أخرى أو مجتمعاً آخر أو فئة أخرى حقّقت أو حصلت على ما لم تحصل هي عليه، فتبدأ الجماعة بحسد جماعةٍ

أخرى. إنّه أشبه بوباء ينتشر فرديّاً في كلّ ثنايا روح الإنسان فيُعميه ويصمّه ويقتله، كما ينتشر في أفراد الجماعة كالنار في الهشيم. ويتطوّر الحسد في كثير من الأحيان إلى سوء ظنٍّ دائم ومستحكِم، ثمّ حقد (حقد طبقي ـ قومي ـ ديني ـ مذهبي ـ سياسي ـ حزبي..)، ويضرب المرض في أعماق النفس الفرديّة والجماعية بعمق، ويصبح التخلّص منه عسيراً.

دعوني أتكلّم عن نقطتين:

١. من أسباب الحسد أو ملازماته، حبّ التملّك المتفرّد، فالإنسان ـ الفرد أو الجماعة ـ يطغى عليه مرض الرغبة في التفرّد بالتملّك، سواء كان هذا التملّك مادّياً أم معنويّاً، اجتماعيّاً أم سياسيّاً، فهذا المال لي وحدي، وذلك الجاه كذلك، وهذه الجماعة أو المجتمع أو الدين أنا المالك الوحيد لهم، ولا يحقّ لغيري أن يشاركني فيهم! تغوّلُ الملكية الفرديّة بهذا المعنى يجرّ الإنسان نحو الرغبة في سلب أيّ نوع من الملكية عن الآخرين، وهو الحسد المذموم.

٢. التبرير المنطقي للحسد. يجب أن لا نكون بسطاء فنتصوّر أنّ الحاسد لا يحاول خلق تبرير منطقي لما يقوم به. كلّ أنواع الرذائل تقريباً يظهر مبرّرون لها في بعض الأحيان. إنّها النفس الإنسانيّة التي تسخّرُ العقلَ لكي يقدّم لها ما يُرضيها

ولا يزعجها!.. هذا معناه أنّ التبرير المنطقي لا يلغي كونك حاسداً في بعض الأحيان، وأنّ الوسيلة الفاعلة لاكتشاف حيلة النفس الفرديّة أو الجماعيّة هي الخلوة الوجدانيّة الصادقة مع الذات. إنّ التبرير المنطقي يظهر بشكل أقوى في الجماعة الحاسدة؛ لأنّ الأمر يصبح عامّاً، ما يُتيح للتبرير المنطقي أن يوجد ويظهر. وطبيعيٌّ جداً أنّه ليس كلّ تبريرٍ منطقي يقف خلفه حسدٌ، ولا كلّ حسدٍ يرافقه تبريرٌ منطقيّ.

رذيلتا: الحسد وسوء الظنّ من أعظم آفات النفس البشريّة، والمراقبةُ والمحاسبة من أهمّ أدوات الوقاية والعلاج. نسأل الله سبحانه أن يمنحنا قلوباً سليمة صافية نظيفة نقيّة.

عندما يصنعُ النقدُ المحبّةَ!

٦ ـ ٦ ـ ٢٠٢١م

راسلني بالأمس سماحة العلامة الفاضل الشيخ حسن الصفار (رعاه الله تعالى)، ليشير لي إلى أنّني أخطأتُ في رصد تاريخ وفاة الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب كتاب (النور الساطع في الفقه النافع)، وأنّه ليس ١٢٥٣هـ، وإنّما هو ١٤١١هـ، وأنّ هناك شخصين بهذا الاسم، الأمر الذي سبّب لي خلطاً، جعلني أرتّب في بعض المواضع ـ وأنا أقوم في كتاب الاجتهاد المقاصدي والمناطي بالتحليل التاريخي ـ جعلني أرتّب بعض النتائج الخاطئة في حقبة زمنيّة معيّنة هنا أو هناك.

إنّ ما قاله سماحته صحيح تماماً، ولا أدري لماذا وقعت في هذا الالتباس؟! لكنّ المهم أيضاً لي، بعد شكري لسماحته على هذه الإضاءة النافعة، هو أنّني ولمرّات قليلة واجهت نقداً بنّاءً ينطلق من روح صادقة وهادئة ومحبّة وحريصة. في حياتي كان بعضٌ من الذين انتقدوني ـ وليس جميعهم ولا غالبهم بالتأكيد ـ ينتقدون وصدورهم

تغلي غضباً أو ضغينة، وربما كان فيها حقدٌ أو حسد، أو كان منطلقها تصفية حسابات وإفراغ طاقات سلبيّة.

ما أجمل أن يريك أخٌ لك خطأً وقعت فيه صغيراً أو كبيراً، لأنّ في ذلك منفعتين لك:

المنفعة الأولى: هي المنفعة المعرفيّة، حيث تنتفع باكتشاف خطئك، أو ربما يجرّك ذلك للحوار النافع فيما لو كان الناقد نفسه مخطئاً في النقد.

المنفعة الثانية: هي المنفعة الروحيّة والنفسيّة، حيث تشعر مع النقد الصادق النابع من قلب حريصٍ عليك، تشعر أنّك محاطٌ بالعناية، وهناك من يهتمّ لأمرك بروح دافئة.

مثل هذا النقد يدفعك روحيّاً ونفسيّاً لأن تتمنّى كلّ يوم أن ينتقدك الناس. إنّها تجربة أخلاقيّة وروحيّة معاً تظلّ نافعة في أبعادها المتعدّدة.

أشكر سماحة الشيخ الصفار، وكلَّ من قدّم لي ـ سابقاً أو لاحقاً ـ نقداً شبيهاً؛ ليكون النقد تقريباً للقلوب وليس خصاماً بينها، وليكون سَكِينةً وليس ضغينة.

العلوم الإنسانيّة بمثابة أساس لعلم الكلام الديني

١٦ ـ ٧ـ ٢٠٢١م

ربما يمكننا القول بأنّ علم الكلام الإسلامي قد بني على محورية الله، فهو حديث في وجود الله وأسمائه وصفاته (التوحيد والعدل)، وأفعاله (النبوة والإمامة والوعد والوعيد والمعاد وغير ذلك)، حتى أنّ بعض العلماء المعاصرين جعل نظريّة ولاية الفقيه من قضايا الكلام، انطلاقاً من انتمائها لدائرة الفعل الإلهي. وقد كانت لي مناقشة نقديّة لهذا الموضوع بالخصوص (كلاميّة موضوع ولاية الفقيه) في كتابي: فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنّ جعل الله محور علم الكلام كانت له فوائد متعددة، غير أن نصيب غير الله من البحث المحوري كان أقلّ، ولم يكن في الواجهة، بمعنى أن قضايا من نوع النبوّة والإمامة وأمثالهما لا تدرس من زاوية الفعل الإلهي منفصلاً عن دراستها من زاوية كونها تنتمي لقضايا إنسانية، فعندما يقول المتكلم بأن بعثة الأنبياء ضرورية، لحاجة الاجتماع

البشري إليها، فهي واجبة على الله أو منه أو عنه، وفقا لتنوّع تعابيرهم، فهذا يعني أن أساس التحليل هنا هو أساس إنساني، بمعنى تحليل مديات حاجة الإنسان، الفرد والجماعة، للاتصال الوحييّ بالغيب، وهذا ما يكشف لنا أن خلف استدلالات المتكلّمين توجد رؤية حول الإنسان من حيث وجوده وحاجاته ومكوّناته وهويّته وخصائصه وغير ذلك، فعلم الإنسان هو بنية تحتيّة لعلم الكلام في الملفات المتصلة بالإنسان نفسه، الأمر الذي يسمح لنا، من جهة، بتقسيم علم الكلام إلى: علم كلام إلهي، وعلم كلام إنساني.

وفقاً لذلك، فإنّ علم الكلام مطالب أكثر اليوم في ظلّ تطوّرات العلوم المرتبطة بالإنسان، كعلم النفس والاجتماع والانثروبولوجيا وفلسفة التاريخ وغير ذلك، أن تكون له قراءته الواضحة المستدلّة والمعقولة والمرفقة بالشواهد.. للإنسان وهويّته.. بدل بعض الانطباعات المحلية والموروثة مناطقياً أو تاريخيّاً.

هذا يعني أن تطوّر قراءة علم الكلام للإنسان، وعمق وجديّة هذه القراءة، له تأثير كبير في القسم الإنساني من علم الكلام، فلم يعد المتكلم قادراً على بناء منظومة كلامية في النطاق الإنساني دون رؤية جادّة حول الإنسان نفسه، ودون تدوين «علم الإنسان الكلامي» الذي يفتح على منجزات العصر ويحاورها، فالعلوم الإنسانيّة بما هي حقل معرفي تعتبر أساساً من أسس علم الكلام، وهذا لا يعني أنّ واقع العلوم الإنسانية الحاضر هو حقيقة يجب أن يتكيّف معها علم

الكلام، بل بالعكس، عليه أن يقدّم قراءته لقضاياها الأساسيّة التي تشكّل رؤية فلسفية للإنسان وهويته وطبائعه، وهي قراءة قد تلتقي وقد لا تلتقي، لكن المهم **أن تكون قراءة منتَجَة اليوم، وليست مجرّد تكرار عقيم لمنجزات الماضي، وكأنّ البشر لم يعرفوا تطوّراً ما في المجال الإنساني يجب خوض حوار حقيقي معه، وليس تبعيّة عمياء ولا كيديّة أيديولوجيّة.**

المنهج العقلي القبلي والمنهج التاريخي البَعدي في علم الكلام، ضرورة بعثة الأنبياء وحُسنها أنموذجاً

١٨ ـ ٧ ـ ٢٠٢١م

تتنوّع مناهج دراسة مسألة حُسن البعثة على خطّين أساسيّين:

- **الخطّ الأوّل**: المنهج اللمّي، وقد يعبَّر عنه بالمنهج المثالي، وكذلك المنهج القَبلي، وهو الذي شاع اعتماده بين المتكلّمين المسلمين، وهو يقوم على عمليّة تحليليّة عقليّة خالصة تقارب الضرورات والمصالح من وراء البعثة، وذلك بهدف إثبات حسنها وضرورتها، تمهيداً لإثبات تحقّقها الخارجي.
- **الخطّ الثاني**: المنهج الإنّي ـ وفقاً لتعبير الشيخ مرتضى مطهري ـ أو الواقعي أو البَعدي، وهو منهج ظهر بقوّة في العصر الحديث على مستوى الفكر الديني، واعتمده أمثال المهندس مهدي بازرگان (١٩٩٥م) في كتابه «راه طى شده».

لا يهدف هذا المنهج تحديد الفعل الإلهي وضروراته، وأنّ الله يجب عليه كذا ويقبح منه كذا.. لتأكيد أنّه بعث أنبياء قهراً ونصب أئمّة جزماً، وأن علينا البحث عن تعيين من بعثه ونصبه، كما هي طريقة الخطّ الأوّل..

لا يهدف هذا المنهج ذلك، لكنّه يحاول أن يقرأ ظاهرة النبوّات عبر التاريخ بعد وقوعها، لينظر في محاسنها وعناصر قوّتها، فيما ينكشف لنا من معطيات، بهدف ترجيحها والانتصار لها، في مقابل التيارات التي ترى أنّ النبوّات حملت ضرراً للبشريّة ومشاكل.

وربما يقال بأنّ جمهور المتكلّمين على مستوى الخطّ الأوّل، لم يستخدموا غير ما استخدمه أنصار الخطّ الثاني؛ لكنّهم حاولوا صياغة الموضوع بطريقة عقليّة قبليّة لا بطريقة استقرائيّة إخباريّة؛ لأنّنا لو تتبّعنا الكثير من كلماتهم وأدلّتهم في مثل هذه الموضوعات، فسوف نلاحظ أنّهم نظروا إلى النبوّات بما لها من تحقّق تاريخي، ولاحظوا ما تتضمّنه، ثم صاغوا على أساس ذلك أدلّةً عقليّة كلية خالصة قبلية، فراجع كتب أمثال الفخر الرازي والقاضي عبد الجبار المعتزلي والخواجة نصير الدين الطوسي.

والفرق الجوهري بين الخطّ الأوّل والثاني يكمن في أنّ أنصار الخطّ الثاني لا يمكنهم ـ بطريقتهم هذه ـ سوى إثبات مبدأ وجود حُسنٍ ما في النبوّات وما فيها من مصالح ومنافع للإنسان، دون ثبوت

وجود قبح راجح، ودون إثبات الضرورة؛ لأنّ المنهج التاريخي الاستقرائي التحليلي لا يمكنه هنا أن يثبت الضرورة القبليّة التي تفرض بعث الأنبياء إلا بإضافة معطيات عقليّة، وهذا بخلاف أنصار الخطّ الأوّل الذين صاغوا الأدلّة بطريقة تسمح لهم لاحقاً ـ بغضّ النظر عن الإشكاليّات التي يمكن طرحها عليهم ـ بتحويل الحُسن إلى ضرورة، بناءً على قول من ميّز في هذا الموضوع بين الحُسن والضرورة.

ولمّا كان المتكلّمون العدليّون مهتمّين بمفهوم الضرورة في بحث النبوّات والإمامة وأمثالهما، كان من المتوقّع منهم أن يسلكوا هذا المسلك، فالخطّان يلتقيان في مقدار، ويفترق الخطّ الأوّل مكملاً طريقه في مقدار آخر.

مع العلامة السبحاني في تاريخ دخول قاعدة اللطف إلى الفكر الإمامي

٢٢ ـ ٧ ـ ٢٠٢١ م

يبدو من العديد من المعطيات التاريخية، خاصة في الموروث المعتزلي، أنّ قاعدة اللطف ترجع إلى القرن الثاني الهجري. بل ثمّة من يعتبر أنّ هشام بن الحكم (١٧٩ أو ١٩٩هـ) كان قد بحث هذه القاعدة، وأنّ كتابه «الألطاف» يرجع في الحقيقة إليها. غير أنّ إثبات هذا الأمر عسير، إذا لم تتوفّر نسخة من هذا الكتاب أو من ينقل عنه بما يوضح مضمونه، فإنّ طريقة الاكتفاء بالتشابهات الاسميّة للكتب غيرُ كافيةٍ في الكثير من الأحيان.

لكنّ الشيخ جعفر السبحاني يرى أنّ فكرة قاعدة اللطف دخلت إلى علم الكلام الإمامي في القرن الثالث الهجري زمان الفضل بن شاذان (٢٦٠هـ)، معتبراً أنّ الفضل بن شاذان ذُكر له في كتب الفهارس كتاب باسم «كتاب اللطيف» (النجاشي، الفهرست: ٣٠٧)، وأنّ هذا العنوان

وقع فيه ـ من وجهة نظر السبحاني ـ تصحيف، إذ يبدو أنّ العنوان الأصلي هو «كتاب اللطف»[1].

ينجم عن تحليل السبحاني أنّ الإماميّة ليسوا مبدعي هذه القاعدة، بل يتوقّع جدّاً أنّهم أخذوها من المعتزلة الذين ينقل رموزهم كالقاضي عبد الجبار، ورموز الأشاعرة والإمامية أنفسهم، ينقلون نقاشات بينهم حول القاعدة في القرن الثاني، خاصّة مع مثل جعفر بن حرب (٢٣٦هـ) وكذلك بشر بن المعتمر (٢١٠هـ)، وهما من كبار معتزلة بغداد الأوائل.

غير أنّ محاولة السبحاني هذه غير مقنعة أيضاً، فإنّ عنوان «كتاب اللطيف» قد نُسب للعديد من العلماء المسلمين أنّهم صنّفوا كتباً بهذا الاسم، فهذا الاسم متداوَل، وهو منطقي جداً، لأنّه من العناوين التفنّنيّة. بل ذكر ابن النديم أنّ أبا جعفر الطبري له كتاب سمّاه ابن النديم: «كتاب اللطيف في الفقه»، حيث قال: «وله مذهبٌ في الفقه اختاره لنفسه. وله في ذلك عدّة كتب، منها: كتاب اللطيف في الفقه، ويحتوي على عدّة كتب على مثال كتب الفقهاء في المبسوط..»(فهرست ابن النديم: ٢٩١).

وهذا يدلّ على أنّ هذا النوع من العناوين كان موجوداً يُستخدم في مجالات مختلفة. ولعلّ كتاب ابن شاذان في الفقه أو في اللغة أو في

(١) انظر بحث الخارج للسبحاني على الرابط الآتي:
http://www.eshia.ir/feqh/archive/text/sobhani/osool/92/920913.

علم الكلام بعيداً عن قاعدة اللطف. وعليه فلا يوجد مبرّر مقنع لفرضية التصحيف في اسم الكتاب، خلافاً لما تصوّره العلامة السبحاني. والافتراضات المحضة لا سوق لها في الترجيحات التاريخيّة.

من هنا، لا نعرف من هو بالضبط الذي أبدع هذه القاعدة في تاريخ علم الكلام، ومن هو الذي سمّاها بهذا الاسم، لكنّ الترجيح التاريخي يشير إلى مرجعيّة المعتزلة، دون معرفة اسم شخصيّة محدّدة كان لها السبق.

ملاحظة: لا نتكلّم عن فكرة اللطف العامّة، وإنّما عن تلك القاعدة التي تمثل أحد أسس فهم الفعل الإلهي وفقاً للتفكير العدلي.

شكرٌ على تعزية

٨ ـ ٨ ـ ٢٠٢١م

أتقدّم بخالص الشكر والامتنان من كل من قدّم لنا العزاء والمواساة بفقيدنا الغالي الحاج محمد كامل حب الله (أبو حسن) (رحمه الله)، سواء بالحضور أم الاتصال أم عبر وسائل التواصل الاجتماعي أم بإصدار بيانات أم غير ذلك، وذلك من مختلف الأفراد والشخصيات والفعاليّات العلمائية والدينية والاجتماعية والصحيّة والسياسيّة وغيرها، سائلاً المولى سبحانه أن يحفظكم جميعاً من كل مكروه ويرحم موتاكم، إنّه قريب مجيب.

هل في داخل كلّ عالِمٍ أو مفكّر، مهما ارتقى، (عاميٌّ) طيّبٌ بسيط؟!

١٨ ـ ٨ ـ ٢٠٢١م

في كثير من الأحيان لا نستغرب عندما ندرك أن في داخل أغلبنا، وربما كلّ واحد منّا، مهما بلغ من العلم وارتقى في العقل والفكر والمعرفة والخبرة في مجال أو مجالات، وبخاصّة المجالات الدينية وأمثالها.. لا نستغرب أنّ بداخله يظلّ هناك طفل صغير أو إنسان (عامي) طيّب وبسيط وعاطفي وعفوي مثقَل بمؤثرات التربية أكثر من سلطان العقل.

في بعض الأحيان، ولو القليلة، ينهض هذا (العامي) البسيط ويستيقظ ويدير الدفّة ويحرك الموقف، ويفرض على كلّ تراكمات العقل والمنطق والخبرات طريقتَه ونتائجه ولغته.

هذا ما يبدو لي وأنا أطالع أو أستمع لحوارات دينية ومناقشات يغيب فيها العالم المفكّر الفقيه والمتكلم و.. ليظهر على شفاهه أو

في ثنايا كلماته وكتاباته ذلك (العامي) البسيط الذي يتجاهل قواعد المنطق ويتحرّر منها في لحظة عاطفةٍ أو انتماء أو هويّة.

يتمرّد هذا الطفل أو (العامي) على العقل الكبير الذي يجلس إلى جانبه في نفسٍ واحدة، ويرى في ذلك العقل والمنطق تهديداً لمشاعره وعواطفه وما اعتاده.. صراعٌ بين شخصيّات ظننّا أنّنا مررنا بها في فترات عمرنا وفارقتنا بعد كل حقبة زمنيّة، لكننا نكتشف أنّها ما تزال موجودة، ولو مختبئةً في داخلنا، تأخذ دورها في لحظةٍ هنا أو هناك.

لا أتحدّث هنا عن العالم الذي يتكلّم بلغة (العوام) خضوعاً لهم أو خوفاً منهم أو طمعاً بما عندهم، بل أقصد فكرة أخرى تقرأ (عوامية) هذا العالم أو ذاك من داخله، لتكتشف أن في الأعماق يتربّع (عامي) يحظى بقدرٍ من النفوذ في بعضٍ، ولو قليل، من الأحيان.

خطورة الجمع بين العقيدة العميقة والفهم المحدود

٧ ـ ٩ ـ ٢٠٢١م

يُنقل عن أنطون تشيخوف (١٩٠٤م)، أحد كبار الأدباء الروس، قوله: إنّ الفريق الأكثر رعباً من البشر هم أولئك الذي يملكون عقائد قويّة وعميقة وكثيرة، وفي الوقت عينه يكون لديهم فهمٌ محدود جداً ووعيٌ بسيط للغاية، حتى لعقائدهم نفسها.

معنى هذه الفكرة المنقولة أنّ بعض الناس إذا ازدادت علاقته بعقيدته وسط فضاء من الجهل، فإنّه من الممكن أن يتحوّل إلى شخص سلبي وعدواني، وإلى مصدر للخوف والقلق. والسبب في ذلك أنّك لا تقدر على أن تختلف معه أو تتفاهم، بل هو لا يجيد الانتماء لعقيدته. إنّ خطورة الجهل بالعقيدة التي يؤمن بها الإنسان تجعله فريسة نوع من اليقين الأعمى، في مقابل اليقين الواعي. واليقين الأعمى هو يقينٌ لا يفتح علاقة مع مبرّرات وجوده، بل هو أشبه بالذاتي للإنسان، حتى أنّه يتحوّل إلى مدمّر للعقيدة نفسها أحياناً.

من هنا، **ليس المطلوب تكريس اعتقاد الناس بالأشياء وفقط، بل من النافع تكريس فهمها لعقيدتها أيضاً فهماً واعياً**، وربما هذا ما يفسّر بعض جوانب النصوص الدينية التي تمتدح العالِم في نومه عندما تقارنه بالعابد الجاهل. وربما أيضاً يكون هذا أحد منطلقات بعض مدارس التفكير المعتزلي التي ناضلت لجعل الوعي الاستدلالي بالعقيدة جزءاً من حقيقة الإيمان بها، فلا إيمان من دون وعي استدلالي عندهم بما تؤمن به.

رحلة العلاقة بين الاعتقاد والفهم يمكن أن تكون مخرجاً لحلّ بعض أزماتنا المعاصرة.

المصادر

١. حب الله، حيدر، إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، المجلد: ٢، ٤، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣-٢٠١٥م.

٢. الموقع الرسمي للشيخ حيدر حب الله www.hobbollah.com

صدر للمؤلف / الشيخ د. حيدر حب الله

تأليف

١. التعددية الدينية، نظرة في المذهب البلورالي.
٢. نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي، التكوّن والصيرورة.
٣. بحوث في الفقه الزراعي (تقرير بحث المرجع الديني السيد محمود الهاشمي الشاهرودي)..
٤. مسألة المنهج في الفكر الديني، وقفات وملاحظات..
٥. علم الكلام المعاصر، قراءة تاريخية منهجيّة.
٦. بحوث في فقه الحج.
٧. حجية السنّة في الفكر الإسلامي، قراءة وتقويم.
٨. فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٩. دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر (خمسة أجزاء).
١٠. دروس تمهيديّة في تاريخ علم الرجال عند الإماميّة.
١١. إضاءات في الفكر والدين والاجتماع (خمسة أجزاء)..
١٢. حوارات ولقاءات في الفكر الديني المعاصر .
١٣. المدخل إلى موسوعة الحديث النبوي عند الإمامية، دراسة في الحديث الإمامي.
١٤. رسالة سلام مذهبي.

١٥. حجية الحديث.
١٦. الحديث الشريف، حدود المرجعية ودوائر الاحتجاج (مجلدين).
١٧. منطق النقد السندي، بحوث في قواعد الرجال والجرح والتعديل (ثلاثة أجزاء).
١٨. شمول الشريعة، بحوث في مديات المرجعية القانونية بين العقل والوحي.
١٩. فقه المصلحة، مدخلاً لنظرية المقاصد واجتهاد المبادئ والغايات.
٢٠. قواعد فقه العلاقة مع الآخر الديني، دراسة في ضوء النص الإسلامي والمسيحي.
٢١. فقه الأطعمة والأشربة (ثلاثة أجزاء).
٢٢. الاجتهاد المقاصدي والمناطي ـ المسارات، والأصول، والعوائق، والتأثيرات (اجتهاد المعنى في أصول الفقه الإسلامي).
٢٣. مدخلٌ إلى الوحي وبشريّة اللفظ القرآني.

مختارات

١. رمضانيات.
٢. عاشورائيات (جزأين).
٣. كلمات في الدين والثقافة والسلوك (بين يديك).

ترجمة

١. ابن إدريس الحلّي رائد مدرسة النقد في الفقه الإسلامي (للشيخ علي همّت بناري).
٢. الأسس النظرية للتجربة الدينية، قراءة نقدية مقارنة لآراء ابن عربي ورودلف أتو (للدكتور علي شيرواني).
٣. بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة، وجهات فلسفية في التعدّدية الدينية.
٤. مقاربات في التجديد الفقهي (للمرجع الديني الشيخ يوسف

الصانعي).

٥. المجتمع الديني والمدني (للدكتور أحمد واعظي).
٦. الحجّ رموز وحكم (للفيلسوف العارف الشيخ عبد الله جوادي آملي).
٧. الدولة الدينية، تأملات في الفكر السياسي الإسلامي (للدكتور أحمد واعظي).
٨. الفكر السياسي لمسكويه الرازي، قراءة في تكوين العقل السياسي الإسلامي (الدكتور محسن مهاجرنيا).

تحقيق

١. بحوث في فقه الاقتصاد الإسلامي (تقريرات الشهيد محمد باقر الصدر).

إعداد وتقديم

١. المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية
٢. سؤال التقريب بين المذاهب أوراق جادّة.
٣. أسلمة العلوم وقضايا العلاقة بين الحوزة والجامعة.
٤. اتجاهات العقلانية في الكلام الإسلامي.
٥. المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، قضايا وإشكاليات.
٦. العنف والحريات الدينية، قراءات واجتهادات في الفقه الإسلامي
٧. مطارحات في الفكر السياسي الإسلامي.
٨. فقه الحجاب في الشريعة الإسلامية، قراءات جديدة
٩. الوحي والظاهرة القرآنية
١٠. الإمامة، قراءات جديدة ومنافحات عتيدة.
١١. الشعائر الحسينية، التاريخ الجدل والمواقف.

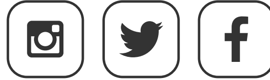
إشراف

١. الموضوعات في الآثار والأخبار للسيد هاشم معروف الحسني (طبعة جديدة محققة ومنقّحة).
٢. المعتبر من بحار الأنوار (ثلاثة أجزاء).

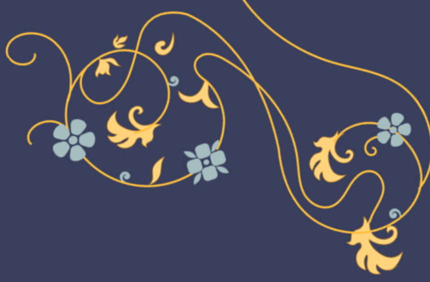
إضاءات

د. حيدر حب الله





haidarhobbollah



كلمات

في الدين والثقافة والسلوك

سبق لي -ومن الله التوفيق- أن كنت أدوّن بعض الأفكار والمواقف والخواطر الذهنيّة المتصلة بالشأن الفكري والثقافي والاجتماعي العام.

وقد كنت أحاول أن أقدّم في هذه المنشورات الموجزة والمختصرة فكرةً مركّزة هنا أو التفاتة نافعة هناك، أو إثارةً باعثة على التفكير والتأمّل.

لم تكن هذه الأفكار والمواقف والإثارات لتنتمي إلى دائرة علم معينّ أو حقل ثقافي أو معرفي محدّد، وإنمّا تتوزّع فيما تتناوله من قضايا وموضوعات، الهدف منها نقدُ بعض الثقافات السائدة، أو المغالطات الشائعة، أو الإضاءة على نقاط ثمّة حاجة -بنظري- للإضاءة عليها، أو الاشتغال على التنبيه على قضايا مهملة أو تستحق المزيد من التنبيه.

حيدر حب الله





لبنان - بيروت - الرويس +961 3 811 725 | +961 1 545 133



haidarhobbollah